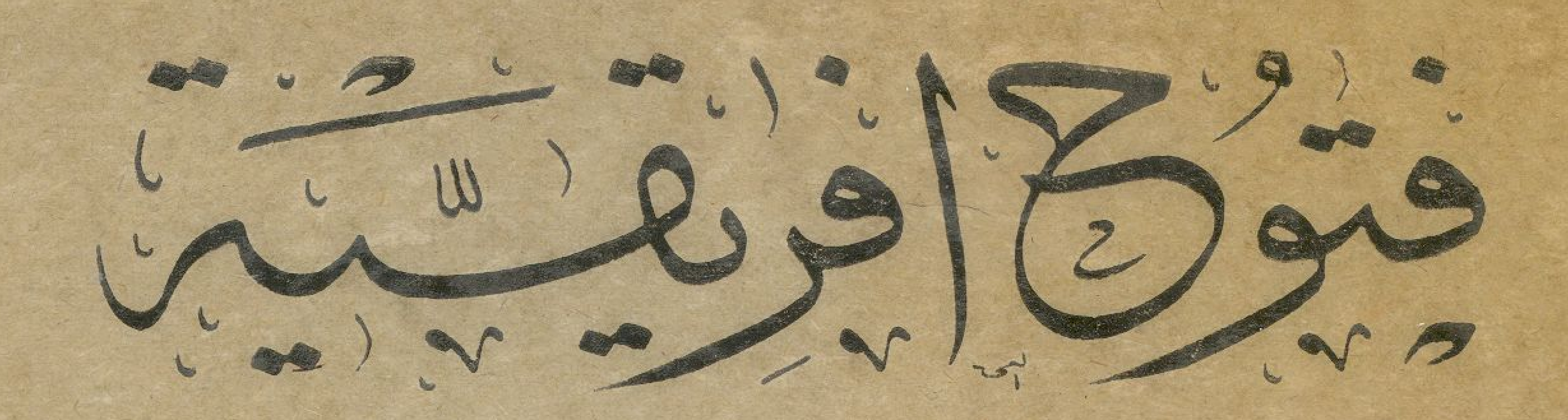


فتوح افريقية

تاليف

الامام العلامة سيدي

محمد الواقدي

رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

٢

ملتزم الطبع والنشر

التجاني المحمدي

صاحب مطبعة المنار ومكتبتها بتونس







فتوح افريقية

تأليف

الامـــام العـلامة سيدي

محمد الواقدي

رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

ملتزم الطبع والنشر

التجاني المحمدي

صاحب مطبعة ومكتبة المنار

٩٣٤٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم
عليه اتوكل وبه استعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله و اصحابه اجمعين

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وارتحل المسلمون من الزاب يريدون تلمسان وما بعدها من البلاد الافريقية وكانت اول بلاد فتحوها بعد طولقة المرو

ذكر غزوة المرو

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولا يزال المسلمون سائرين حتى وصلوا موضعا بين المرو وبين حسيا فنزلوا هناك وضربوا فساطيطهم واقاموا به ثلاثة ايام ثم رحلوا ونزلوا بوادي الكفاف واقاموا به خمسة ايام ثم امر الامير عقبة عبد الله بالرحيل فسار في عشرين الف فارس حتى نزل على المرو فلما رءاهم اهلها نزلوا عليهم اغلقوا ابواب المدينة وكان بها ملك يقال له جلباس بن داهر وكان غليظ الحجاب لايراه احد وله قصر عظيم طوله الف ذراع وعرضه كذلك وكان عنده الف وزير منهم وزير عظيم وهو صاحب سره ولا يجتمع به احد سواه (قال) فلما اقام عليهم المسلمون ذهب اهل المدينة الى الوزير الاعظم المذكور وقالوا له ما الراي فان العرب نزلت علينا وقد جئناك لنتشاور معك في هذا الامر فتشاوروا فيما بينهم ثم قام الوزير ودخل على الملك واعلمه بالخبر فقال له دونك واياهم فعند ذلك خرج الوزير الى رجال الدولة والسكان وكانوا مائة الف فارس فاعلمهم بمقالة الملك وقال لهم في

صبيحة غد نخرج اليهم ونهلكهم عن ءاخرهم قالوا نعم الراى هذا ثم امر الوزير بالاستعداد للقتال ونشر الرايات وضرب الطبول وهي الف راية والف طبل وخرجت اهل البلد كالنحل من احباحها وقضوا ليلتهم كلها في التحضيرات ولما اصبح الصباح امر الوزير بالخروج ونادى في قومه الا ان كل من تخلف عنا ضربنا عنقه ثم ضربت الطبول وخرجت جيوش النصارى واخذوا في ترتيب صفوفهم وطلعت النسوة على الاسوار

(قال الراوي) فبينما كان عبد الله بن جعفر رضي الله عنه يرتب جيشه اذا برايات الامير عقبة قد اشرفت عليهم فعند ذلك كبر المسلمون وكبر عبد الله وانضم جيش عقبة لجيش عبد الله وضربوا فساطيطهم ورتبهم عقبة ثم لبس عبد الله ءالة حربه ودنا من الصفين ونادى بالبراز وقال انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصر النصارى حسنه وجماله وفروسيته وكيفية جولانه بين الصفين قالوا لبعضهم بعضا هذا الذي كان تزوج بابنة الملك الاكبر صاحب المعلقة وقتل اباها وشخص الناس اليه رجالا ونساء وكان عبدالله راكبا على جواد من نسل السرحان وهو احمر طويل واسع الكفل محجل وعليه درع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فعند ذلك نادى وزيرهم ايكم يخرج الى هذا العربي ويكفينا امره ولما لم يجبه احد قال اين ديكمان الاسود قال له لبيك قال اخرج الى هذا العربي الذي سحر جميع البلاد فان انت كفيتنا شره فلك عندي ابنتي فقال له حبا وكرامة ولكن من يشهد عليك بذلك قال له الوزير القسيسون واستحضر القسيسين وقال اشهدوا ان من قتل هذا الشاب العربى فله عندى ابنتي فشهدوا عليه وانصرفوا ثم ان ديكمان لبس ءالة حربه ودنا من الصفين وكان راكبا على جواد اسرع من السهم فلما قرب من عبد الله قال له ما اسمك ايها الشاب قال عبد الله بن جعفر قال له انت تزوجت بنت الملك صاحب المعلقة وسحرتها قال كذبت نحن لسنا من اهل السحر انما نحن قوم ديدننا ضرب الحسام والصبر على المقام قال له ارجع قبل ان افضحك بين اقرانك فلما سمع عبد الله منه هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وحمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فراغ لها عدو الله فاتت غير صائبة ثم اتبعها بضربة اخرى اشد منها فقسمه مع جواده نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وكبر المسلمون عند ذلك تكبيرة واحدة ثم حمل عبد الله على الميمنة والميسرة

فانصبت عليه الجنود فلما راى بنو هاشم وبنو مخزوم ذلك حملوا بعنان واحد وارتفع الغبار وصار النهار كالليل المظلم ونادى الزبير بن العوام ياءال هاشم اثبتوا في مواضعكم لان عبد الله لم يظهر له اثر ثم تلاحقت النـاس بعضها ببعض وكثر الصياح ونساء العرب يحرضن النـاس فزاد بنو هـاشم وبنو مخزوم في حملتهم على الاعداء وصدموهم صدمة عظيمة بعد ان صبروا معهم صبرا عظيما رضي الله عنهم اما بنوامية فلم يثبتوا في مواضعهم ولم تكن غير ساعة حتى ولوا الادبار فعند ذلك نـادت اسماء بنت ياسر رضي الله عنها بـاعلى صوتها يـا عبد الله ادرك بني امية وكانت اسماء جهيرة الصوت فسمعهـا عبد الله فسار اليهم كالاسدالغضبان وحمل عليهم حملة شديدة وقتل في تلك الحملة مائتى فارس ورد النصارى عن بنى امية واعادهم الى مواضعهم وقال لهم يـابني امية اما تستحيون من العـار فلم يجبه احد ثم تكاثرت اعداء الله على بنى هاشم ومع ذلك فلم يتحركوا من مواضعهم فلله درهم وقاوموهم اشد مقـاومة ثم ان الوزير امر الرماة بـالرمي فرموا السهام على المسلمين حتى لم يطيقوا هجوما ورجعوا الى فساطيطهم ودخل الوزير البلد بجيشه واغلق الابواب بعد ان ترك اربعة الاف قتيل في ميدان القتال ومـات من المسلمين الف فارس من لخم وجذام وطئى وحمير وفشت الجراحـات في خلق كثير من الجانبين (قال) فلما دخل الوزير البلد سار الى الملك فوجده جالسا بين الف جارية أبكار وثيبات والطعمة تتبدل بين يديه وخمور في اواني الزجاج مختلفة الالوان وفي وسط المجلس اربع يواقيت تضئ كالنهار والصلبان عن يمينه وشماله وخلفه وامـامه وهي مـائة صليب وفوق راسه طيور تغرد بحنين الاصوات ووحوش الفلاة تلعب امامه وهو في بسط وانشراح لايعلم شيئا مما كان وما يكون (قال) فلما دخل الوزير على الملك قال له ماوراءك قال ان صعاليك العرب تجاسروا علينا وارادوا ان يفعلوا بنا مافعلوا بغيرنا ولكن وحق اللات والعزى والصنم الادنى لاجعلن اميرهم على رمح طويل وارفعه عليه لكى يشاهده جميع العرب ونـاخذ هذا الشاب المسمى بعبد الله بن جعفر اسيرا قال له الملك اذا كان في صبيحة غد اخرج اليهم واطلب البراز من الامير عقبة لعل المسيح ينصرنا عليهم (قال) فلما اصبح الله بخير الصباح ضربت طبولهم وخرج الوزير في جيش كالجراد المنتشر ورتبهم فلمـا راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم ثم نادى الوزير ببطارقـتـه وقـال ايكم يخرج للبراز فاجابه فارس

صنديد اسمه بلبان العبوس انا اطلب البراز من هؤلاء العرب فقال له الوزير لاتطلبه الا من اميرهم عقبة لان الملك امرني بذلك قال له سمعا وطاعة ثم ان بلبان لبس ءالة حربه وتقلد حسامه وتقدم بين الصفوف ونادى باعلى صوته اين الامير عقبة ليخرج للبراز فسمعه عبد الله بن جعفر فقال له انا ابرز اليك يا عدو الله قال لا ابارز الا عقبة اميركم لان الملك امرني بذلك ولا اقدر ان اعصى امره طرفة عين قال له عبد الله كيف تدعو للبراز من هو اكبر منك سنا وانت صغير السن فكان عليك ان تطلب البراز ممن هو مثلك قال اني مامور بذلك (قال) ولم يزل اللعين ينادي بالبراز حتى سمعه الامير عقبة بن عامر رضي الله عنه فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم نهض وودع زوجته اسماء ولبس ءالة حربه وتقلد حسامه وركب جوادا من عتاق الخيل فلما راته اسماء خارجا بكت بكاء شديدا فقال لها عبد الله ما ابكاك قالت كيف لا ابكي وعدو الله يدعو عقبة للبراز وهو رجل كبير السن لايقدر على الحرب قال لها احسني الظن بالله (قال) وشق على المسلمين خروج عقبة للبراز لما يعلمون من بسالة بلبان وبطشه وشدة باسه وقال النسوة لعبد الله امسك الامير عقبة ولا تتركه يبارز ولو ان اللعين طلبه وبارز انت مكانه فعند ذلك تقدم عبد الله والزبير بن العوام والفضل بن العباس نحو عقبة وتعلقوا بأذياله وقالوا له ارجع ايها الامير ونحن نكفيك امره قال لهم لابد من مبارزته حتى لا يراني الله قاصرا عنه وفي اثناء ذلك كان بلبان ينادي باعلى صوته اين عقبة فاني لا ابارز غيره فاقسم عقبة ان يبارزه وسار اليه ولما دنا منه قال له بلبان انت الامير عقبة قال نعم قال كيف تكون اميرا وانت على هذه الحالة وكان عقبة يومئذ لابسا جبة من صوف لا تزيد قيمتها على ثلاثة دراهم فقال له نحن لانميل الى الدنيا وزينتها الفانية وقد قال الله تعلى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (قال) ثم حمل كل منهما على الآخر وتقاربا وتباعدا ساعة زمانية ثم ضرب عدو الله عقبة فلم يصبه والوى عليه عقبة وضربه فاصاب جواده فقتله فعند ذلك توقف عقبة عن القتال فقال له بلبان ما بالك متوقفا قال حتى تاتي بجواد ءاخر فاعتبر بلبان وقال هكذا الوفاء وسار واتى بجواد وعاد للقتال ولم يكن غير ساعة زمانية حتى اختطف عقبة من سرجه كالعصفور وسار به الى ان وصل للوزير وقال له دونك واميرهم فاخذه الوزير واوثقه كتافا وشكر بلبان ثم قال له ارجع واطلب عبد الله بن

جعفر لعلك تاخذه اسيرا او تقتله فرجع عدو الله الى ما بين الصفوف ونادى ايـن عبد الله بن جعفر وما استتم كلامه حتى اتى اليه وحمل كالاسد الغضبان عليه وهو يقول لبيك لقد دعوتني الى ما اشتهي واريد وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فاصاب الجواد فقتله وزاد عليه فقطع يده اليسرى فلما راى عدو الله الهلاك قال ياعبد الله الذمام على الروح وها انا بين يديك افعل بي ما تريد فدعا عبد الله بسليمان بن خالد وقال له خذ هذا اللعين الى الفساطيط واوثقه كتافا فقال سمعا وطاعة وسار به ثم ان عبد الله تقدم امـام صفوف النصارى وقال ايكم يخرج للبراز يا اعداء الله انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله ﷺ فلم يجبه احد فعند ذلك حمـل على الميمنة فقتل خمسة وحمل على الميسرة فقتـل عشرين فارسا ثم حمل على القلب فانصب عليـه النصارى ولما راى المسلمون ذلك حملـوا بعنان واحد وتلاطمت الابطال بالابطال واشتغلت الرجال بالرجال واشتد بينهم القـتال وبينماهم في الحرب الشديد واذا باعداء الله انهزموا وولوا هاربين ودخلوا البلد واغلقوا الابواب واخذ الوزير عقبة معه موثوقا (قال) وكان الملك في بساط العز والجواري بين يديه يمينا وشمالا يغنين ويضربن بآلات الطرب فلما سمع ضجيج المنهزمين دعا بالوزير وكان الوزير عنده وقد اتى اليه بالامير عقبة فدخل عليه ومعه عقبة فقال له الملك من هذا الذي معك قال امير جيش العرب فقام اليه الملك وحل وثاقـه والبسه ثيابا رفيعـة واجلسه خلفه وامره ان يشرب الخمر فقال له عقبة لا افعل ذلك لانه حرام في ديننا قال لابد منه وهو حلال قال له ياعدو الله تحلل ما حرم الله فهذا لا افعله ابدا فقال لـه الملك ان لم تفعل ما امرتك به قتلتك شر قتلة قال عقبـة ياعدو الله اجلي بـيد الله ليس بيدك فاغتاظ اللعين من ذلك وغضب غضبا شديدا وضربه ضربا وجيعا فعند ذلك اختطف عقبة سيفا كان مطروحا قرب الملك وضربه على راسه فشقه وقطع اذنه فقام الملك هاربا وعقبة في اثره الى ان اخرجه من القصر فاغلق عقبة الابواب واخذ يكسر الاصنام ويقتل كل من تعرض له من الجواري حتى قتـل منهن كثيرا ولم ينج منهن الا من فازت بنفسها واختفت في مكان لم يعثر عليها فيه ثم دخل بيت الخلوة فوجد فيه من الذهب والفضة والجواهر مـالا يحصى ولا يوصف ومكث عقبة متحصنا في القصر يتدبـر حيلة للنجاة وهو وحيد ماله من نصير الا الله تعلى (قال) ولما ولى المـلك هاربا واغلق

عقبة دونه ابواب القصر اخذ ينادى بالويل والثبور ويصيح في قومه ان لم تمكنونى من عقبة قتلتكم جميعا فعند ذلك كسروا الابواب وهي سبعة ودخلوا على عقبة فكبر وحمل عليهم فقتل سبعة ورجع فتبعه الجنود فحمل عليهم مرة ثانية وقتل خمسة فالحق به الاعداء النبال فانجرح خمس جراحات فوقع في الارض فادركوه واوثقوه كتافا واتوا به الى الملك فلما اوقفوه بين يديه اخذ سوطا وجعل يضربه ضربا وجيعا حتى وقع مغشيا عليه لاحراك به ثم وضعوه على مائدة من الخشب بعد ما البسوه ثوبا من شعر ونصبوا تلك المائدة على ثلاثة اعوادمن الرماح وقال الملك لقومه اذا خرجتم غدا فاركزوا الرماح في ميدان البراز لكي يشاهده العرب (قال) فلما اصبح الصباح ركبت الجنود وخرج القسيسون والرهبان امامهم التوراة والانجيل فلما قربوا من المسلمين فعلوا بعقبة ما امرهم الملك ولم يتركوا من امره شيئا فلما راى المسلمون عقبة على هذا الحال بكوا بكاء شديدا وعظم عليهم الامر وبكت اسماء بنت ياسر ونادت ياعبد الله اما رايت اميركم عقبة كيف فعل به الاعداء فركب عبد الله في الحين وركب المسلمون وصاح عبد الله صيحة عظيمة وقال رحم الله من كسر غمد سيفه في سبيل الله وحمل عبد الله والمسلمون حملة واحدة كالاسود وحملت النصارى والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وصبر اعداء الله يومئذ صبرا جميلا وكان الوزير يحرض قومه ويقول ايها الابطال رحمكم المسيح قاتلوا عن دينكم واموالكم وحريمكم واولادكم وبلادكم قتل الابطال وجندلوا الرجال ولا تطمعوا العرب فيكم وفي بلادكم فانما مثل العرب كمثل الذباب ان تركته اكل وان منعته فر وهلك فاثبتوا واصدقوا العزم

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) واحاط النصارى بالمسلمين من كل جهة وجانب وكان المسلمون لايظهرون فيهم لكثرتهم ودارت رحى الحرب واشتد الطعن والضرب وقوى القتال وعظم النزال ولما راى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه جموع النصارى متكاثرة عليهم رفع راسه الى السماء ودعا الاله وقال لاغالب الا الله اكثروا يا اخوانى من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واياكم ان تولوا الادبار ولاترهبكم كثرة الاعداء فقد قال الله تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واصبروا فانتم الاعلون والله معكم فليست جموعهم باكثر من جموع الشام واليمن والعراق والحجاز ومصر ومع ذلك فقد ملكتم بلادهم وقتلتم ملوكهم وبطارقتهم وقد دانت لكم البلاد وقد

كنتم قليلا فكثركم الله ووعدكم على لسـان نبيكم صلى الله عليه وسلم انه يستخلفكم في في الارض كما استخلف الذين من قبلكم ومن قتل منكم كان له الجنة وتنقل روحه الى روح وريحان

(قال الراوى) ثم حمل عبد الله والزبير بن العوام والفضل بن العباس ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين بعضهم على الميمنة وبعضهم على الميسرة وعبد الله على القلب وكان اعداء الله ورسوله ينزلون السهـام عليهم كالمطر الغزير وهم لايبالون بها ولا يزالون يقاتلون حتى صارت الدماء على دروعهم كقطع كبـاد الابل ولله در عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقد ابلى فيهم بلاء حسنـا وفرق جموعهم يمينـا وشمـالا ولم يزل يشدد الحملة عليهم حتى ولو الادبـار تـاركين سرير الملك وكان كله من الذهب الوهاج وفيه اربع يواقيت فلما تقدم اليه عبد الله واراد حمله صاح الوزير في قومه وقال لهم دونكم والسرير فحملوا على عبد الله فتداركه المسلمون وحملوا عليهم وصدموهم صدمة عظيمة الى ان ادخلوهم البلد ودخل الوزير واغلق الابواب وامر الرماة بـالطلوع على الاسوار ثم سـار الوزير حتى دخل على الملك وهو يرتعد كالورقة في الريح العاصفة من شدة الخوف فلما رآه على تلك الحالة قال له ما وراءك قال الموت النازل قال له هربت من صعاليك العرب فقال الوزير مارايت صعلوكا غيرك فلما سمع الملك منه ذلك غضب غضبا شديدا واستوى قائمـا على قدميه وكان قويا شديدا مشهورا بالبطش والشجـاعة في قومه فكب الوزير على وجهه وقتله ثم خرج من قصره مهرولا كالبعير الهائج وصاح باعلى صوته ايهـا الاقارب والاخوان والعشيرة من خالف امرى ولم يحضر عندي الساعة قتلته (قـال) فلم يكن غير سـاعة الا وقد حضروا جميعهم بين يديه فقال لهم ما جرى لكم مع صعـاليك العرب قـالوا ايها الملك وحق اللات والعزى والصنم الادنى لقد راينـا قومـا الموت عندهم خير من الحياة ونحن عندهم مثل الطعام للجائع ولانشك في انهم يملكون المدينة فلما سمع كلامهم غضب غضبا شديدا وولى معرضا عنهم ودخل قصره ودعـا بجارية كانت عنده اسمهـا داهية العقل فحضرت بين يديه وكانت هذه الجـارية عـالمة اديبـه شجيعة اجمـل اهـل زمـانهـا وهـى بنـت ملـك كبير وكانت قتلت كثيرا من الملـوك الشجعان في ميدان الحرب اذ من عادتها اذا خطبهـا ملك او ذو شجاعة اشترطت عليه البراز فاذا بارزهـا قتلته وقد شاع خبرهـا في جميع الاقطـار ولم يغلبهـا في البراز الا هذا الملك وكان ابوها

ملكا عظيما من اجمل اهل زمانه ويقال ان امها من الجن وهي اميرة على قبيلة من الجان كانت اختطفت اباها وولدت منه هذه البنت فسماها ابوها داهية العقل لفرط حسنها وجمالها لان كل من رءاها ينذهل عقله ولما بلغت مبلغ النساء شاع خبرها في جميع الاقطار وخطبها ملوك افريقية والمغرب وكل من اتى الى ابيها قال له حكمها بيدها وهي لاتتزوج الابمن يرضيها ويغلبها في البراز وكل ملك او بطريق شجاع بارزها الا قتلته حتى اهلكت منهم خلقا كثيرا فلما سمع بها هذا الملك صاحب المرو وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا لايكل من الحرب خطبها ومكث شهرين في البراز معها وتغلب عليها بخديعة وتزوجها وصارت من اعز الناس عنده ،

(قال الراوي) فلما حضرت بين يديه واعلمها بخبر العرب من اوله الى ءاخره قالت له اين شجاعتك وبسالتك وصولتك على الاقران قال لها اني لم اخرج اليهم قبل اما الان فلا بد ان اخرج بنفسي واسقيهم كاس الردى قالت افعل وبادر بذلك فعند ذلك قام ودخل بيت سره وكان عنده صنم لم يطلع عليه احد غيره فسجد له من دون الله ولازال ساجدا حتى كلمه الشيطان من جوف الصنم وقال له انا اكفيك امرهم فلما سمع منه ذلك فرح فرحا شديدا وامر باحضار ءالة الطرب والخمر فحضر نحو الف جارية من الجواري الحسان فضربن الالات وغنين ووقف الغلمان يروحون عليه بارياش مضمخة بالمسك والكافور وبقي عدو الله على هذه الحالة في لهو وزهو وانشراح الى ان اقبل النهار وولى الليل ولما اصبح الله بخير الصباح وطلعت الشمس خرج في جيش عظيم وسار نحو المسلمين فلما قرب منهم رتب جيوشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فلما رءاهم المسلمون رتبوا جيوشهم كذلك وتاهبوا للحملة فنادى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه لاتحملوا اليوم على اعداء الله لاني اردت ان اطلب البراز من الملك لعل الله سبحانه وتعلى يمكنني منه (قال) فلما سمع المسلمون كلام عبد الله عدلوا عن القتال ثم مضى عبد الله الى فسطاط الامير عقبة ودعا بماء واسبغ وضوءه وصلى ركعتين ودعا الله تبارك وتعلى ولبس درع رسول الله ﷺ وتمنطق بمنطقته وتقلد حسامه وخرج للبراز وجال بين الصفين ونادى اين الملك يخرج الى برازي انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله ﷺ فلما سمعه النصارى صاروا ينظرون اليه رجالا ونساء ويتعجبون من حسنه وجماله وفروسيته وهم شاخصون صامتون ولبس

الملك ءالة حربه وتدرع بدرعين وركب جواده وقد كساه بالحديد بحيث لايرى منه غير عينيه وتقلد حسامه ثم دعا بارباب دولته فحضروا بين يديه فقال كونوا على حذر فاذا رايتم هذا الشاب متغلبا علي فادركوني لئلا يفتضح امري قالوا سمعا وطاعة فقالت له داهية العقل لايغرنك امر هذا الشاب فاني ميزته ورايت تحريكه لجواده فوجدته فارسا عظيما لايطاق وانا قد نصحتك فكن على حذر منه (قال) فلما سمع كلامهاوقع الرعب في قلبه وخشي على نفسه الهلاك ثم سار حتى دنا من عبد الله وقال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال له انت الذي قتلت ابطال النصارى قال نعم انا الذي يتمت اطفالهم وهدمت ديارهم وكسرت صلبانهم انا ابن عم محمد رسول الله ﷺ قال له اليوم تتبين شجاعتك قال عبد الله الافعال تنقص وتزيد قال له احمل علي او احمل عليك قال عبد الله احمل انت فحمل الملك عليه حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فراغ لها فاتت غير صائبة فالوى عليه عبد الله وضربه فاصاب كفل الجواد وكان الجواد كله مغمرا بالحديد فلم يؤثر سيفه فيه ثم الوى عليه عدو الله وضربه فراغ له فلم يصبه ولا يزالان على هاته الحالة الى ان غربت الشمس واظلم الليل فاراد عبد الله الرجوع الى المسلمين فقال الملك وحق اللات والعزى لانبرح من هذا المكان الا ان تقتلني او اقتلك .

(قال الراوي) وكان عدو الله لايكل ولا يمل في الحرب قال له عبد الله ان النهار قد ادبر والليل اقبل والايام تتوالى علينا قال لا اقبل هذا ابدا فعند ذلك قال له عبد الله خذ على نفسك يا لعين وحمل عليه وحمل الملك عليه واشتد بينهما الطعان فلا تسمع الا قعقعة السلاح وهما كالاسدين ودام البراز بينهما الليل كله وتماديا عليه في الصباح وعدو الله لا يزداد الا طغيانا وكفرا ولما كان وقت الزوال لبس الزبير بن العوام ءالة حربه وتقدم الى ميدان القتال وقال لعبد الله ارجع لتستريح وانا ابارز مكانك فامتنع وقال له كيف اتأخر وانا مطلوب منه وأقسم عليه الزبير ان يستريح فتأخر عبد الله وتقدم الزبير فقال له الملك انت الزبير بن العوام قال نعم قال له ادن مني لتنظر الحروب (قال) فما استتم كلامه حتى حمل عليه الزبير وضربه ضربة شديدة فأصاب راس الجواد فلم يقطع فيه السيف شيئا فانثنى عليه عدو الله وضربه فلم يصبه والوى عليه الزبير وضربه فراغ له ثم ضرب الزبير فأخذها في درقته فانقسمت نصفين فغضب الزبير وضربه ضربة شديدة فأصابه فانقلب من على

جواده فزاده ضربة اخرى وهو في الارض فلم تؤثر فيه ثم اخذ الزبير جواده وسار به الى جيش المسلمين فتعرض له سليمان بن خالد واخذه من يده ورجع الزبير فوجد عدو الله قد هرب الى جيشه فناداه وقال يا عدو الله هربت من الزبير بن العوام فلما راى قومه ذلك حملوا على المسلمين حملة منكرة فتلقاهم صبيان بني هاشم وبني مخزوم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان فلم يكن غير ساعة حتى ولى اعداء الله الادبار والمسلمون في اثرهم الى ان ادخلوهم البلد (قال) فدخلوا واغلقوا الابواب وطلع الرماة على الاسوار ورجع الصحابة رضي الله عنهم والدماء تقطر منهم كانهم كانوا يخوضون في بحر من الدم وبات اعداء الله في حزن عظيم مما حل بهم وبات المسلمون في فرح وسرور مما فعل الزبير بملكهم غير انهم متكدرون من اجل عقبة ولم يهنا لهم عيش ولا منام واجتمعوا عند زوجته اسماء بنت ياسر ليهونوا عليها الامر وقال لها عبد الله بن جعفر طيبي نفسا وقري عينا فوحق رسول الله ﷺ لا بد ان نفعل باميرهم مثلما فعل باميرنا فشكرتهم اسماء واثنت عليهم وقالت يا ابن جعفر كان اسلافكم يفعلون هكذا واذا ضاق الامر لا يوسعه الا بنو هاشم ثم قال الزبير لعبد الله اذا كان في صبيحة غد ان شاء الله تعالى اركب الجواد الذي اخذناه من عدو الله واطلب البراز لانه مغمر بالحديد لا يرى منه غير عينيه فاذا ركبته لا يقدر عليك احد فشكره عبد الله وقال له جزاك الله خيرا (قال) ولما اصبح الله بخير الصباح خرج النصارى من المدينة كانهم جراد منتشر وخرج عدو الله بين الرايات وطبوله تضرب فلما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم كعادتهم وركب عبد الله بن جعفر جواد الملك وتقلد حسامه ولبس درع رسول الله ﷺ وخرج الى ما بين الصفوف ونادى باعلى صوته اين عدو الله يخرج للبراز فلما راى الملك جواده تحت عبد الله غضب غضبا شديدا وركب جوادا اخر من نسل خيل كانت لشداد بن دارس الرومي ولبس آلة حربه وتقلد حسامه ونادى باعلى صوته ايها الوزراء اذا رايتموني قد تقوى علي هذا الشاب فادركوني فقالوا سمعا وطاعة وسار الى البراز ولما دنا من عبد الله حمل عليه في الحين من شدة الغيظ حملة منكرة وحمل عبد الله عليه ايضا وسبقه بضربة فاصابت كفل الجواد فقسمته نصفين وضربه ضربة اخرى فاصابت سيفه فكسرته وزاد عليه فلما راى الملك نفسه قريبا من الهلاك فر هاربا نحو جيوشه فلحق به عبد الله

وجرحه بين كتفيه ولما راى ارباب دولته ذلك هجموا كلهم على عبد الله وعند ذلك نادى الزبير باعلى صوته ياويلتاه هلك عبد الله فحمل وحمل المسلمون والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وارتفع الغبار واظلم النهار ولم يلبث اعداء الله غير ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ودخلوا البلد فاقتفى المسلمون اثرهم الى الاسوار فلم يستطيعوا صبرا على السهام التي كانت تنزل عليهم فرجعوا رضي الله عنهم الى فساطيطهم ولله در بني امية ذلك اليوم فانهم جاهدوا في الله حق جهاده وشكرهم الصحابة وفرح بذلك عبد الله والزبير ثم اجتمعوا كلهم في فسطاط عبد الله وجلسوا يتحدثون الى العشاء وبينما هم كذلك اذ سمعوا بكاء اسماء بنت ياسر رضي الله عنها فبكوا لبكائها وقاموا باجمعهم وساروا الى فسطاطها ودخلوا عليها فوجدوها تبكي فقالوا لها ما ابكاك قالت كيف لا ابكي وعقبة لم يظهر له اثر ولا عرفناه حيا ام ميتا فقالوا لها الامر لله وكل شيء بقضاء وقدر وجلسوا عندها حتى زال ما بها من الجزع والخوف ثم صلى عبد الله بن جعفر بالمسلمين صلاة العشاء ولما فرغوا من صلاتهم قال لهم بصوت عال ايها الناس اصبروا صبر الكرام ولا تموتوا موت اللئام واعلموا ان عدو الله قرب هلاكه فاذا كان في صبيحة غد لانقتله وناخذه اسيرا ان شاء الله تعالى فكبر المسلمون ورجع كل واحد منهم الى فسطاطه

(قال الراوى) ولنرجع للكلام على اعداء الله فانهم حين انهزموا دخلوا المدينة وولى الملك هاربا الى قصره وهو حزين القلب مما وقع له وحل به من عبد الله والزبير رضي الله عنهما ولما دخل بيته امر باحضار عقبة وكان عقبة عند داهية العقل وهي تداوي جراحاته وقد احسنت اليه وفعلت به خيرا عظيما فاتى اليه غلام وقال له ان الملك امر باحضارك فقام وسار معه فلما دخل عليه قال له كيف افعل بك يا عقبة وبينما هو يخاطبه واذا بداهية العقل قد دخلت عليه مخافة ان يفرط على عقبة وقالت له ايها الملك ما رايك في امر العرب قال لها انا رهين رايك وامرك قالت اذا كان في صبيحة غد فانا اطلب البراز ففرح بذلك فرحا شديدا لما يعلم من شجاعتها وقال لها حينئذ انا في هذه الليلة احرق عقبة فقالت لا تفعل ذلك فان انت فعلته فانا لا اخرج للبراز قال حبا وكرامة انا ما قصدت الا استشارتك ولا افعل امرا من الامور الا بمشورتك ثم امر باحضار الخمر وءالات الطرب وقضى ليلته في شرب الخمر واللهو والانشراح ولما اصبح الله بخير الصباح

استوى قائما على قدميه ودعا بارباب دولته ورجال مملكته ولما حضروا بين يديه قال لهم ايها الاقارب ان داهية العقل خارجة الى البراز فاشهدكم علي انها اذا قتلت عبد الله بن جعفر او اتت به اسيرا فلها مملكتي فشهدوا عليه بذلك وامر قومه بالخروج فخرجوا كلهم ولم يبق منهم احد ولبست داهية العقل آلة حربها وركبت جوادها وكان خاصا بها لايركبه احد سواها وهو يجري مثل الطيور (قال) وكانت داهية العقل لاتطاق في الحرب ولها معرفة تامة بالخداع وسارت على جوادها وجالت يمينا وشمالا ونادت انا داهية العقل هل من مبارز يبارزني فلما سمعها الزبير ناداها ايتها الجارية اصبرى حتى آتي اليك فلما سمعها الزبير ناداها ايتها الجارية اصبرى حتى اتى اليك فلما سمعت كلامه تبسمت فندم الزبير على ما صدر منه وقال كيف ابارز امراة والله لاافعل ذلك ابدا (قال) ثم نادت باعلى صوتها اين الزبير اين عبد الله فلم يجبها احد فكررت النداء فعند ذلك قال الصحابة لبعضهم بعضا كيف نبارز امراة واذهم يتكلمون في هذا الشان خرج اليها فارس من حمير اسمه مرة بن كندة فلما قرب منها قالت له الى اين تريد قال اريد مبارزتك قالت انا لا ابارز الا عبد الله بن جعفر او الزبير ابن العوام قال لها هذان لا يبرزان اليك ابدا قالت وما السبب قال لها لانك امراة قالت ها انا ابارزك انت حتى يتبين لهم فعلي ثم قالت احمل علي او احمل عليك قال انا احمل عليك قالت افعل فحمل عليها حملة منكرة وضربها ضربة شديدة فاتت غير صائبة ثم الوت عليه واختطفته من سرجه ومضت به الى الملك وقالت له انظر مافعلت بصعاليك العرب فقال لها اصبري حتى يخرج اليك الداهية العظمى وترين العجب قالت ومن يكن هو قال الشاب الذي كنت اتبارز معه انا قالت الساعة يتبين لك الامر (قال) ثم رجعت ونادت بالبراز فخرج لها ابن اخ صاحب سطيف فلما قرب منها قالت له ارجع انا لاابارز الا عبد الله بن جعفر قال لها والله لا افعل ذلك ولا يراني الله قاصرا عن برازك قالت اذا واللات والعزى لقد غررت بنفسك وانا قد نصحتك وما استتمت كلامها حتى حمل عليها وضربها فلم يصبها فالوت عليه بخديعة وسارت به الى الملك اسيرا فشكرها ثم عادت للبراز وكل من خرج اليها اسرته الى ان اسرت عشرة من اخلاط العرب (قال) فلما راى عبد الله منها ذلك تعجب وقال لاصحابه كيف الامر مع هاته الجارية قال له الزبير كيف نبارز امراة ليس هذا من شان الصناديد وبينما هم كذلك واذا بداهية العقل

رجعت ونادت باعلى صوتها هل من مبارزا انا داهية العقل فاجابتها خادمة كانت لبني هاشم اسمها ميمونة وقالت لها اصبري حتى اصل اليك وابارزك ودخلت ميمونة فسطاطها واخذت دبوسا كان عندها من حديد وزنه خمسون رطلا وركبت مطية حمراء واخذت درقة كانت لبعلها ولبست ءالة حربها وسارت الى مابين الصفين ولما دنت منها قالت لها ارجعي قبل ان يفتضح امرك بين اقرانك قالت ميمونة افعلي ان انت قدرت على ذلك فتبسمت داهية العقل من كلامها وحملت عليها واختطفتها مع دبوسها وسارت بها الى الملك وقالت هذا ماتفعل النساء ايها الملك فقال لها لو تاتيني بالمسلمين كلهم فليس بشيء عندي ومايشفي غليلي الا اذا اتيتني بعبد الله بن جعفر او الزبير بن العوام فقالت له مهلا عليك الساعة يحضران بين يديك ثم عادت للبراز ونادت بصوت عال اين عبد الله بن جعفر اين الزبير ابن العوام فقال عبد الله للزبير هذه ليست من الانس وانما هي من الجن قال له الزبير وكيف الامر قال عبد الله انا اخرج لها بنفسي ولايراني الله قاصرا عنها ثم نهض ولبس ءالة حربه وركب جواده وتقلد حسامه ودرقته بيده فلما رآه صهره ابن الملك صاحب المعلقة اقسم عليه بالله ان يرجع فرجع عبد الله وسار ابن الملك حتى قرب منها فقالت اله انت صهر عبد الله قال نعم قالت له ماغرك حتى رجعت على دينه قال لها خرجت من الظلمات الى النور ورايت الحق فاتبعته قالت له سحرك العرب وخذلوك قال لها والله انهم قوم لا يعرفون السحر وليسوا من اهله (قال) ثم حملت عليه حملة منكرة واختطفته من سرجه وسارت به حتى سلمته للملك وعادت للبراز ونادت بعبد الله والزبير فما استتمت كلامها حتى حمل عليها عبد الله حملة منكرة وضربها وقال بسم الله الرحمن الرحيم فاصابت الضربة الارض ولم يجد لها اثرا ثم حملت هي على عبد الله وارادت ان تاخذه من سرجه فتحصن منها باسماء الله الحسنى فرجعت وسار عبد الله الى المسلمين فقال له الزبير ماذا رايت في هذه الجارية قال الم اقل لك انها جنية وقد ارادت ان تاخذني اسيرا فزجرتها باسماء الله الحسنى فرجعت من حيث اتت قال له الزبير وكيف يمكن اخذها وهي على هاته الصورة قال عبد الله لا بدا ان ناخذها ان شاء الله تعلى (قال) ثم رجعت ونادت باعلى صوتها هل من مبارز فخرج اليها الزبير ولما قرب منها قالت له ما اسمك قال الزبير بن العوام وضربها وقال في ضربته

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم فأصاب جوادها فقتله فوقعت في الارض فلما اراد ان يأخذها طارت في الهواء كانها الريح وسارت لتأتي بجواد ولما قربت من الملك قال لها الم اقل لك انك لاتقدرين عليهم فهم يقاتلون الانس مع الجان قلت له وحق اللات والعزى ما رايت اقوى من هؤلاء الشبان في الحرب (قال) والزبير لايزال واقفا ينتظرها فركبت جوادا وسارت وقالت ايها الفارس انظر الحروب وحملت عليه فقال عند حملتها بسم الله الرحمن الرحيم تحصنت بالله وراغ لها فلم تنل منه شيئا وحمل عليها وضربها ضربة شديدة وقال في ضربته الله اكبر فاصاب ذراعها فجرحه فالوت عليه وضربته فاصابت جواده وزادت عليه وارادت ان تاخذه اسيرا فانفلت منها وولى هاربا ثم رجع اليها راجلا وضربها فاصاب رجل الجواد فكبابها وسقط ميتا فتصارعا في الارض ساعة ولم يقدر احدهما على صرع الاخر ثم رجعت لتركب جوادا ورجع الزبير ولما قرب من المسلمين تلقاه سليمان بفرس فركبه واثنى المسلمون عليه وشكروه وقال له عبد الله ان النهار قد ادبر والليل قد اقبل ولم يبق للبراز وقت فاسترح الان لانك تعبت في حرب هاته الجارية فقال والله ياعبد الله ما رايت اقوى منها في الحرب وعدل الزبير عن الرجوع للبراز وبات المسلمون تلك الليلة في غم شديد وحزن عظيم من اجل عقبة ومن معه من الاسارى .

(قال الراوي) ولما صلى الناس صلاة العشاء قام عبد الله الى فسطاطه وتحزم بمنطقته وتقلد حسامه وسار حتى قرب من باب المدينة وجلس يصلي على محمد ﷺ وبينما هو كذلك اذ اقبل رجل من جهة المدينة فلما احس به عبد الله اختفى في مكان هناك ولما اقترب من الباب نادى بصوت ضعيف اين انت يا عبد الله فلم يجبه عبد الله فكرر ثانيا وثالثا اين انت ياعبد الله فعند ذلك اجابه بصوت رقيق من انت ايها الرجل فقال انا اخوك في الله قال له عبد الله وما الذي اتى بك في هذه الساعة قال انت يا عبد الله قال له ومن اعلمك بي الان قال رايت ذلك في تواريخي من قبل ان تخلق في بطن امك وعلمت انك تاتي الى هذه المدينة في عام كذا في شهر كذا في ليلة كذا وان المدينة تفتح على يدك وعلى يد شيخ كبير فلما رايت ذلك في تواريخي بقيت اراقب هاته الليلة لكي انال الدرجات في الجنة فادخل الان يا عبد الله وتوكل على الله قال له ومن اين ندخل البلد والابواب مغلقة (قال) وكان

عند الرجل فاس فعمد الى الباب وحفر تحته قدر مايسع الرجل ثم دخل الرجل وادخل
عبد الله بعده واخذ بيده وقبلــه بين عينيه وقال له الحمد لله الذي جمعني بك هذه بشارة
عظيمة من عند الله وسار به واذ كان سائرا معه أتت اليه امراة فاخذت بيــده وقبلته بين
عينيه وقالت له مرحبا بعبد الله وذهبت في حال سبيلها ثم ان الرجل اوصل عبد الله الى
منزله وقال له اجلس هنا ولا تبرح من هذا المكان حتى ارجع اليك وترى وجهي (قال)
فسار الرجل الى قصر الملك فوجده نائما وداهيـة العقل مستيقظة فقالت لــه لاي شيء
اتيت في هذه الساعة قال لها سمعت بان الزبير بن العوام جرحك فاتيت لاعالجك لان
لي معرفة بالطب فشكرته واثنت عليه ثم قال لها اني اريد ان ارى اميــر العرب وكان
عقبة في محل منفرد ومعه الاسارى الذين اسرتهم داهية العقل فقالت سر اليـه وانظره
فسار حتى وصل اليه فوجده جالسا مع اصحابه لاغير فلما دنا منهم قال السلام عليكم ايها
الاسود قالوا عليك السلام ان كنت من اهل السلام قال لهـم اين اميركم عقبة قالوا هو
هذا واشاروا له بايديهم فنظر اليـه عقبة وبكى وبكت معـه الاسارى فقال لهم لاتحزنوا
ان الله معكم قالوا له ومن انت ايها الرجل قال انا اخوكم في الله قالوا لــه من اين انت
قال من اهل البلد قالوا هل لك ان تفعل معنا جميلا فتاتينا بدواة وقرطاس قــال ولم ذلك
قالوا نريد ان نكتب الى مفرح القلوب ومفرج الكروب قال من يكن هذا قالوا عبد الله
بن جعفر قال لهم ابشروا ان عبد الله عندي في منزلي (قال) فلما سمعوا كلامه قاموا اليه
كلهم وقبلوه بين عينيه فقال لهم انا الآن امضي اليه وآتيكم به لهذا المكان ثم سار الى
داهية العقل فقالت له ما ابطاك ايها الطبيب قال لها كنت اسال العرب عن دينهم فوجدت
ديننا افضل من دينهم قالت له هل تستطيع ان تداوي لي هذا الجرح بدواء نافع قال لها
هذه صناعتي وانا طبيب غير انه يوجد الآن عندنا طبيب ادرى مني بالجراحات فان اردت
اتيتك به الساعة فقالت بادر اليه وادخله علي فقال لها حبا وكرامة وسار الى ان وصل الى
منزله فوجد عبد الله نائما فاراد ان ينبهه من نومه فقالت له زوجتـــه لاتفعل فجلس عند
راسه هو وزوجته واخذا يروحان عليه حتى استيقظ (قال) فلما انتبه عبد الله وجد الرجل
وامراته عند راسه فقامت المراة واتته بطعام حسن فاكل منه قدر كفايته ثم قال
للرجل ما ابطاك قال له كنت في قصر الملك ووجدت زوجته داهية العقل مجروحة

وهي تسال عمن يداويها واجتمعت بالامير عقبة واصحابه وهم يقرئونك السلام ففرح عبد الله وقال له جزاك الله خيرا ولكن كيف يكون اللحوق بهم قال انا امضى معك حتى ادخلك على داهية العقل فاذا قالت لي من هذا الذي معك اقول لها طبيب فاذا صرت معها في القصر افعل ما اردت قال له عبد الله حبا وكرامة فسار الرجل وسار معه عبد الله وبينما كانا سائرين في ازقة المدينة لقيتهما امراة فقالت لهما مرحبا بالاطباء وتبسمت فقال لها الرجل بلسان النصرانية ما اضحكك قالت ضحكت من عبد الله الذي صار طبيبا لداهية العقل قال لها الرجل ومن اعلمك بهذا قالت الذي اعلمك اعلمني ثم قبلته بين عينيه واسلمت فى ذلك الوقت على يديه وحسن اسلامها ثم سارا الى ان اقتربا من قصر الملك فوجدا امراة ورجلا واقفين على الطريق فلما دنا عبد الله منهما تقدما اليه وقالا له مرحبا بعبد الله قال لهما ومن اعلمكما بهذا قالا عرفنا ذلك وانت في بطن امك وقبلا يديه وسارا في حال سبيلهما ووصل الرجل مع عبد الله الى القصر وادخله على داهية العقل فوجداها جالسة تنتظر قدوم الطبيب فلما اقتربا منها جعلت تنظر يمينا وشمالا فقال لها الرجل ما لي اراك حائرة متفكرة قالت اني شممت رايحة عبد الله ابن جعفر في هذه الساعة قال لها لعلها من اميرهم عقبة قالت نعم هذا هو الصواب ثم اذنت لهما بالجلوس فجلس عبد الله وقال لها امددي يدك (قال) فحققت النظر في عبد الله وقالت له من اين انت ايها الطبيب لان هيئتك هيئة غريب قال لها انا من الشام ثم امر عبد الله باحضار الزيت والسمن وجعلهما متساويين ووضعهما على نار لينة واخذ يحركهما بعود ويقرا عليهما سورة الفاتحة وآيات الشفاء وبعد ذلك دعا وقال اللهم اشفها وعافها واهدها للاسلام وكتب سورة الجن ومحاها بذائب السمن والزيت وامرها بشرب ذلك على قدر طاقتها فلما شربته ودخل جوفها غشى عليها حتى ظن خدامها انها هلكت وتسممت ولما افاقت من غشيتها وهى ترتعد كالورقة التفتت الى عبد الله وقالت له انت عبد الله بن جعفر فقال لها ومن اعلمك بهذا قالت في هاته الساعة هتف بي هاتف وقال لي ان الطبيب الذي عندك هو عبد الله فان لم تسلمي على يديه احرقتك بالنار فقمت من ذلك فازعة مرعوبة فقال لها عبد الله من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ثم نظرت الى ذراعها فوجدت الجرح ملتحما وقد شفاها الله

في الحين فزادها ذلك يقينا وتعلقا بالاسلام وقالت لعبد الله امدد يدك فمد اليها يده فاخذتها وقبلتها مرتين ثم قالت بلسان فصيح اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلمت وحسن اسلامها (قال) فلما راى ذلك الرجل الذي مع عبد الله قال لداهية العقل الم اقل لك انه طبيب ماهر وحكيم قالت له صدقت وبالحق نطقت ولكن امض وائتني بعقبة وجميع اصحابه الذين معه فسار ولما وصل اليهم وجدهم ينتظرون قدوم عبد الله فقالوا له اين الذي قلت لنا ان المؤمن اذا عاهد وفى قال لهم وما هو الوفاء قالوا انك وعدتنا بان تاتينا بعبد الله في هذه الساعة فتبسم وقال لهم قوموا على بركة الله وبركة رسول الله ﷺ (قال) فقام عقبة واصحابه الاسارى وساروا حتى دخلوا على داهية العقل فلما راتهم قامت لهم اجلالا وتعظيما ورفعت شانهم ورحبت بهم وقالت لهم لولا عبد الله ماقامت لكم قائمة في بلاد المغرب ثم احضرت لهم طعاما حسنا فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى على ذلك ثم اخذوا يتحدثون فيما بينهم عما يفعلونه مع الملك فقال لهم عقبة وما الحيلة حينئذ قالت لهم داهية العقل دونكم وعدو الله فافعلوا به ما شئتم (قال) فسار اليه عبد الله ومعه داهية العقل ودخلا عليه فوجداه نائما فاخذت داهية العقل خنجرا وارادت ان تطعنه به فمنعها عبد الله وقال لها لا تفعلي حتى يستيقظ فلما استيقظ من نومه فتح عينيه فوجد عبد الله عند راسه مع داهية العقل فقال لداهية العقل من هذا الذي معك قالت له عبد الله بن جعفر لا تخف ولا تجزع فهم قوم لا يخادعون وليس الغدر من شيمهم ولكن اختر لنفسك احد امور ثلاثة اما الاسلام او الجزية او القتال هنا في قصرك فسكت ولم يجبها بشيء فقالت له داهية العقل تكلم ولا حرج عليك فعند ذلك قال لعبد الله اما الاسلام فلا اذكره على لساني ابدا قال له عبد الله تودي لنا الجزية في كل عام كذا وكذا وبينما هما يتكلمان في هذا الامر واذا بداهية العقل طعنته على حين غفلة بخنجر فازالت راسه عن جسده ثم سارت حتى دخلت على عقبة وقالت له قم يا عقبة فقد حان الوقت فقام وسار معها الى ان ادخلته على الملك فوجده صريعا يتخبط في دمائه بلا راس فقال لها من فعل به هذا قالت من اراد التقرب الى الله عز وجل (قال) ففرح عقبة وجلس مع عبد الله ثم التفت الى داهية العقل وقال لها ماذا نصنع الان مع رجاله وارباب دولته قالت له اذا اتوا اليه في صبيحة غد كجاري عادتهم ندخلهم واحد

واحدا وكل من دخل نضرب عنقه الى ان نقتلهم جميعا ان شاء الله تعلى وبعد ذلك نرسل الى المسلمين ليدخلوا المدينة بحول الله وقوته فقال لها عبد الله اصبت (قال) ولما اصبح الصباح افتقد المسلمون عبد الله وذهبوا الى امراته وسالوها عنه فقالت انه خرج البارحة في الليل بعد ان تقلد سيفه وسار نحو المدينة ولا ادري اين هو الآن فلما سمع ذلك الزبير تحير في امره وقال قد هلك عماد الجيش كله وبكى وبكت المسلمون والنساء والولدان وبينما هم كذلك واذا برجل قد اقبل عليهم من المدينة يريد الزبير بن العوام فلما راوه تسابقوا اليه وقالوا له ما الخبر قال لهم بشارة خير ان شاء الله تعلى فساروا به الى الزبير وادخلوه عليه فدفع له الكتاب ففكه وقراه سرا فلما علم ما فيه تبسم فقال له سليمان بن خالد ما هذا الخبر قال له انظر ما فعل عبد الله بن جعفر فانه يغوص كما يغوص الماء في الارض قال له الحاضرون اقرا علينا الكتاب جهرا حتى نسمع ما فيه فقراه عليهم بصوت عال فلما سمعه المسلمون فرحوا فرحا عظيما واستبشروا وحمدوا الله تبارك وتعالى وشكروه وعند ذلك قامت اسماء بنت ياسر رضي الله عنها وقالت بأعلى صوتها هكذا الرجال من لم يفعل فعل عبد الله بن جعفر فليمت (قال) ثم كبر المسلمون تكبيرة عظيمة وركبوا خيلهم في عشرين الفا وساروا نحو المدينة فلما وصلوا الباب تلقاهم غلمان داهية العقل وفتحوا لهم الباب فلما رءاهم اهل البلد نطقوا كلهم بكلمتي الشهادة وساروا الى ان اقتربوا من القصر فتلقتهم داهية العقل وفرحت بهم واعدت لهم موائد الاطعمة الفاخرة فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تبارك وتعلى ثم اخذت داهية العقل توانسهم بالحديث وتذكر لهم ما فعلت بوزراء الملك وارباب دولته حين اتوا اليه في الصباح وكيفية قتلها لهم واحدا بعد واحد الى ان قضت عليهم كلهم ثم قالت لهم اشهدكم علي اني وكلت عبد الله على نفسي وفوضت له امري فعند ذلك قال عبد الله ايكم يتزوج بهذه المرأة قال له الزبير انا اولى بها (قال) فتزوجها الزبير على سنة الله ورسوله وبنى بها فوجدها بكرا عذراء وبنى المسلمون في المدينة مسجدا وجعلوا عليها قاضيا واولوا عليها اميرا من بني مخزوم واقتسموا الغنائم واقاموا بها احد وعشرين يوما قضوها في فرح وسرور بنعمة النصر المبين والحمد لله رب العالمين .

ذكر غزوة كرسيف

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) ثم امر الامير عقبة بن عامر رضي الله عنه الزبير

ابن العوام ان يرتحل في ثلاثين الفا فارتحلوا ولا يزالون سائرين ذلك اليوم الى ان غربت الشمس فنزلوا ثم ان عقبة لحق بهم في اخلاط العرب ونزل معهم واجتمع المسلمون بعضهم بعضا الى ان صلوا العشاء الاخرة ثم اوصاهم عقبة رضي الله عنه وقال لهم ايها الناس تعلمون اننا قد توسطنا في بلاد المغرب ولا لنا ملجئا نلجأ اليه الا الله سبحانه وتعلى فعليكم بالصبر وسيروا بسير ضعفائكم ولا يسبق منكم احد لان صاحب كرسيف جبار عنيد وشيطان مريد ممن تضرب بهم الامثال بين صناديد الرجال فقال له عبد الله قال الله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم الاية قال له الزبير صدق الله وصدق رسول الله وصدقت انت وما قلت الا الصواب (قال) ثم قالت داهية العقل ما بقي لكم الا هذا اللعين صاحب كرسيف فانه جبار عنيد وعنده جواد من عود له لولب يطير به في الهواء وهو صاحب هندسة وكان اذا عرض له امر من الامور اتى اليه وشكا له به فيفرج عنه ما اصابه من كل امر عسير (قال) ثم تفرق المسلمون وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح امر عقبة بالرحيل فرحلوا والرايات على راس عقبة كانها اجنحة طيور والطبول تضرب كانها الرعد والفضل بن العباس عن يمينه والزبير بن العوام عن يساره وساروا طول نهارهم ولما غربت الشمس نزلوا بواد كثير الاشجار وبعد ان صلوا العشاء اتى اليهم رسول من هيشوش صاحب كرسيف وسال عن فسطاط الامير عقبة فساروا معه الى ان اوصلوه اليه فلما دخل عليه قال له انت الامير عقبة قال نعم قال ان ملك كرسيف بعثني اليك لترجع عن عزمك فان انت لم ترجع فلا تلوم الا نفسك ولا تظن اننا كمن لقيت من الملوك فنحن اكثر منهم سطوة واشد باسا وانا قد نصحتك (قال) فدعا عقبة بعبد الله فلما حضر لديه قال الرسول لعقبة ومن يكن هذا الشاب قال له ابن عم رسول الله ﷺ قال وهل هو الذي تزوج بنت الملك الاكبر قال نعم قال له هذا الشاب الذي حاز الشجاعة كلها قال له عقبة نعم قال حينئذ لابد لي ان ابارزه فلما سمع عبد الله منه ذلك تبسم فقال له الرسول ما اضحكك قال له هل اتيت رسولا ام مبارزا قال اتيت رسولا ومبارزا قال له مهلا عليك فليس ذلك ببعيد ثم دعا عبد الله بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد من عقبة بن عامر وكافة المسلمين الى هيشوش صاحب مدينة كرسيف اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد ﷺ اما

ما ذكرت من ان نرجع عنك فليس الى ذلك من سبيل واعلم انا لا نرجع عنك الا باحد امور ثلاثة اما الاسلام او الجزية او القتال واما قولك بانك اقوى سطوة من ملوك المغرب فنحن نقاتلك بعون الله ورسوله ﷺ وقد قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله ﷺ ودفعه للرسول وقال له عقبة سر ولا عليك حرج (قال) وبات المسلمون تلك الليلة ولما اصبح الصباح قال لهم عقبة لا يليق بنا الا الاقامة في هذا المكان حتى ننظر ما يكون من عدو الله قال له عبد الله بن جعفر الاليق بنا ان نرحل حتى لا يعد ذلك هزيمة عند اعداء الله فقال له حبا وكرامة وامر بالرحيل فارتحلوا وساروا الى ان استوت الشمس في قبة الفلك ثم نزلوا وضربوا الفساطيط وكان في ذلك المكان جبل شاهق وفي قمة الجبل عين ماء منحدرة منه

(قال الراوي) وسار الرسول حتى دخل على الملك وناوله الكتاب فدعا براهب كبير كان عارفا بلسان العرب قد تعلمه في الشام فحضر بين يديه فناوله الكتاب فلما قراه وافهمه اياه غضب غضبا شديدا وامر في الحين والوقت بخروج الخيام الى خارج المدينة وخروج الجواري والخدم والحشم وكان عنده مائة بكر لم يمسسهن بشر قط ومثلهن ثيبات ومائة عبد ومائة جارية سوداء وما يلزم من المونة والطعام والضان (قال) وكان هذا اللعين عنده قصر خارج المدينة ملتف بالاغصان وكان يخرج اليه في كل عام يتمهرج فيه وكان القصر في نهاية البهاء والحسن تحيط به الاشجار من كل جهة وهي كلها متكاثفة مشتبكة ببعضها بعضا مختلفة الثمار وبين الاشجار سواقي المياه تجري تحتها والطيور عليها تغرد بحنين الاصوات وفي القصر انواع الوحوش من غزلان ونعام وغير ذلك مما يسر الناظر وينشرح منه الخاطر وقد جعل عدو الله في وسطه صهريجا من خمر طوله ستون ذراعا وعرضه كذلك وقد ركب فيه اربع يواقيت على قضبان من ذهب تضيء كانها الشمس (قال) وكان عدو الله اذا خرج لهذا القصر ياخذ معه مائةالف رجل لحراسته بالليل ومائة الف لحراسته بالنهار وهذه وظيفتهم على الدوام والاستمرار وكانت ملوك المغرب تهاب سطوته وتخضع له وهو يزعم ان الله اطلعه على الحجر المكرم وكان عالما وله مائة حكيم يحضرون مجلسه وكان جهير الصوت اذا تكلم كانه الرعد واذا مر بالشجرة اقتلعها وقوته تعدل قوة مائة رجل يحمل البعير بين يديه ويسير به ولهفرس من

العود راسه من الذهب وعيناه من الزبرجد الاخضر واذناه من العاج وارجله من الفضة وكان وسطه مجوفا فاذا اراد ان يطير به ركبه وحرك لولبه فيطير كالطائر في الهواء واذا اراد النزول حرك اللولب ايضا فينزل به وقد كان اخذ لملوك المغرب مائة بكر قسرا (قال) فلما سمع بقدوم العرب خرج الى القصر وليس في قلبه ادنى خوف منهم او جزع وعند ما دخل القصر امر بالجواري فحضرن بين يديه وقدمن له الاطعمة الفاخرة وانواع الخمور واتين بمباخر الطيب وجلس اللعين في مجلس عظيم

(قال الراوي) هذا ما كان من صاحب كرسيف اما ما كان من امر المسلمين فانهم رحلوا ولم يزالوا سائرين الى ان لاح لهم ضياء المدينة فعند ذلك قال لهم عقبة انزلوا بنا ههنا فقال عبد الله وحق ساكن يثرب لا يكون نزولنا الا حول المدينة لان في ذلك رفعة لنا قال له عقبة افعل ما شئت فضربت الطبول دفعة واحدة وساروا الى ان اقتربوا من قصر الملك ونزلوا فقال رافع بن الحارث لا تنزلوا في هذا المكان فان الاعداء يضرون بالمسلمين بالنبل ولم يكن غير قليل حتى طلع الحراس على السور واطلقوا النبال على المسلمين فاوقعوا بهم ضررا فقال لهم رافع الم اقل لكم انهم يضرون بنا فابتعد المسلمون ونزلوا بوادي المهايا وكان هذا الوادي قرب المدينة وفيه اشجار كثيرة فقال لهم عقبة يليق بنا هذا المكان فضربوا الفساطيط على جانبي النهر يمينا وشمالا وذبحوا البقر والغنم وطبخوا اللحم واكلوا وشربوا وحمدوا الله الذي لا اله الا هو وصلوا على نبيه محمد ﷺ (قال) وبعد ان صلى الامير عقبة بالناس صلاة العشاء استوى قائما على قدميه ونادى باعلى صوته ايها الناس لا يغرنكم كثرة الاعداء فان الله تعالى قال وهو اصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار وانتم تعلمون انه لم يبق لكم الا هذا اللعين وصاحب المدينة الحمراء ومدينة سوس وبلنس وبعض القرى وقد اصبحتم في ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والاوطان ولا ينجيكم منهم الا الضرب الصائب في اعينهم والطعن المتدارك في هاماتهم وبذلك تبلغون اربكم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا ان الصبر في مواطن الباس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وامصارهم واستعبدتم ابناءهم ونساءهم وان وليتم فليس بين ايديكم الا مفاوز لا تنقطع الا

بالزاد الكثير فامنعوا بسيوفكم وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تموتن الا وانتم مسلمون .

(قال الراوي) ثم تفرق المسلمون وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم جلسوا يتحدثون وبينما هم كذلك واذا باهل المدينة قد ضربوا طبولهم وخرجت فرسانهم كانها النمل وساروا الى ان وصلوا القصر الذي فيه الملك وقالوا له كيف يكون الامر مع هؤلاء العرب الذين نزلوا علينا قال لهم اصبروا حتى اجمع رجالي ثم استدعى بارباب دولته ووزرائه وقال لهم امضوا الى العرب وقاتلوهم عن دين عيسى واعلموا انكم ان لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وهؤلاء العرب يريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم ونسائكم واخذ اموالكم وامتلاك بلادكم ولولا ذلك ما قطعوا الفيافي والقفار واتوا ارضكم وفارقوا اهلهم واوطانهم فقالوا سمعا وطاعة فهذا هو الراي السديد ايها الملك السعيد ثم امر عليهم وزيره دهليس ابن الكنه وتفرقوا لاصلاح شانهم وفي صبيحة الغد ضربوا طبولهم ورتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ونادى عبد الله ايها الناس اكثروا بالصلاة على البشير النذير وقدموا الموت واخروا الحياة واعتصموا بالصبر تنالوا الاجر (قال) ثم ان الوزير دهليس نادى باعلى صوته ايكم يخرج للبراز ويكفينا شر هؤلاء العرب وما استتم كلامه حتى خرج ابن اخيه وهو فارس شديد البطش وكان راكبا جوادا اشهب لم ير الراءون احسن منه ولما صار بين الصفين وهو كبرج من ذهب ناداه عمه الوزير وقال له يا ابن اخي بيض اليوم وجوه بنات النصارى ولما اراد عبد الله الخروج اليه اقسم عليه رافع بن الحارث برسول ﷺ بان لا يخرج اليه سواه فرجع عبد الله وتقدم رافع للبراز وقال له يا عدو الله احمل علي او احمل عليك قال انا احمل عليك فحمل اللعين على رافع وضربه ضربة فاصابت كفل الجواد فقسمته نصفين ثم انثنى عليه رافع وضربه فلم يصبه وضربه اللعين فاصاب راس الجواد فقطعه فوقع ميتا فعند ذلك نادى عبد الله برافع وقال له ارجع واركب جوادا آخر فلما رجع لياتي بالجواد قال له الزبير امكث انت واخرج اليه انا فحلف رافع ان لا يخرج اليه احد غيره (قال) فرجع رافع الى البراز ولما دنا من عدو الله قال له ارجع قبل ان افضحك بين اقرانك وكان عبد الله واقفا ينظر الى جواد عدو الله ويتمنى انه يملكه ويركبه فحمل عليه رافع

وضربه ضربة شديدة فاخذها في درقته والوى عليه عدو الله وضربه ضربة قوية فاخذها رافع في درقته فانقطع نصفها ولم يزالا يتقاتلان الى ان غربت الشمس فافترقا ورجع كل منهما الى اصحابه (قال) فلما بلغ الخبر الملك واعلمه الوزير بما اظهره ابن اخيه من الشجاعة والاقدام فرح فرحا شديدا وامر باحضاره ولما حضر لديه قام اجلالا له وشكره ثم امر باحضار الطعام والمدام والغانيات والمطربات وقضى ليلته في لهو وطرب ولما اصبح الصباح خرج اعداء الله ورتبوا جيوشهم مثل اليوم قبله ورتب المسلمون ايضا جيوشهم واراد رافع الخروج للبراز فاقسم عليه عبد الله بن جعفر وقال والله لا يبارزه احد غيري (قال) وسار عبد الله الى البراز والنصارى ينظرون اليه ويتعجبون من حسنه وجماله وفروسيته وتحريكه للجواد واسماء بنت ياسر رضى الله عنها تنادي اليوم ولا بعده يا عبد الله بن جعفر ولم يكن غير هنيهة حتى خرج عدو الله واتى الى حيث كان بالامس فلما قرب من عبد الله نادى الزبير يا عبد الله بيض اليوم وجوه بنات العرب فتبسم عبد الله فقال له اللعين ما بالك ضاحكا قال اريد جوادك لاني وودت ان اركبه فلما سمع منه ذلك حمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة قوية فالتصق عبد الله ببطن الجواد فاتت غير صائبة والوى عليه عبد الله بخديعة وضربه على هامته فانقلب السيف في يد عبد الله وانقلب عدو الله في الارض فاوثقه كتافا واخذ جواده وسلبه وكانت قيمة ذلك الف دينار ثم رجع الى المسلمين فنزل عن جواده وركب جواد اللعين ثم عاد الى البراز ونادى باعلى صوته في الميدان هل من مبارز انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله ﷺ (قال) فلم يجبه احد فلما راى الوزير من قومه ذلك صاح فيهم بالحملة فحملت اعداء الله ورسوله على المسلمين كانهم جراد منتشر فتلقاهم بنو هاشم وبنو مخزوم وبنو امية فلله درهم من ابطال ما اشد باسهم (قال) والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وثار القتام حتى صار النهار كالظلام وقطعت المعاصم وطارت الجماجم فما كنت ترى الاجوادا غائرا ودما فائرا واشتد الكرب وعظم الضرب فما كان غير بعيد حتى ولى اعداء الله الادبار وركنوا الى الفرار فحال بنو امية رضي الله عنهم بينهم وبين البلد ووضعوا السيف فيهم وقتلوا منهم عددا لا يحصى وفر الباقون ودخلوا البلد واغلقوا الابواب وطلع الرماة على الاسوار واشتد القتال ورموا بالحجارة والنبال وقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا فرجع المسلمون

الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة في امر عظيم من الجراحات التى اصيبوا بها ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم امر عقبة بضرب الطبول فضربت دفعة واحدة ورتب المسلمون جيوشهم مثلما سبق اول مرة فلم يخرج اليهم احد من البلد التى كانت ابوابها مغلقة وكان الرماة يحرسونها من الاسوار فوقف المسلمون يوما كاملا وعند الغروب افترقوا الى مواضعهم

(قال الراوي) ولما كان وقت العشاء صلى عقبة بالناس ولما فرغ من الصلاة قال لهم ايها الناس ما الحيلة مع عدو الله فقد بلغنا ان له جوادا من عود يطير به في الهواء وهو ان ضرب اصاب وأن ضرب به احد لم يصبه فما عندكم من الراي فمن له راي فليتكلم فقال رافع بن الحارث الان اشير عليكم بامر لعله يكون نافعا ان شاء الله تعلى فاجابه الصحابة رضي الله عنهم قل عسى الله ان يجعل رايك سببا في فتح المدينة قال انتخبوا عشرة فرسان ممن يجودون بانفسهم في سبيل الله تعالى يمضون معى هاته الليلة في هذه الساعة الى المدينة لعلنا نجد فرصة او مسلكا الى اعداء الله ورسوله قال له مسروق بن زيد ان عدو الله في القصر وله حرس لايحصى له عدد ولا تقدر على الوصول اليه قال له عقبة دعه يسير اليه واستدعى بعبد الله بن جعفر فامتنع من المسير معه لانه تعب من الحرب فلما راى رافع امتناع عبد الله دعا بسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وعلقمة ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين الى ان اجتمع عنده كثير من الفرسان الشداد فاختار منهم عشرة وسار بهم الى ان اقتربوا من القصر فنزلوا وطافوا به من جهاته فلم يجدوا فيه منفذا ثم رجعوا الى فساطيطهم ولما اصبح الله بخير الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح ثم جلسوا يتحدثون فقال مسروق لرافع الم اقل لك انكم لا تجدون الى عدو الله سبيلا وان قصره حصين وحراسه كثيرون وبينما كانوا يتكلمون في ذلك واذا برسول قد اقبل عليهم من عند الملك وقال لهم كيف يا صعاليك العرب تتجاسرون علينا وتقتلون ابن اخ الوزير وحق اللات والعزى والصنم الادنى ان لم تنتهوا وترجعوا الى بلادكم نفعل بكم مكيدة عظيمة وننتقم منكم اى انتقام (قال) فلما سمع عبد الله بن جعفر كلام الرسول ضحك منه وقال له قل للملك قد قرب هلاكك ثم دعا عبد الله بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد من عبد الله بن جعفر الى صاحب كرسيف

اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد ذكرت لنا على لسان رسولك ان نرجع عنك فاعلم ان ذلك محال الا ان تسلموا فتصيروا منا لكم ما لنا وعليكم ما علينا او تؤدوا الجزية فتحقنون بها مالكم ودماءكم واولادكم وان ابيتم فالسيف حكم بيننا وبينكم حتى يقضي الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الخصال الثلاث ليس غيرها اما ان تقولوا اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله او الجزية في كل عام على كل محتلم من الرجال وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امراة ولا على راهب منقطع في صومعته فدع عنك ما تحدثك به نفسك من القوة والكثرة والشجاعة والا فاخرج للبراز لترى ما يكون من صعاليك العرب ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه للرسول فسار به الى ان دخل على الملك فناوله اياه فبعث الملك الى قسيس عنده له معرفة باللغة العربية يستحضره فلما حضر ناوله الكتاب فقراه وافهمه اياه فاطرق براسه ساعة زمانية حتى ظن الحاضرون انه لايتكلم ابدا ولما رات امراته منه ذلك استوت قائمة وقالت له ايها الملك ما هذا السكوت والعرب محاصرون لنا فانجز باحدى الخصال الثلاث الاسلام او الجزية او القتال وما قال لك صاحب الجواب الا الصواب فقال لها اني لا اخرج اليهم قالت ولم ذلك قال احتقارا لهم قالت بل انت خائف والله من هذا الشاب المسمى بعبد الله بن جعفر قال لها مثلي لا يخاف منه ولا يجزع قالت والله انه اخاف ملوكا اكبر منك سطوة

(قال الراوي) وكانت هذه الجارية يحبها الملك حبا شديدا ولا تفارقه ليلا ولا نهارا فلما سمع كلامها ارسل الى اهل المدينة وقال لهم لعنكم الصليب وغضب عليكم المسيح كيف تحاصركم العرب وانتم مقيمون بالبلد ولا تخرجون اليهم وانذرهم العذاب والعقاب فلما سمعوا ذلك من رجال الملك خشوا بطشه ولما اصبح الصباح فتحوا ابواب البلد وجمعوا بعضهم بعضا وخرجوا كانهم جراد منتشر وخرجت النسوة متزينات احسن زينة راكبات على المطايا المختلفة الالوان وخرج البطارقة وعليهم الدروع المذهبة واقبية الديباج المرقومة بالذهب الوهاج راكبين على خيل مسرجة عليها سروج ذهب والجنائب مغطاة باغشية من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضة والخز وكان معهم الصلبان وهي من الذهب والفضة وهم في زي عظيم عجيب وقد اكثروا من الطبول والزمور وضرب

القرون والمعازف حتى ارتجت الارض ولما اقتربوا من المسلمين رتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وجعلوا في القلب كبراءهم وكذلك المسلمون فانهم رتبوا جيوشهم مثلهم وجعلوا في القلب بني هاشم وفي الميمنة بني مخزوم وفي الميسرة بني امية وفي الجناحين اخلاط العرب مثل حمير وغسان وجذام وطي ولخم وهذيل (قال) فعند ذلك نادى بنو امية بعضهم بعضا وقالوا رحم الله عبدا كسر غمد سيفه في سبيل الله فلما سمع بنوا امية ذلك جردوا سيوفهم وارادوا ان يحملوا فقال لهم عبد الله بن جعفر لا تفعلوا حتى نطلب منهم البراز فعدلوا عن الحملة وتعجب بنو هاشم وبنو مخزوم مما اروا ذلك اليوم من بني امية ثم سار عبد الله الى فسطاطه ولبس ءالة حربه وتقلد حسامه وركب جواده ونادى ايها الناس خذوا حذركم من اعداء الله ورسوله ثم سار حتى دنا من صفوف الاعداء ونادى باعلى صوته وقال انا عبد الله بن جعفر هل من مبارز يبارزني ولم يزل يكرر ذلك والناس شاخصون صامتون حتى برز اليه فارس اسمه طيطال كان تضرب به الامثال ولما قرب منه قال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال له اي الاديان افضل قال عبد الله ديننا افضل الاديان قال له بما فضل على الاديان قال بمحمد ﷺ الذي لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا سماء ولا ارض ولا سهل ولا جبل ولا بحر ولا وعر واسمه في الارض محمد وفي السماء محمود وفي الجنة ابو القاسم وقد بعثه الله هاديا مهديا رسولا نبيا واماما تقيا اظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعالى به النبيين وامرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيئا ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا لاشريك له ولا ضد ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا للقربان ولا نسجد الا لله وحده لاشريك له ونقر بنبوة نبينا محمد ﷺ وعلى ءاله وصحبه انزل الله عليه كلامه الذي هدانا به مولانا فاستجبنا له واطعنا امره فكان مما امرنا به ان نجاهد من لايدين بديننا ولا يقول بقولنا ممن كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعالى عن ذلك لا تاخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان اخانا وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن ابى الاسلام كانت عليه الجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا اداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن ابي الاسلام وان

يؤدي الجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضي الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين (قال) فلما سمع طيطال من عبد الله هذا الكلام حن الى الاسلام وقال له نعم صدقت قال له عبد الله حينئذ وما منعك من الايمان بالله ورسوله قال له لو وجدنا من ارشدنا الى ذلك لفعلنا ثم قال له عبد الله لماذا اتيت الي للبراز او للسؤال قال اتيت لاسالك اي الاديان افضل قال له عبد الله قد عرفتك وبينت لك الحق من الباطل والله على ما اقول وكيل فقال طيطال يا عبد الله قد ءامنت بالله وبرسوله ولا كفر بعد اليوم ولكن اريد من الله ثم منك ان ترسل معي في ظلام هاته الليلة من يساعدني على الاتيان بزوجتي واولادي قال له عبد الله حبا وكرامة فعند ذلك ترجل وقبل يدي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه والناس ينظرون اليه (قال) فلما راى النصارى ذلك قالوا لبعضهم بعضا ان صاحبنا قد قد سحره العرب ثم اتفقوا على الحملة وحملوا على المسلمين بعنان واحد وحمل المسلمون عليهم ايضا والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتغلت الرجال بالرجال وثار القتام حتى صار النهار كالظلام ولم يكن غير ساعة حتى انهزم اعداء الله وولوا الادبار ودخلوا البلد واغلقوا الابواب وطلع الرماة على الاسوار ورجع المسلمون الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة في فرح عظيم ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بن عامر رضي الله عنه بالناس صلاة الصبح وصلى معهم طيطال ولما فرغوا من صلاتهم التفت طيطال الى عبد الله بن جعفر وقال له ايها الشاب ان المومن اذا حدث صدق واذا وعد وفى قال له عبد الله وما تريد قال اريد ان تمضي معي الى زوجتي واولادها حتى ناتي بهم قال له عبد الله ان دارك بالمدينة والابواب مغلقة فكيف السبيل الى دخولها قال طيطال اتبعني ولا شيء عليك قال له عبد الله اذا جن الظلام يكون ذلك ان شاء الله تعالى (قال) ولم يحدث في ذلك اليوم قتال ولما جن الليل صلى الامير عقبة بالناس صلاة العشاء وافترق الناس ومضى كل الى فسطاطه فعند ذلك تقلد عبد الله حسامه وسار مع طيطال الى ان قربوا من المدينة فجلسا نحو ساعة ثم نهض الرجل لينظر مسلكا يدخل منه وجلس عبد الله عند الباب ولم يكن غير هنيهة حتى اقبلت جارية معها صبيان صغار ولما اقتربت من الباب رفعت طرفها الى السماء وقالت بصوت منخفض يا اله السموات والارضين ويا من ارسلت محمدا ﷺ بالحق بشيرا ونذيرا اجمع شملي بعبد الله بن جعفر

في هذه الليلة فلما سمع عبد الله هذا الصوت من وراء الباب قال لها وماتريدين ايتها الجارية فاجابته بلسان النصرانية من اين انت قال لهـا انا من هؤلاء العرب قالت وهل يتكلم العرب بلسان النصارى قال لها نعم تعلمناه من عبد الله بن جعفر لانه كان تعلمه بالشام قالت وهل ترى من سبيل الى المسير لهذا الشاب وترافقني اليه ولك عندي مائة دينـار ذهبا قال لها وهل عزمت على ذلك قالت نعم قال ابشري فانـا عبد الله قالت اتهزأ بي قال والله ما قلت لك الا الحق ولم اكذب قط لان الكذب عندنا نحن العرب من اكبر المعاصي (قال) فعند ذلك عمدت الى شجرة وقطعت منها عودا غايظا واخذت تحفر به تحت البـاب الى ان جعلت حفرة تسع الرجل النحيف فاخرجت منها الصبيان ولم تستطع هي الخروج منها لانها كانت سمينة فاخذ عبد الله عودا وجعل يوسع الموضع حتى اتسع وقال لها اخرجي فخرجت بدون مشقة واخذت بيد عبد الله فقبلتها واسلمت في الحين واسلم صبيانها وحسن اسلامهم وساروا مع عبد الله الى ان ابتعدوا من الباب فاجلس المـراة مع اولادها وجلس ينتظر قدوم طيطال ولم يزل كذلك حتى ظن انه لايعود وكاد ييئس منه واذا به قد عـاد وهو يبكي فسار اليه عبد الله وقال له ما ابكاك قال اني ذهبت لاتفقد زوجتي واولادي فلم اجد منهم احدا واظن ان الملك امر بسجنهم فضحك من كلامه وقال لـه هل تعرف زوجتك اذا رايتها في هذا الظلام قال وكيف لا اعرفها وانـا قد تزوجتها صغيرة السن قال له عبد الله اذا فاتبعني فسار معه حتى اوصله اليها فلما رءاهـا ورأته تعانقا وتباكيا ثم ساروا جميعا الى فسطاط عبد الله ففرحت زوجته بقدومهم واسلامهم وقدمت اليهم طعامـا حسنا فاكلوا وشربوا وحمـدوا الله على ذلك واثنوا عليه وصلوا على النبي ﷺ (قال) ولما اصبح الصباح نظر اعداء الله الى الباب فوجدوا اسفله محفورا فسالـوا بعضهم بعضا عمن فعل ذلك فقالوا كلهم لاعلم لنا ثم قال بعضهم لابـد ان نعلم الملك بذلك لئلا يعاقبنا اذا سمع من غيرنـا ولم نخبره نحن فارسلوا اليه واخبروه بما وقـع فلما بلغه ذلك قال لهم وحق اللات والعزى لئن لم تؤتوني بمن فعل هـذا لاحرقنكم عن ءاخركم بالنار فرجعوا واخذوا يبحثون عن الفاعل فلم يجدوا له اثرا ولا خبرا (قال) فعند ذلك بعث الملك في طلب قسيس عنده كان طاعنا في السن له من العمر مائة وخمسون سنة فلما حضر بين يديه قال له انظر من فعـل هذا الامر بالباب وكان القسيس

عالما بالتواريخ المتقدمة والتنجيم فنظر وقال له ايها الملك ما فعل هذا بالباب الا جارية من مدينتك بحضور شاب صغير السن اسمه عبد الله وهو الى الآن ما دخل المدينة وان الجارية هي التي خرجت اليه وان هذه المدينة لاتفتح الا اذا دخلها هذا الشاب ولكني ساراقبه هاته الليلة فاذا رايت انه دخل اعلمتك به لعلنا ناخذه اسيرا فاذا تم لنا هذا ظفرنا بالنصر على العرب فاعطاه الملك مائة دينار ومائة قفيز من القمح ومائة قلة من العسل ومثلها من السمن ومائة حلة وقال له انا نراك كيف تراقب هذا العربي الذي يريد الدخول الى المدينة ولما تعلمنا بدخوله اياها في هاته الليلة او غيرها نكافيك على قدري وقدر استطاعتي ونشيع خبرك في جميع الاقطار فسار القسيس الى محله ودخل خلوته ومكث فيها ينظر وقت دخول عبد الله ،

(قال الراوي) هذا ما كان من امر اعداء الله واما ما كان من امر المسلمين فانهم باتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بهم صلاة الصبح ثم قام وسار حتى دخل فسطاط عبد الله بن جعفر فوجد الجارية مع زوجها واولادها جالسين عنده فقال له من اين اقبلت هاته الجارية واولادها قال له بعلها طيطال البارحة بالليل مضيت انا وعبد الله بن جعفر نحو المدينة وفعلنا كذا وكذا فلما سمع عقبة منه ذلك تعجب وقال سبحان من الهمه الشجاعة والمعرفة وقام الى عبد الله وضمه الى صدره وقبله ودعا له بخير وقال مثل هذا تلد النساء والا فلا (قال) واقام المسلمون على حصار المدينة ثلاثة اشهر فلما طال على اهلها الحصار اجتمع الوزراء ورجال الدولة والاعيان وتشاوروا في الامر فاستقر رايهم على الصلح والخروج الى العرب والاتفاق معهم على الجزية (قال) ولما بلغ خبر ذلك الملك غضب غضبا شديدا وامر قومه بالخروج للقتال ولم يكن غير قليل حتى ضربت الطبول وفتحت الابواب وخرج اعداء الله كالجراد المنتشر فلما رءاهم المسلمون نادى الامير عقبة في قومه وقال ايها الناس هلموا فان الجنة فتحت لكم ابوابها وتزخرفت لكم فتهيأوا لها ورتبوا انفسكم فرتب المسلمون جيوشهم في الحين ورتب النصارى جيوشهم وخرج الملك وامر ان يؤتى له بجوادة الصناعي فاتوا به فلبس ءالة حربه وركبه ولما استوى عليه حرك لولبا فطار به في الهواء واعتلى على رؤوس المسلمين واخذت يقذف النبال عليهم ويقول اليوم ترون مايحل بكم مني ولايزال يوالي الرمي عليهم حتى اضر بكثير منهم وكان عبد الله بن جعفر يناديه ويقول ياعدو الله يالعين

ليس هذا من فعل الصناديد انزل الى الميدان وانظر الحرب التي تشيب منها الولدان والعين لا يجيب بشيء ولا يزال متماديا في رمي النبال فعندذلك قال عبد الله للامير عقبة ما الراي في هذا اللعين قال له ان تمادى في ذلك يضر بنا ضررا عظيما ولا يليق بنا الان الا الحملة على جيشه لعلنا نظفر بهم وينصرنا الله عليهم ان شاء الله تعلى قال له نعم الراي ماقلت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ثم لبس عبد الله بن جعفر آلة حربه وركب جواده وركب المسلمون وحملوا بعنان واحد على النصارى وحمل النصارى عليهم وتلاطمت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتد هول الحرب وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب ولم يكن غير ساعة حتى زال بنو امية وحمير واخلاط العرب عن مواضعهم وشددالنصارى الحملة عليهم فالجأوهم الى الرجوع الى فساطيطهم فلما راتهم اسماء بنت ياسر رضي الله عنها مدبرين صاحت ببنات العرب وقالت لهن احصبن وجوه الهاربين بالحجارة واضربن خيلهم بالاعمدة واظهرن اولادكن لهم حتى يرجعوا فاسرعن اليها وسرن معها لرد الهزيمة وصرن يضربن المنهزمين ويحرضنهم على الرجعة ثم نادت اسماء باعلى صوتها يا عبد الله ادرك بني امية فقد افتضح امرهم وكانت جهيرة الصوت فسمعها عبد الله فالوى راجعا نحو الفساطيط وحمل على اعداء الله حملة منكرة وحمل معه الزبير وداهية العقل وصاحب سطيف والفضل بن العباس وابن الملك الاكبر صاحب المهدية وقتلوا النصارى قتلا ذريعا ولا يزالون يجندلون الفرسان وينكسون الابطال حتى ولوا الادبار وهربوا الى البلد فاغلقوا ابوابها وطلع الرماة على الاسوار وعاد المسلمون الى فساطيطهم وعنفوا بني امية وحمير واخلاط العرب فاعتذروا لهم وندموا على ما فرط منهم ثم افترق الناس واجتمع بنو امية وحمير واخلاط العرب وقالوا بئسما فعلنا ولكن اذا كان في صبيحة غد نخرج الى اعداء الله ولا يبارزهم احد غيرنا واتفقوا على ذلك ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح وبعد الفراغ من الصلاة امر بترتيب الجيوش ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وضرب الطبول ونشر الرايات وكان عددها الف راية (قال) فلما راى ذلك النصارى قالوا لملكهم كيف السبيل الى التخلص من هؤلاء العرب لانهم ما دخلوا ارضا الا اخربوها فقال لهم اتركوا ابواب المدينة مغلقة ولا يخرج منكم اليوم احد وانا اخرج اليهم وحدي واكفيكم امرهم ثم ركب عدو الله الجواد المصنوع وحرك لولبه فطار به

نحو المسلمين ولما صار فوقهم جعل يرميهم بالنبال النهار كله ولما غربت الشمس دخل البلد وتحصن في قصره وفي الصباح ركب ايضا وفعل ما فعل بالامس واستمر على ذلك مدة خمسة عشر يوما قتل فيها كثيرا من المسلمين فعند ذلك دعا عبد الله بن جعفر باصحابه سليمان ورافع والفضل وابن الملك الاكبر وغيرهم من امثال هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين ولما حضروا قال لهم الى متى هذا السكون واللعين قد فعل بنا ما رايتم واضر بنا وقتل منا خلقا كثيرا وان دام هذا الحال افنانا عن آخرنا فعلينا ان نتدارك الامر قبل ان يتعاظم الخطب واحسن وسيلة عندي ان نقابله بمثل ما فعل بنا فاذا اتى الينا غدا نامر الرماة برميه بالنبال عسى الله ان يهلكه وينتقم منه ولا ارى شيئا انفع لنا مما ذكرت لكم فقالوا كلهم اصبت الراي يا ابن عم الرسول ﷺ واتفقوا على ذلك (قال) ولما اصبح الصباح خرج لهم اللعين كعادته فلما راى المسلمين قد فوقوا سهامهم نحوه وانزلوها عليه كانها من من قوس واحد ولى هاربا الى قصره فدخله واغلق الابواب ودخل بيت صنمه وسجد له ولا يزال ساجدا حتى نطق الصنم وقال له لا تجزع اذا كان في صبيحة غد اخرج اليهم بجيشك وانا اكفيك امرهم واحرق كل من ظفرت به منهم انا وقومي ففرح اللعين بكلام معبوده وبات مطمئن البال ولما اصبح الصباح جلس على كرسيه واتى اليه خواص رجاله وارباب دولته فامرهم بالخروج للقتال وامر بضرب الطبول فضربت وبنشر الرايات فنشرت وخرج في جيش عظيم وهو محفوف بالرايات ولما دنا من المسلمين اضرمت نيران شيطانية وانطلق دخان اظلم منه النهار وامتد اللهيب مما يلي اخلاط العرب فهربوا نحو عبد الله بن جعفر فلما راى عبد الله ذلك استوى على ظهر جواده وصاح في الناس بالحملة وحمل وحمل المسلمون معه ولما وصل النيران تلا آيات من القرآن فخمدت في الحين كانها لم تكن وتقدموا الى جيش الملك وحملوا عليه وحمل عليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتد الحرب وعظم الخطب ولم يلبث اعداء الله غير قليل حتى ولوا الادبار ودخلوا البلد واغلقوا الابواب ورجع المسلمون الى فساطيطهم وافتقدوا انفسهم ففقدوا داهية العقل ولم يجدوا لها من اثر وظنوا انها هلكت في الحرب وتحيروا من اجلها وتكدروا وبينما كانوا يفكرون في امرها اذ اقبلت عليهم واتت بجواد الملك المصنوع الذي فيه اللولب وهي ضاحكة مستبشرة فلما راوها قاموا لاستقبالها وفرحوا بها فرحا شديدا وسالوها عن خبر

الجواد والملك فقالت لهم لما حمل عبد الله على الشياطين وزجرهم بالا يات فروا هاربين امامه وحمل عدو الله بجيشه ووقعت بيننا الحرب فانا هجمت عليه وتحاربت معه فجرحته ثلاثة جروح فلما راى ذلك مني اراد الهروب فمسكت عنان الجواد فتركه وهرب من على ظهره ونجا بنفسه فاخذت الجواد واتيت به (قال) فلما سمع المسلمون منها ذلك شكروها واثنوا عليها واخذوا منها الجواد وساروا به الى فسطاط الامير عقبة وتركوا النساء والصبيان ينظرون اليه ويتعجبون من شكله وعجائب ما فيه من الاشغال وبات الناس تلك الليلة في فرح وسرور وبات النصارى في غم شديد وحزن عظيم ولما اصبح الصباح امر اللعين باحضار ارباب دولته وخواصه فلما حضروا بين يديه قال لهم ما عندكم من الراى في امرنا مع العرب قالوا له الراى ماترى انت فقال لهم تاهبوا للقتال وحق اللات والعزى لاخرجن اليهم بنفسي واسقيهم كاس الردى قالوا افعل ما تشاء فنحن لك عبيد مطيعون (قال فركب الملك جوادا من عتاق الخيل بعد ان لبس ءالة حربه وخرج في جيش عظيم والرايات منشورة على راسه والطبول تضرب وسار حتى قرب من المسلمين فرتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ودخل الميدان وجال بين الصفوف وقال بصوت عال هل من مبارز يبارزني فلما سمعه عبد الله ركب جواده ولبس ءالة حربه وتقدم الى الميدان وقال للملك اين جوادك الطيار وسهمك القتال فلما سمع ذلك من عبد الله حمل عليه وضربه ضربة فاخذها في درقته وحمل عليه عبد الله وضربه ضربة فاتت غير صائبة ولا يزالان كذلك ساعة الى ان اصيب جواد عبد الله ووقع ميتا وتحاملا وتضاربا على ارجلهما وتصارعا النهار كله الى ان غربت الشمس وفرق بينهما الظلام فرجع كل منهما الى جيشه وفي الصباح تصارعا النهار كله ولم يظفر احدهما بالاخر وفعلا كذلك في اليوم الثالث وفي اليوم الرابع اراد عبد الله الخروج للبراز فاقسم عليه الزبير بن العوام ان يرجع وان لايخرج اليه احد سواه وخرج الزبير وبارزه فقتل له الملك جواده فتقدم اليه الفضل بن العباس وبارزه فاخذه اللعين اسيرا بخديعة واوثقه كتافا ورجع به الى جيشه وسلمه اليهم ورجع الى البراز فخرج اليه ابن الملك الاكبر وضربه ضربة شديدة فاخذها في درقته والوى عليه وضربه فاخذها في درقته ولا يزالان كذلك الى ان اخذه اللعين اسيرا وسلمه الى جيشه ورجع للبراز فخرج اليه رافع بن الحارث وحمل عليه حملة منكر وضربه فاصابت الضربة

جواده فقتله فالوى عليه اللعين وقتل جواده ايضا وتقا بضا على ارجلهما ساعة زمانية ولم يقدر احدهما على الاخر فلما غربت الشمس رجع كل منهما الى اصحابه (قال) وبات المسلمون تلك الليلة في كرب عظيم مما فعل عدو الله باصحابهم وبات اعداء الله فارحين مسرورين ولما اصبح الله بخير الصباح ضرب الاعداء طبولهم ورتبوا جيوشهم فلما راى الامير عقبة ذلك رتب جوشه ايضا ونادت اسماء بنت ياسر تحرض المسلمين على القتال وتحث بنات العرب على تحريض ازواجهن فعند ذلك لبس عبد الله ءالة حربه واراد الخروج للبراز فاتى اليه رافع وقال له لاتفعل فاني اردت اليوم ان اطلب البراز بنفسي من اعداء الله ودخل للبراز فلما دنا من الصفين قال اين انت يالعين اخرج للبراز انا رافع بن الحارث (قال) فما استتم كلامه الا وخرج اليه اللعين كانه قطعة من جبل ولما قرب من رافع قال له ارجع قبل ان افضحك بين اقرانك وما سمع منه رافع ذلك حتى حمل عليه حملة منكرة واراد ان يقضي عليه فراغ له تحت الجواد وزاده ضربة ثانية شديدة فاصابت كفل الجواد فقسمته نصفين ثم زاده ثالثة فاخذها في درقته ثم زاده رابعة فاخذها في سيفه ولم يزل رافع يوالي الضرب الواحدة بعد الاخرى الى ان هرب اللعين من بين يديه فتبعه رافع الى ان وصل الى اصحابه فلما راى اعداء الله ذلك من رافع حملوا عليه حملة واحدة (قال) ولما راى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه الاعداء هاجمين على رافع صاح صيحة عظيمة وحمل عليهم وتبعه سليمان ومسروق وخرام ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين وتبعهم الجيش كله والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان والرجال بالرجال وثار الغبار حتى صار النهار كالليل المظلم ولم يكن غير ساعة حتى انهزم اعداء الله وولوا الادبار هاربين الى البلد فدخلوا واغلقوا الابواب وطلعت الرماة على الاسوار ورجع المسلمون الى فساطيطهم (قال) وولى الملك هاربا ودخل قصره وبات تلك الليلة في حزن عظيم وعذاب اليم مما حل به وبقومه وكذلك جيوشه فانهم باتوا في نكد عظيم وغم شديد ولما اصبح الصباح دعا الملك ساارباب دولته فلما حضروا قال لهم كيف يكون الامر بيننا وبين العرب فتكلم القسيس الاكبر وقال ايها الملك ان عبد الله بن جعفر لابد ان يدخل مدينتنا ويخربها ويفعل بنا ماشاء في ليلة كذا من شهر كذا ولكني ساراقبه كما ذكرت لك ومتى علمت بواسطة التنجيم انه دخل المدينة نحتال على القبض عليه

وناتي به اليك فقال له الملك ان فعلت ذلك فلك عندي ما تطلب ثم ان الملك خلع عليه بعد ان اشهد عليه القسيسين والرهبان ثم تكلم قسيس آخر كان عالما حكيما وهو رئيس الكهان وكان يعمل الاعمال العجيبة والطلاسم المتحركة الغريبة ويعرف ما في بطن الحامل هل هو ذكر او انثى وهو من اخص المقربين عند الملك فقال ايها الملك انا اجعل لك طلسما لتكون انت الغالب للعرب قال ان انت فعلت هذا قسمت المملكة بيني وبينك (قال) فعند ذلك قام القسيس ونظر في الفلك ثم امر الرجال ان يحفروا تحت الارض طريقا الى الموضع الذي نزل به المسلمون فحفروا حتى اقتربوا من فساطيط المسلمين والقسيس كان يتبعهم فوق الارض وينظر في الفلك ولما وصلوا الى فسطاط الامير عقبة خرجوا اليه من تحت الارض وهو نائم مع اسماء فوثبوا عليهما واوثقوهما كتافا وحملوهما بعد ان اعادوا المكان الذي ثقبوه ارضا كما كان ومضوا بهما الى الملك وطرحوهما على الارض كالشياه المكتوفة فلما رءاهما عرفهما وفرح فرحا شديدا وامر باحضار الفضل وابن الملك فاحضروا بين يديه وهما في القيود فقال لهما هذا اميركما عقبة وزوجته اليوم اشفى غليلي بتعذيبهما كيف شئت ثم اخذ سوطا وجعل يضربهما ضربا وجيعا ثم وضعهما في دهليز واغلقه عليهما ورجع الى قصره فامر باحضار الطعام والشراب والجواري وآلات الطرب واسراج الشموع وقضى ليلته في زهو وطرب

(قال الراوي) ولما حضر وقت صلاة الصبح اجتمع المسلمون للصلاة ولما لم يحضر الامير عقبة كعادته للصلاة بهم ذهبوا الى اسماء ونادوها فلم يجبهم احد فعند ذلك تقدم عبد الله بن جعفر ودخل الفسطاط فلم يجد فيه احدا سوى جبة عقبة فلما راى ذلك عبد الله صاح صيحة عظيمة وخرج وهو يعض على يديه ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اين الامير وزوجته ثم ركب جواده وركب المسلمون معه وساروا الى اطراف المدينة وهم يبكون طول يومهم الى الغروب ويفتشون عنهما فلم يقفوا لهما على اثر ولا خبر ثم التفت عبد الله واصحابه وقال لهم والله ان هذا لشيء عجاب وسلموا الامر لله ورجعوا كلهم الى فساطيطهم ولم يهنا لهم طعام ولا شراب وباتوا تلك الليلة وهم في غم شديد وحزن عظيم الى ان اصبح الصباح (قال) اما الملك فلا يزال متحصنا في قصره ولم يخرج منه وتولى عبد الله بن جعفر بنفسه مراقبة ضواحي البلد عسى الله ان يمن عليه بالفرج وتضرع الى الله سبحانه وتعلى

ان ياخذ بيده وينصره على الاعداء ودام على ذلك مدة خمسة ايام بلياليها لم ير فيها داخلا للبلد ولا خارجا منها والمسلمون معه ساهرون فاتعبهم السهر وناموا في الليلة السادسة واذا بعدو الله القسيس دخل باصحابه تحت الارض ونظر في الفلك وقصد فسطاط الزبير بن العوام وساروا حتى وصلوا اليه فثقبوا الارض وخرجوا للفسطاط فوجدوا الزبير وداهية العقل نائمين فقبضوا عليهما واوثقوهما كتافا ثم نزلوا بهما واعادوا المكان كما كان حتى لم يبق اثر للثقب وساروا بهما وطرحوهما امام الملك ففرح بذلك فرحا شديدا وجعل يضربهما بالسوط ضربا وجيعا ثم وضعهما في الدهليز وقبل القسيس بين عينيه وامر باحضار الطعام والشراب ودعاه لتناول الطعام معه وجعل له احتفالا عظيما واجلسه على سرير مملكته وجمع ارباب دولته وقال لهم اشهدوا انه اذا فعل بعبد الله بن جعفر ما فعل باصحابه فان المملكة بيني وبينه والصليب شاهد علي معكم وباتوا تلك الليلة يتنادمون الى الصباح (قال) اما عبد الله والمسلمون فانهم لما فقدوا الزبير عند صلاة الصبح ذهبوا الى فسطاطه فلم يجدوا فيه احدا فقال عبدالله لاحول وقوة الا بالله العلي العظيم وصاح صيحة عظيمة وقال يا ءال هاشم ويا ءال مخزوم ويا ءال عبد مناف ما جرى للزبير وداهية العقل قالوا لا علم لنا فعظم الامر على المسلمين وتزايد حزنهم وغمهم وباتوا في كرب عظيم مما حل بهم من عدو الله ولم يسغ لعبد الله طعام ولا شراب (قال) فلما كان وقت العشاء صلى عبد الله بالناس ورفع طرفه الى السماء ودعا الله عز وجل وتضرع وبكى بكاء شديدا ثم تقلد سيفه وسار نحو المدينة على عادته وجعل يحوم حولها ويطوف بها من جهاتها الاربع فلم يجد في سورها مسلكا يدخل منه (قال) اما القسيس فانه دخل تحت الارض وسار الى فسطاط عبد الله فلم يجد فيه غير امراته بنت الملك الاكبر فقبض عليها عدو الله واوثقها كتافا ومضى بها الى الملك ففعل بها ما فعل بغيرها من ضرب السياط ووضعها في الدهليز واغلقه كل ذلك وقع وعبد الله لا يزال يطوف بالمدينة ولما قرب النهار رجع الى فسطاطه فلما دخله نظر يمينا وشمالا فلم ير امراته فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم ذهب وصلى بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم اعلمهم بما وقع لزوجته فعظم الامر عليهم وعند الضحى صلى عبد الله ركعتين ودعا الله ونام الى الظهر ولما حضر وقت صلاة الظهر قام وصلى بالناس ثم نام

ثانية وعند العصر انتبه وصلى بالناس وجلس يذكر الله الى وقت الغـروب فصلى بالناس صلاة المغرب ولما فرغ قال باعلى صوته ايها المسلمون رحمكم الله تعالى اني ذاهب الى المدينة فان انا هلكت ورجعتم الى يثرب فاقراوا مني السلام على قبر محمد ﷺ وعلى علي بن ابي طالب رضي الله عنـه وعلى امي وعلى اخي وعلى صبيان بني هاشم وكافة اهل يثرب فلما سمع المسلمون منه ذلك قالوا ياليث بني هاشم من لنا بعدك ودنوا منه وتعلقوا باذياله وقالوا والله لانتركك تمضي وتترك الجيش كالـدلو بلا حبل قال لهم عبد الله وكيف نصبر عـلى اميرنا عقبة وزوجته والزبير وزوجته وابن الملك واخته والفضل بن العباس فقالوا اما قرات قوله تعالى يـا ايهـا الذين ءامنوا اصبروا وصابروا الاية وقوله تعـالى واصبر وما صبرك الا بالله الاية قال لهم علمت ذلك ولكن وحق صاحب يثـرب لا بد لي ان امضي هاته الليلة نحو المدينة لعلي اجد مسلكا اسلك منه لعدو الله ورسوله واظفر به فلما راوا عبد الله قد اقسم بمحمد ﷺ تركوه ولم يتعرضـوا له فمضى رضي الله عنه ولحق به ومسرق وخرام وجماعة بني هـاشم وقـالوا له نمضي معك فقال لهم والله لا امضـي الا وحدي فرجعوا وسار عبد الله نحو المدينـة كالاسد الغضبان فاتى الى مكان قرب البـاب وجلس يترقب فرصة الدخول

(قال الراوي) اما الاسارى المسلمون فلا يزالون في الدهليز واتفـق ان الاميـر عقبة رضي الله عنه كان تلك الليلة يرتل القرءان الى ان بلغ قولـه عـز وجل يـا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الاية وكانت عند باب الدهليز عجوز مكلفة بحراستهم فلما سمعت هاته الاية حن قلبها الى الاسلام بفضل الله عز وجل وبركة رسول الله ﷺ وما استتم الامير عقبة تلاوة السورة الا وقد تقوى فيها حب الاسلام حيث انها نظـرت اولا الى نفسها وقالت اني كنت معدومة فمن الذي اوجدني حتى صرت على ما انا عليه الان ومن الصانع الذي صنعني ولا شك انه رب السموات والارض ولا تـزال تتفكر وتزداد ايمانا وحبا في الاسلام حتى نادت وقالت اين انت يا امير العرب فقـال لها عقبة نعم قالت له اريد ان اكلمك قـال افتحي علينا هذا الدهليز ففتحته وكلمها عقبة وقال لها مـا تريدين ايتهـا العجوز قالت اريد الدخـول في دينك قال لها اتهزئين بي قالت كيف اهزا بك وانا قد عرفت الحق من الباطل قـال لها من يهد الله فهو المهتدي قالت له اشهد علي اني اقول اشهد ان لا الـه الا الله واشهد ان محمدا رسول

الله ﷺ واسلمت وحسن اسلامها ففرح عقبة واصحابه بذلك فرحا شديدا ثم دعا الزبير بالعجوز فاتت اليه فقال لها اريد منك ان تاتيني هاته الساعة بدواة وقرطاس وان تمضي بكتابي الى عبد الله بن جعفر لياتي الينا في ظلام هذه الليلة قالت حبا وكرامة ومضت واتته بدواة وقرطاس فاخذهما منها وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم من عقبة والفضل والزبير وابن الملك الى عبد الله بن جعفر اما بعد فالحمد لله والمنة على دين الاسلام ونعلمك ان العجوز الموكلة بحراستنا قد اسلمت وحسن اسلامها فساعة وقوفك على هذا الكتاب اقدم علينا فورا في هاته الساعة العجل العجل والسلام ثم طوى الكتاب ودفعه للعجوز فاخذته وسارت به

(قال الراوي) وفي تلك الليلة دخل القسيس على الملك وقال له أعلمك ان عبد الله بن جعفر يدخل بلدك في هاته الليلة بلا شك ولا ريب وها انا قد انذرتك لتكون على حذر فلما سمع كلامه امر الحراس بالطواف في المدينة وتنوير الازقة بمشاعيل من نار فنورت وصار ضوءها كالنهار ولما كانت العجوز سائرة تعرض لها الحراس وقالوا لها الى اين ايتها السيدة قالت ان الملك كلفني بحراسة الباب قالوا لها ارجعي ونحن نكفيك امر حراسته قالت لهم انه بعثني ولا اقدر ان ارجع اليه واخالف امره وانتم لا يخفى عليكم ذلك قالوا لها سيري فمضت الى الباب وجلست هنيهة فسمعت عبد الله يصلي على النبي ﷺ فقالت له بصوت رقيق من انت ايها الرجل قال لها لاي شيء تسالين فما تريدين قالت اريد ان اخرج من هذا الباب قال لها اين تريدين قالت اريد ان امضي الى عبد الله بن جعفر قال لها وما تفعلين عنده قالت ان الامير عقبة والزبير والفضل وابن الملك الاكبر صاحب المهدية كتبوا اليه كتابا ليقدم معي في ظلام هاته الليلة قال لها ابشري انا عبد الله بن جعفر فقالت الحمد لله على ذلك ثم قالت وما الحيلة في دخولك يا عبد الله قال لها لا ادري فسكتت قليلا ثم قالت اذا فاصبر حتى ارجع اليك (قال) فمضت العجوز وغابت قدر ساعة ثم عادت وبيدها فاس ولما قربت من الباب قالت اين الحبيب قال لها نعم ثم اخذت الفاس وحفرت تحت الباب قدر ما يدخل منه الرجل وقالت ادخل يا عبد الله فنزع السيف من عنقه وقال باسم الله وببركة رسول الله ﷺ ودخل من تحت الباب وعندما استوى قائما اخذت العجوز بيده فقبلتها وقالت له مرحبا بالاسد الضرغام ودفعت

له الكتاب وسارت وسار معها فلما بلغا نصف الطريق اقبل عليهما رجل وقال السلام عليكم فردت عليه العجوز السلام فنظر الرجل الى عبد الله وقال له لاي شيء لا ترد علي السلام وانت تعلم ان السلام سنة والرد واجب قال له عبد الله ومن اعلمك بهذا فاخرج سفرا كان معه وقال الساعة كنت انظر فيه وقد علمت انك تاتي في هذه الساعة ويكون دخولك على يد عجوز وهي التي تجعل حفرة تحت الباب لتدخل منها وذكر الرجل محاسن الاسلام وصفات النبي ﷺ وما جاء في حقه في الانجيل فلما سمع عبد الله منه ذلك قال له ولاي شيء لم تدخل في ديننا قال له منذ علمت ذلك آمنت بمحمد ﷺ ثم اقسم على عبد الله وقال له لابد ان تدخل منزلي لعل الله سبحانه يرحمنا بسببك ويمن علينا ببركتك وبركة رسول الله ﷺ فاجاب عبد الله دعوته وسار والعجوز معه الى ان وصلوا جميعا الى داره فدخلوا وجلسوا واحضر الرجل لهم طعاما رفيعا فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى ثم اسرت العجوز الى عبد الله وقالت له ان صاحب هذا المنزل هو الوزير الاعظم عند الملك وبينما كانوا جالسين واذا بنسوة دخلن الدار وقلن عند دخولهن باسم الله ولما وصلن اليهم قلن السلام عليك يا عبد الله فقالت لهن العجوز ومن انباكن ان عبد الله هنا فقلن لها علمنا من قبل الان ان عبد الله ياتي الليلة الى هنا وانك انت تكونى السبب في دخوله وكان عبد الله مختفيا فلما سمعت العجوز كلام النسوة تبسمت ضاحكة من قولهن وقالت لعبد الله اخرج عليهن فخرج فلما راينه قمن له اجلالا وتعظيما وقبلنه بين عينيه واسلمن في ذلك الوقت على يديه وحسن اسلامهن وقد تعجبن من حسنه وجماله وقلن سبحان من وهب لهذا الشاب الشجاعة والحسن والجمال ٠

(قال الراوي) ثم قالت لهن العجوز اني اريد ان امضى بعبد الله نحو اصحابه الاسارى الذين اسرهم الملك فقلن لها والله لا نتركه يمضي من دارنا ولو قطعنا اربا اربا فقال لها عبد الله دعيني ههنا وسيري انت الى الصحابة واخبريهم باني هنا وقولي لهم يقدمون علي في هاته الساعة فمضت الى القصر لتاخذ مفاتيح الدهليز وتخرجهم منه ولما وصلت وجدت القسيس جالسا عند الملك وهو يقول له خذ حذرك فان عبد الله في المدينة وقد ادخلته عجوز وهي الساعة تدخل عليك (قال) فما استتم القسيس كلامه حتى دخلت عليه فقال لها الملك غضب عليك المسيح كيف بدلت دينك بدين العرب فقالت له لعنك الله انت ودينك فغضب عليها واستوى قائما

وقال لها ما افعل بك الان قالت افعـل ما بدا لك فامر غلمانـه بقتلها فقتلوها وعجل الله بروحها الى الجنة (قال) ثم نظر القسيس في الفلك نحو ساعة ثم رفع راسه وقال للملك ان عبد الله بن جعفر في هذه الساعة عند الوزير الاعظم في منزلـه فقم بنا نسير اليـه على حين غفلة لعلنا ناخذه اسيرا او نقتله فقام الملك وسار ومعـه القسيس الى ان وصلا دار الوزير فقرعا الباب فاجابهم اهل الـدار من بالباب فقال القسيس انـ الملك يريد مقابلـة الوزير في هذا الوقت وهو واقف بالباب فلما سمع ذلك الوزير اخفى عبد الله في مكان خفى وخرج لاقتبال الملك فقال له القسيس اخرج لنـا عبد الله قال له ليس عندي ولا اعرفه قال له القسيس ان لم يكن عندك فانا ابيح للملك سفك دمي في هذه الساعة فقال له الوزير ادخل وانظره بعينيك .

(قال الراوي) فدخل المـلك والقسيس واخذا يفتشان عن عبد الله ولمـا اقترب القسيس من المكان الذي هو فيه خرج اليه وقال له تقدم ياعدو الله فقد عجل الله بروحك الى النار وبئس القرار وضربه بسيفـه ضربة شديدة فقسمه نصفين فلمـا راى الملك ذلك اراد الفرار فقبض عليه عبد الله فقال لـه الملك عند ذلك لاتقتلني يا عبد الله فاني اريـد ان اتفق معك على الجزية فاوثقه كتافا وطرحه امامه وجلس عبد الله مع الوزير والنسوة بازائهما ثم قال عبد الله للملك اين مفاتيـح الدهليز الذي فيه الامير عقبة واصحابـه قال في القصر فقال الوزير انا امضي الى القصر وءاتيك بها (قال) فمضى الوزير الى القصر وقرع الباب فقال له الغلمان والجواري من بالبـاب قال انـا الوزير قد بعثني الملك لاتيـه بمفاتيح الدهليز لانه يريد حرق الاسارى فلما سمعوا منـه ذلك اعطوه المفاتيح فاخذها وسار حتى وصل داره فلما دخل وجد النسوة والاولاد يسخرون من الملك ويضحكون فرمى المفاتيح امامه فقال عبد الله للملك قم واحضر اطلاق سبيل الصحابة لئـلا اقتلك فقام في الحين وسار امام عبد الله والوزير في المدينـة وهو مغلول اليدين الى ان بلغـوا الدهليز فوجدوا الصحابة رضي الله عنهم ينتظرون قدوم العجوز ففتح الوزير عليهم الدهليز وخرجوا كالاسود رضي الله عنهم (قال) ولما خرجوا تعلق المـلك باذيـال الامير عقبة وقال لـه انا في حماك انقذني من الموت ونجني من عبد الله بن جعفر فاني خشيت ان يقتلني فعند ذلك قالت اسماء هكذا والله تلد النساء والا فـلا ثم رجعوا الى دارالوزير ولما ارادوا الجلوس قال الامير عقبة والله لايجلس احد حتى يجلس عبدالله بن جعفر فوقف القوم ولما جلس عبد الله جلسوا وبعد قليل احضر الوزير لهم طعاما حسنا

فاكلوا شربوا وحمدوا الله على ذلك ثم ان الملك وقع بين يدي بنت الملك زوجة عبد الله واخذ يتذرع لها ويستشفع بها من القتل فارادت ان تحل وثاقه فاقسمت اسماء وقالت وحق رسول الله ﷺ لا يحل وثاقه اليوم احد ولا يكون ذلك الا غدا ان شاء الله

(قال الراوي) هذا ما كان من امر عبد الله واصحابه مع الملك اما ما كان من امر المسلمين فانهم لما اصبح الصباح افتقدوا عبد الله بن جعفر فلم يجدوا له اثرا فشق عليهم الامر واجتمعوا للمذاكرة فيما يكون عليه عملهم وبينما كانوا يتشاورون في امر ذلك اذ فتح اعداء الله ابواب المدينة وهجموا عليهم فلما راى المسلمون منهم ذلك صاحوا بعضهم بعضا وحملوا على الاعداء واشتبكوا معهم في القتال فلم يكن غير ساعة حتى نصرهم الله على الكفار وهزموهم شر هزيمة وادخلوهم المدينة ودخل بنو امية خلفهم واعلنوا بكلمة الاخلاص (قال) فلما سمع عبد بن جعفر والوزير وابن الملك والفضل كلمة الاخلاص حملوا على من في المدينة وهم كالاسود رضي الله عنهم وابلوا فيهم بلاء عظيما ولما ايقن الاعداء بالهلاك نادوا الامان الامان فعند ذلك رفع المسلمون السيف عنهم وكفوا عن القتال وامنوهم وسار عبد الله على جواده الى ان وصل الى المسلمين فلما راوه مقبلا استبشروا به وتلقوه وفرحوا بلقائه وحمدوا الله سبحانه وتعلى على سلامته ثم ساروا جميعا الى الفساطيط وحوروها الى طرف المدينة ثم ساروا الى دار الوزير فوجدوا الملك موثوقا كتافا وهو مطروح بين اسماء بنت ياسر وبنت الملك الاكبر وداهية العقل فقالوا لاسماء من هذا قالت الملك قالوا لها ومن فعل به هذا قالت عبد الله بن جعفر فاثنوا عليه وتعجبوا من شجاعته وقالوا سبحان من وهب الشجاعة لهذا الصبي الذى لا نبات بعارضيه ثم عرضت اسماء على الملك الاسلام فقال لها كل شيء رضيت به وفعلته الا الدخول في دين العرب فغضب من كلامه احد الحاضرين وضربه بسيفه فازال راسه عن جسده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار

(قال الراوى) وامتلك المسلمون المدينة واقتسموا الغنائم وكسروا الاصنام واقاموا خمسة عشر يوما بنوا في اثنائها مسجدا وجعلوا عليها قاضيا واقاموا فيها الوزير حاكما وتركوا فيها رجالا ليعلموا الذين اسلموا الشرائع

ذكر غزوة العقبان وصلح تلمسان

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) ثم ان عقبة رضي الله عنه امر بالرحيل فرحلوا

فلما توسطوا الطريق نزلوا على وادي الفراق وفي هذا الوادي انهار تجري اصفى من الحليب وفيه اشجار مختلفة وما لا يوصف من الوحوش التي كانت راتعة في جهاته فحط المسلمون رحالهم وضربوا خيامهم وقد اعجبتهم هاته الارض وراق لهم جميل منظرها وحسن خصبها وازهارها وكانت الطيور تغرد بشجي اصواتها المختلفة واطلقوا خيلهم ومواشيهم للرعى فيها (قال) ولما غربت الشمس صلى الامير عقبة بالناس صلاة المغرب وحضرت صلاة العشاء فصلوها ايضا وعند فراغهم منها امر عقبة بالرحيل في تلك الليلة فرحلوا وجدوا السير الى ان اصبح الله بخير الصباح فصلى عقبة بالناس صلاة الصبح ثم امر عبد الله بن جعفر ان يرحل بثلاثين الف فارس فرحل وتبعه الزبير بثلاثين الف آخرين وكذلك الفضل بن العباس بثلاثين الف ايضا وتخلف عقبة مع آخر الجيش وهم ثلاثون الفا من حمير وغسان ولخم وجذام واخلاط العرب والنساء والولدان وكل جيش من هذه الجيوش اخذ طريقا

(قال الراوي) وبينما كان عقبة يسير واذا بعجاج طلع وغبار سد الافق من جهة القبلة ورايات مختلفة الالوان عددها نحو الالف وطبول تضرب كانها الرعد فقال الامير عقبة اخذنا ورب الكعبة ثم انه لبس آلة حربه وركب جواده وصاح في قومه ليستعدوا للقتال ووقفت النسوة خلف الصفوف بالاعمدة وتاهب المسلمون للحرب واذ كان عقبة ينظر ما يكون من امرهم حمل عليه اعداء الله فلما راى منهم ذلك حمل عليهم في الحين ونادى ايها المسلمون موتوا كراما ولا تموتوا لئاما واصبروا صبرا جميلا وتقاتل الفريقان قتالا شديدا ولم تكن غير ساعة حتى تغلب اعداء الله على المسلمين واخذوا عقبة ومن معه من النساء والرجال والولدان واسروهم وساقوهم الى بلدهم وهي مدينة تلمسان وكان اسم ملكهم دراوش وكان بينه وبين ملكة مدينة العقبان عداوة ومدينة العقبان على مسافة ثلاثين ميلا من تلمسان (قال) وسبب خروج هذا الجيش ان الملك دراوش لما بلغه خبر قدوم المسلمين على بلاده خرج مع ارباب دولته وعشيرته ورجاله عسى ان يتمكن من الفوز عليهم ويظفر بهم قبل وصولهم اليه فاتفق انه صادف في طريقه الامير عقبة ومن معه واسرهم واتى بهم الى بلاده موثوقين ومكبلين بالحديد وادخلهم بأجمعهم القصبة فلما كان من الغد امر بالدلالين بعد ان نادى مناد في المدينة لا تتخلفوا عن امر الملك واحضروا في صبيحة غد ومن اراد اسيرا او اسيرة فليشترى (قال) فحضر الناس

وباع عدو الله جميع الاسارى ولم يبق سوى عقبة وحده ثم استدعـاه وقـال له انت امير الجيش فقال له عقبة نعم قال له قل لالهك ونبيك يخلصانك من يدي فقال له عقبة يا عدو الله عما قريب ترى العجب قال وما هو هذا العجب قال ياتيك من يفنـي جموعك ويهزم جيوشك ويخلي ديارك فلما سمع اللعين منه هذا الكلام اخذ حبـلا طويـلا ودق اوتادا بين الاسوار وربط عقبة من يديه ورجليه وصلبه على ظهره وعلقه في الفضاء وكان نساء الاعداء واولادهم يضحكون منه ويسخرون وهو يبكي ويدعو الله عز وجل ويقـول يا غياث المستغيثين اغثني بعبد الله بن جعفر وكان عدو الله اذا قـرب وقت غـدائه نزله ووضعـه بين يديه واخـذ قطعة من لحم الخنزير ونـاوله اياها وقال له وحق الـلات والعزى ان لم تاكل هذا اللحم وتشرب من هذا الخمر لاقتلنك شر قتلة فيردها عليه عقبة ويقول ما اشدها من غفلة يا عبد الله اقدم وانظر الى حالي وذلي بين اعداء الله

(قال الراوي) اما عبد الله بن جعفر وجيشه فقد قصدوا مدينة العقبان وساروا يقطعون وعر الارض وسهلها الى ان اشرفوا على المدينة ونزلوا عليها وضربوا خيامهم بطرفها وبعد ذلك اقبل عليهم الزبير والفضل ورافع وابن الملك صاحب المهدية ونزلوا هنالك ايضا وانضموا الى بعضهم بعضا وكان النصارى ينظرون اليهم من الاسوار فدخلوا على ملكتهم وكانت بكرا عذراء لم يمسسها بشر قط وكانت جميلة حسناء ولهـا اربع ذوائب مضفورة بخيط الذهب الوهاج وعلى جبينها تاج فيه اربع يواقيت واسمها لؤلـؤة الطرف (قال) فلما دخلوا عليها اعلموها بالخبر فغضبت غضبا شديدا وقالت باعلى صوتها اعلى مثلي يقدم صعاليك العرب وحق اللات والعزى والصنم الادنى لارينهم حروبا تشيب فيها الولدان ثم انها امرت باحضار وزيرها الاعظم وكان اسمه دهلاق وكان صاحب راي وتدبير عالما بالزبور والتوراة وتواريخ الاقدمين فلما حضر بين يديها قالت له يا دهـلاق ائتني بالتواريخ لانظر فيها واعرف الغالب من المغلوب (قال) فمضى واتى بالتواريخ فاذا فيها ان محمدا ﷺ سيد الانبياء وانه هاشمي مكي زمزمي فمن تبعه نجا ومن عصاه خسر وان العرب ياخذون بلاد افريقية وبـلاد المغرب طـولا وعرضـا ولـولا محمد ﷺ مـا خلقـت شمـس ولا قمـر ولا جنـة ولا نـار ولا بحـار ولا قـفـار ولا سموات ولا ارضين فلمـا علمت ذلـك ازدادت بغضـا وحنقا واصفر وجههـا عند

سماعها له من دهلاق الوزير (قال الراوي) هذا ما كان من امر الملكة لؤلؤة الطرف واما ما كان من امر عبد الله بن جعفر فانه بينما كان جالسا في فسطاطه اذ اقبل عليه اربعة رجال وهم يحثون التراب على وجوههم وينادون بالويل والثبور فلما رءاهم عبد الله قال لهم ما وراءكم قالوا ان سالت عن عقبة فقد اخذه عدو الله دراوش ملك تلمسان اسيرا واخذ معه النساء والظعن ونحن لولا اننا اختفينا في مكان ما ظهر لنا ولهم خبر (قال) فلما سمع عبد الله منه ذلك قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانااليه راجعون وامر في الوقت والحين بقلع الفساطيط فلم يكن غير ساعة الا والفساطيط قد قلعت وارتحل عبد الله بجيشه نحو تلمسان وجد السير الى ان اقترب منها فامر بالنزول فنزل الجيش وضربوا الفساطيط ولما استقر بهم الجلوس سمع عبد الله بكاء الاطفال والنسوة فبكى لبكائهم ثم نادى باعلى صوته ايها الناس رحم الله من وهب نفسه للهورسوله (قال) فما استتم كلامه الا والوزير ورافع وسليمان ومسروق وخرام وابن الملك اجابوه وقالوا لبيك وسعديك واجتمعوا عنده في عشرين نفرا وساروا معه حتى قربوامن المدينة وكان الامير عقبة رضي الله عنه قد جعله عدو الله في حبل بين الاسوار وعلقهفي الفضاء فلما رءاه عبد الله على تلك الحالة نادى بكلمة الاخلاص وهو كالاسد واصحابه خلفه ثم دنوا من سور المدينة فاطلق عليهم اعداء الله النبل كالمطر فلم يستطع عبد الله صبرا على ما راى عليه الامير عقبة من العذاب الاليم وقال لاصحابه انصبوا لي رماحا لاطلع عليها السور فنصبوا له اربعة رماح ولما اراد الطلوع اكثر الاعداء من رمي النبل عليه وعلى اصحابه فتقهقروا وتركوه فلما رءاهم مدبرين صاح فيهم ودعاهم باسمائهم واحدا واحدا فتراجعوا وعادوا اليه فوجدوه قد طلع السور ولما استوى فوقه انتضى سيفه وصاح باعلى صوته انا عبد الله بن جعفر انا ابن عم رسول الله فحمل عليه اعداء الله وتكاثروا فعند ذلك صاح الزبير في اصحابه وقال لهم ادركوا عبد الله فان النصارى تكاثروا عليه فاسرعوا لانجاده وكان اول من طلع السور منهم رافع بن الحارث ولما استوى فوقه اطلق النصارى النبل عليه دفعة واحدة فاصيب بثلاثة جراحات فلما راى نفسه مشرفا على الهلاك نزل وطلع مكانه سليمان على الرماح كما فعل رافع فجرح ايضا في فخذه فسقط الى الارض فاسرع اليه اصحابه ورفعوه واوقفوه على قدميه وقالوا له ما

بك اشدد نفسك وقو قلبك فان الجنة تتزخرف امامك فالتفت اليهم وقال لهم لاباس علي اتركوني وارجعوا الى اعــداء الله فرجعوا كالاسـود رضي الله عنهم وقام الصياح بينهم وبين الاعداء ثم سـار الزبير الى سليمان ورفعه على ظهره وكان شديد القـوة وسار به الى ان اوصله الى الفساطيط ووضعه في قسطاطه ثم رجع نحو اصحابه فوجدهم مشتبكين في الحرب فطلع اليهم فوجد عبد الله بن جعفر مخضبا بدمـاء النصارى وقد اصيب بعدة جراحات خفيفة لم يشعر بها وهو لايزال يجندل الابطـال كالاسد الغضبان وقد قتل في ذلك اليوم مائة وستين فارسا من صناديدهم (قال) فلما رءاه الزبير على تلك الحالة قال جزاك الله عنا خيرا يا ابن جعفر وكل ذلك بفضل رسول الله ﷺ ثم سار الزبير واصحابه حتى اقتربوا من الامير عقبة فراوه معلقا في الفضاء ولما دنوا منه ونظر اليهم تبسم وقال الحمد لله الذي من الله بك علينا يا ابن جعفر ادام الله لنا حياتك فقال له عبد الله كل ذلك ببركة رسول الله ﷺ وبركتك ايهـا الامير ثم انتضى سيفه من غمده وقطع الحبال التي كان عقبة معلقـا بها وحل وثاقه واطلقه (قال) فلما راى الاعداء ان عقبـة قد اطلق صاحوا بعضهم بعضا وحملوا على عبد الله والزبير ومن معهما كانهم جراد منتشر واشتد القتال بين الفريقين وصبر المسلمون يومئذ صبرا جميلا وتمكنوا مع قلـة عددهم من تخليص الامير عقبة من بين ايـدي النصارى وانزلوه من السـور الى الارض ونزلوا بعـده (قال) وعند نزولهم وجدوا المسلمين ينتظرون خبرهم وكان خرام راكبا فنزل من على جواده وقدمه الى الامير عقبة فركبه وسار المسلمون في اثره الى ان اقتربوا من الفساطيط فتلقاهم المسلمون وفرحوا بنجاة الامير ورجوع اصحابـه الذين سعوا في خلاصه معه سالمين وامـر عبد الله بن جعفر بذبح الدجاج للمجروحين فذبحت وطبخت فاكل المجروحون من ذلك وشربوا المرق ثم ناموا على الفرش وغطاهم الصحابة وباتوا تلك الليلة في الم شديد من شدة الجراحات التي فشت فيهم من النبال ولما اصبح الله بخير الصباح قام الامير عقبة وهو على ما تقدم ذكره من التعب وصلى بالناس صلاة الصبح وما فرغوا من صلاتهم حتى ضرب النصارى طبولهم دفعـة واحدة كانها الرعـد وخرجوا من ابواب المدينة كانهم جراد منتشر وكان الملك يحرضهم على القتال الى ان خرج جميعهم ورتبوا جيوشهم وصفوفهم فرتب المسلمون ايضا جيوشهم وصفوفهم ثم تقدم رافع بن

الحارث وقال ايها الناس رحمكم الله تعالى انكم تعلمون ان الذين يطلبون البراز مصابون بالجراحات وحينئذ فلا يليق بكم الا الحملة فقال الامير عقبة ما قلت الا الصواب فقال عبد الله بن جعفر ان طلبوا مني البراز فانا ابارزهم ان شاء الله تعلى بحرمة رسول الله ﷺ قال رافع لاتفعل يا عبد الله فانك مثقل بالجراح قال لابد لي من ذلك ولايراني الله عز وجل قاصرا وبينما هم كذلك واذا بالملك خرج بنفسه وهو راكب على جواد احمر من عتاق الخيل وعليه ءالة حربه وتقدم حتى دنا من الصفين ونادى هل من مبارز يبارزني انا دراوش اليوم افضح جيش العرب (قال) فلم يجبه احد من المسلمين فكرر طلب البراز فعند ذلك قال له عبد الله مهلا عليك يا لعين الساعة تمضي روحك الى جهنم وبئس المصير فلما سمع كلام عبد الله غضب غضبا شديدا وجال يمينا وشمالا حتى سكن ما به وسار عبد الله من حينه الى فسطاطه ولبس ءالة حربه وتقلد حسامه وركب جواده وتقدم الى عدو الله فقال له انت عبد الله قال نعم انا ميتم صغاركم ومكسر صلبانكم ومخرب دياركم قال له ما انتم الا قوم سحرة فتحتم البلاد بسحركم قال عبد الله كذبت يا صاحب اللحية الخسيسة والله لانعرف الا الضرب بالحسام والصبر على المقام (قال) وسمع نساء النصارى بخروج عبد الله للبراز فخرجن للتفرج عليه ومعهن اولادهن فلما راينه تعجبن من حسنه وجماله وفروسيته وكيفية تحريكه للجواد. وظن النصارى يومئذ ان ملكهم يقتل عبد الله لما يعلمون فيه من الشجاعة والقوة والبطش وعند ذلك قال الزبير لعبد الله ايقظ نفسك لئلا يخدعك عدو الله فقد شاع عنه انه مخادع في الحرب (قال) فحمل عدو الله على عبد الله وضربه ضربة قوية ونادته كل امراة كانت حاضرة وكل رجل ايها الملك لاتخيب ظننا فيك وافضح اليوم جيش العرب (قال) فاخذ عبد الله الضربة في درقته حتى سمع الناس لها حسا عظيما لكن السيف لم يؤثر في الدرقة ثم الوى عليه عبد الله وضربه فقتل جواده فرجع عدو الله ليأتي بجواد ءاخر وفي خلال ذلك ظهرت غبرة مظلمة مما يلي المغرب وسمع ضرب الطبول ثم انجلت الغبرة عن رايات مختلفة الالوان وخلفها جيش عظيم فبعث الامير عقبة عيونه للاستعلام عن هذا الجيش فعادوا اليه واعلموه بان لؤلؤة الطرف اتت لنصرة دراوش في ثمانين الف فارس (قال) فلما راى المسلمون ذلك اتوا عبد الله بن جعفر وقالوا له ارجع انت واسترح

لانك مجروح ولا تتعب نفسك فلم يلتفت الى قولهم ولم يزل ينتظر رجوع الملك دراوش ثم ان الملك نادى في جيشه ايكم يخرج الى هذا العربى ويكفينا امره فسكتوا كلهم ووقع الرعب في قلوبهم لما شاهدوا فيه من الشجاعة والاقدام والفروسية ولما لم يجبه احد منهم قال لهم انا اخرج اليه بنفسي واراد الخروج فتقدم اليه وزراؤه وقالوا لاتفعل ايها الملك فقد كفى ما لحقك من التعب ونحن نكفيك امره فمكث قليلا ثم نادى اين دهلاس الاسود وكان تضرب به الامثال فلما حضر دهلاس بين يديه قال له اخرج الى هذا العربى واكفنا امره قال سمعا وطاعة الساعة اريحك منه واريك شجاعتي قال له الملك ان انت قتلته فلك عندي ابنتي وكانت له بنت بديعة الحسن والجمال (قال) فعمد دهلاس الى ءالة حربه فلبسها وتقلد سيفه وركب جوادا ابيض من عتاق الخيل وسار الى ما بين الصفين وقال اين عبد الله بن جعفر فاجابه عبد الله وقال له مهلا عليك الان اخرج اليك واتى اليه في الحين ولما اقترب منه قال له انت الذى اخذت ابنة الملك الاكبر صاحب المهدية وتزوجتها غصبا عن ابيها قال نعم قال له هل لك من راي في ردها قبل ان تفتضح بين اقرانك قال له كذبت يالعين وحمل عليه حملة شديدة وضربه ضربة هاشمية فرمى راسه عن جسده فخر في الارض صريعا يتخبط في دمائه فكبر المسلمون عند ذلك تكبيرة واحدة وفرحوا فرحا شديدا ثم اخذ عبد الله سلبه وكانت قيمته مائتى دينار دون ما على جواده ورجع للبراز مرة ثانية ونادى باعلى صوته هل من مبارز يبارزني انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد يقول

انا الفارس المشهور في كل موطن	وناصر دين للنبى محمد
لعل ننال الفوز عند الهنا	فيافوز من اضحى نزيل المؤيد
ونقتل عباد الصليب جميعهم	باسمر خطى وعضب مهند

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) فخرج اليه فارس ءاخر فقتله ولم يزل عبد الله يقتل واحدا بعد واحد حتى قتل سبعين صنديدا من ابطالهم فعند ذلك تقدم نحوه المسلمون وشكروه واثنوا عليه وحلفوا عليه ان يستريح ويكف عن القتال فرجع عبد الله وتقدم راقع مكانه فنادى الملك في قومه وهو في حزن عظيم وغم شديد مما حل به من عبد الله ألا لعنكم الصليب وغضب عليكم المسيح كيف يغلبكم العرب في دياركم ويملكون امصاركم (قال) فلما سمعوا نداءه اجتمعوا حوله

وقال له اعيانهم ايها الملك انا لم تقصر في قتال العرب وقد كافحناهم بما في جهدنا واستطاعتنا ولكن هؤلاء القوم ما غلبونـا الا بالعدل وهـم لا يتكبرون ولا يتجبرون والغني والفقير عندهم سواء ويصومون النهار ويقومون الليل ويقولون ان نبيهم افضل الانبياء وان دينهم خير الاديان ولذلك تغلبوا علينـا (قال) فامرهم ملكهم بالصوم والانصراف فتفرق الناس ودخلوا المدينة وسار عدو الله حتى بلغ لؤلؤة الطرف وسلم عليهـا ورحب بقدومهـا وعرض عليهـا الدخول للمدينة فـابت وقالت له ان جيشي كثير العدد لاتسعه مدينتك فادخل انت واتركني انا لاحرسك من الخارج فشكرها الملك ودخل المدينة

(قـال الراوي) ورجع المسلمون الى فساطيطهم ثم اجتمعوا عند الامير عقبة فقال بعض الحاضرين خذوا حذركم من هذه الجارية المسماة لؤلؤة الطرف التي قدمت بهذا الجيش العرمرم فانها مخادعة في الحروب ومـا من ملك حاربها الا خدعته ومكرت به (قال) وبات المسلمون ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم رتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبـا وجناحين فعند ذلك قـال العرب لبعضهم بعضا ان بني هاشم وبني امية قد قضوا الواجب عليهم ولم يبق الا انتم يـا بني مخزوم فيتحتم عليكم الان ان تقوموا بما فرضه الله عليكم

(قـال الراوي) واذ كان العرب يتكلمون في امر ذلك خرج عدو الله من المدينة فضرب طبوله ورتب جيوشه ميمنة وميسرة وقلبـا وجناحين وما استتموا ترتيبهم حتى خرج اليهم عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ولما دنـا من صفوفهم نادى بصوت عال اين الملك ليخرج للبراز ولا يبارزني اليوم غيره فسمعه اربـاب دولته وافهموا ملكهم مـا قال عبد الله فقـال لهم اني لا اتاخر عن برازه وانتم خذوا على انفسكم وكونوا مستعدين للحملة فقالوا لا تخرج انت ونحن نكفيك امره قـال لهم كيف لا اخرج اليه وهو يطلبني بصوت عال (قـال) ثم انه لبس ءالة حربه وتقلد حسـامه وخرج كانه برج من حديد وكان عبد الله واقفا بالميدان ينظر اليه ويترقب وصوله فلما دنـا منه قال له انت عبد الله قال نعم قال له اى الاديان افضل قال انتم تعلمون في كتبكم ان ديننا افضل ونحن افضل عند الله منكم ولكنكم تنكرون ذلك فقـال دعنا الان من هذا الكلام واحمل علي او احمل عليك قـال له عبـد الله احمل انت علي (قـال) فحمل عدو الله عليه وضربه ضربة شديدة حـتى خشي منهـا المسلمون على عبـد الله اذ راوه مـال عن سرجه الا انه

رضي الله عنه كان قوي الساعدين فتلقاها بدرقته ثم الوى عليه وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب على هامته فشطرها شطرين واخذ سلبه

(قال الراوي) فلما راى النصارى ملكهم صريعا في الارض حملوا على المسلمين حملة واحدة فحمل المسلمون عليهم وثار الغبار واظلم النهار واشتد القتال ولم يكن غير ساعة حتى انهزم الاعداء وولوا الادبار تاركين في ميدان القتال عددا لا يحصى من الاموات ولما رات لؤلؤة الطرف جيوش الملك مدبرين وللنجاة طالبين امرت جيوشها بالحملة على المسلمين فحملوا وتلاطمت الابطال بالابطال والرجال بالرجال والفرسان بالفرسان واشتعلت نار الحرب وكثر الطعن والضرب وعند ذلك نادى سليمان يا بنى هاشم اثبتوا مكانكم وتلاحق الناس ببعضهم بعض وكثر الصياح واسماء بنت ياسر رضى الله عنها كانت تنادي باعلى صوتها ايها الناس رحمكم الله اثبتوا ولاتفضحوا اميركم عثمان بن عفان ثم نادت عبد الله ورافع وخرام ومسروق وقالت لهم ها انا وبنات العرب شاهدات عليكم وعلى ما تبدونه اليوم في قتال الاعادي (قال) فدعا بنو هاشم بني مخزوم وشددوا الحملة على النصارى فصبروا لهم صبرا جميلا وتقاتلوا معهم قتالا عنيفا وبينما هم فى الحرب الشديد اذ بالعصبة التي كانت مع الامير عقبة ولوا الادبار فنادت اسماء بنت ياسر بعبد الله وقالت له ادرك القوم وكانت جهيرة الصوت فسمعها عبد الله فقال لابن عمه حمزة خذ الراية من يدي حتى نرد بني امية الى مواضعهم فاخذها منه ومضى ومعه رافع والزبير واعادوا بنى امية الى مراكزهم بعد ان فتكوا بالاعداء وقتلوا منهم مائتين فنادت اسماء وقالت لله درك يا ابن جعفر ثم ان الاعداء تكاثروا على بنى مخزوم فتلقوهم بصبر وثبات لا مزيد عليهما فلله درهم (قال) فلما رات لؤلؤة الطرف جيشها مشرفا على الهلاك امرت الرماة بالطلوع على الاسوار واطلاق النبل ففعلوا فلما راى المسلمون ان النبال قد اضرت بهم وجرح منهم كثير رجعوا الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة يداوون جروحهم والنيران تتوقد الليل كله ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم رتبوا جيوشهم وجلسوا ينتظرون خروج الاعداء من المدينة ولم يزالوا واقفين الى ان قرب وقت صلاة الظهر فلم يخرجوا اليهم ولم يطلبوا القتال فافترقوا رضي الله عنهم ورجعوا كلهم الى فساطيطهم الا عبد الله فانه مكث يبحث في الارض

ويجول في تلك الانحاء وهو راكب حصانه ، (قال الراوي) اما لؤلؤة الطرف فانها بعد ان قتل الملك وانهزم جيشها في القتال ودخلت المدينة جمعت اهل المدينة ورجال الدولة فيها وقالت لهم اغلقوا الابواب واحرسوا المدينة ففعلوا ومكثوا على ذلك اربعة عشر يوما فلما كانت ذات ليلة شديدة الظلمة امرت عشرين الفا من جيشها بالركوب فركبوا في الحين وسارت بهم الى جيش المسلمين وهجمت عليهم على حين غفلة (قال) ولم يكن عندهم خبر بما اضمرته لهم اللعينة من المكر والخديعة ولم يشعروا الا والفرسان قد دهمتهم ووضعوا السيف فيهم وقتلوا في اسرع وقت مائة فارس من اخلاط العرب وثمانية من بني مخزوم وخمسة من بني هاشم واسروا ثلاثين من بني امية (قال) فايقظ الضجيج المسلمين فركبوا خيلهم وحملوا على اعداء الله والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتغلت الرجال بالرجال ولم تكن غير ساعة حتى ولى اعداء الله مدبرين ورجعوا منهزمين وقد قتل الناس بعضهم بعضا من شدة الظلام واقتفى المسلمون اثرهم ولا يزالون يتبعونهم الى ان ادخلوهم فساطيطهم ولما راى بقية الجيش المسلمين هاجمين عليهم اطلقوا عليهم النبل كالمطر الغزير حتى اضطروهم الى الرجوع الى فساطيطهم

(قال الراوي) ولما رجعوا تفقدوا بعضهم بعضا فوجدوا انه قد فقد ايضا من بني مخزوم سبعة فوارس ومن بني هاشم ثلاثة ومن اخلاط العرب ستون فارسا ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس ولما فرغ من الصلاة امر بضرب الطبول ثم امر بالزحف على الاعداء فزحفوا فتلقاهم النصارى بالنبل فلم يستطع المسلمون صبرا عليها ورجعوا ولم يقع بينهم قتال في ذلك اليوم وبات النصارى في فرح وسرور (قال) ثم ان لؤلؤة الطرف استحضرت وزيرها وكان كاهنا ماهرا وقالت انظر لمن يكون النصر لنا او للعرب فقال لها لا تغرنك كثرة جيوشك وانظري في عاقبه امرك فان العرب لا بدلهم ان يملكوا المغرب طولا وعرضا ببركة نبيهم لان نبيهم افضل الانبياء على الاطلاق قالت وبم تبين لك هذا قال علمت ذلك من كتبنا قالت له ولاي شيء لم تسع في نشر ديانته وتحرض على اتباعه قال لو شاء الله لفعل ذلك (قال) فدعت بارباب دولتها فلما حضروا بين يديها قالت لهم كيف يكون الامر مع هؤلاء العرب قالوا لها منك الامر ومنا الطاعة فافعلي ما شئت فنحن بين يديك قالت اني اريد الرحيل الى مدينتنا قالوا ان نحن مضينا وتركنا تلمسان فان العرب يدخلونها

لامحالة قالت وعلى كل حال فنحن لانقدر على منعهم من دخولها لانهم لابـد ان يملكوا المغرب طولا وعرضا ولايليق بنا الا ان نرحل الى مدينتنا ونتحصن فيها ونضع الرماة على اسوارها ولا يخرج احد منا لقتالهم وبرازهم فاذا طالت عليهم الايام يفرغون من الزاد فيرحلون عنا من غير مشقة ولا قتال فقالوا ما قلت الا الصواب فعند ذلك امرت بالرحيل فلم يكن غير ساعة حتى اقتلعت الفساطيط من مواضعها وارتحلوا يريدون مدينتهم العقبان (قال) فلما رءاهم المسلمون راحلين تعرضوا لهم في سبعين الفا من صناديد ابطالهم فاراد النصارى ان يحملوا عليهم فمنعتهم الملكة لؤلـؤة الطرف ورتبت جيشها ميمنة وميسرة وقلبـا وجناحين ثم دنت من جيش المسلمين ونادت عبد الله بن جعفر بصوت عال فخرج اليها وقال لها ما تريدين قالت اريد ان اسالك عن اشياء كثيرة قال سلي عما شئت قالت اي الاديان افضل قال ديـنـنا افضل الاديان ونبينا افضل الانبياء وقد كنا فيما مضى اهل جاهلية جهلاء ياكل قوينا ضعيفنا ولا يامن بعضنا بعضا الا في الاربـع الاشهر الحرم نعبد من دون الله الاصنام والاوثان التي لاتسمع ولا تبصر ولا تنفع ونحن عليها مكبون ولها حاملون فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقي منا كافرا بربه قاطعا لرحمه حتى بعث الله لنا نبيا نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا نبيا واماما تقيا اظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنـا بقرءان مبين وصراط مستقيم ختـم الله تعلى به النبيين وامرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيئا ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا لاشريك له ولا ضـد ولا نـد له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا للقربان ولا نسجد الا لله وحده لاشريك له ونقر بنبوة نبينا محمـد ﷺ وعلى ءاله وصحبه انزل الله عليه كلامه الذي هدانـا به مولانـا فاستجبنا له واطعنا امره فكان مما امرنا به ان نجاهد من لايدين بديننا ولا يقول بقولنـا ممن كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعلى عن ذلـك لا تاخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنـا كان اخانا وصار له مالنا وعليه ما علينـا ومن ابى الاسلام كانت عليه الجزية يـؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا اداهـا حقن بها ماله ودمـه وولده ومن ابى الاسلام وان يؤدي الجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضي الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين

ونحن خير إمة اخرجت للناس نومن بنبينا ونبيكم وبجميع الانبياء وقد جعلنا الله نامر بالمعروف وننهى عن المنكر ونقر بالذنب ونستغفر منه ولو اذنب الرجل منا ذنوبا تبلغ مثل الجبال فتاب منها قبلت توبته وان مات مسلما فله الجنة ٠

(قال الراوي) فلما سمعت لؤلؤة الطرف كلام عبد الله قالت له ان في نفسي اشياء كثيرة يمنعني طولها من ذكرها الان فدعني امضي الى مدينتي عسى الله الذي فضل نبيكم على سائر الانبياء ان يهدينا الى الصراط المستقيم قال لها عبد الله افعلي ما بدالك قالت اكتم هذا الحديث حتى لايسمع به احد قال لها امضي ولاحرج عليك (قال) فسارت بجيشها فلما رءاها المسلمون سائرة مع قومها هموا بالحملة عليها فصدهم عبدالله وردهم الى مواضعهم فجلسوا يتحدثون الى وقت العشاء ثم صلوا صلاة العشاء وتفرقوا الى فساطيطهم وناموا تلك الليلة الى الصباح ٠

(قال الراوي) اما اهل تلمسان فانهم بعد ان رحلت لؤلؤة الطرف اجتمعوا في القصر فقال راهب من كبرائهم وكان صاحب راي وتدبير اعلموا ان الملك قد قتل وقد تفرق شمل من كان معه وقد وصلكم ما صنع هؤلاء العرب مع ملوك دين النصرانية وبني ماء المعمودية وكيف ملكوا الشام وارض ربيعة وديار بكر وديار مضر ومصر وغالب البلاد الافريقية وقد دانت لهم الامور وانتشر شرعهم وعلا ذكرهم ودخل في دينهم الملوك والبطارقة وما نزلوا على بلد الا ملكوه ولا وافوا جيشا الا هزموه وقد دخلوا ارضكم وحلوا ساحتكم فما ترون من الراي الرشيد قالوا ايها الراهب ما تكلمت بشيء الا فهمناه وعرفناه والامر اليك فقال الصواب انكم تحقنون دماءكم وتصونون حريمكم واموالكم وتدخلون فيما دخل فيه اهل البلاد وتصالحون العرب فتامنون على انفسكم وتعيشون في ظلهم وان تطلقوا سبيل الاسارى من نسائهم وصبيانهم ورجالهم الذين اشتريتموهم لتخففوا عنكم المصاب فقالوا هذا هو الصواب قال فلينطلق منكم رجال الى هؤلاء العرب ويعقدوا لنا معهم صلحا (قال) فتفرق القوم وسار جمع من خيارهم نحو جيش المسلمين فلما رءاهم الامير عقبة وقومه علموا انهم اتوا لطلب الصلح فاستقبلوهم وسلموا عليهم ورحبوا بهم ومشوا معهم الى فسطاط الامير عقبة واذا هو جالس على التراب ووجوه اصحابه حوله وهم يكثرون من ذكر الله وليس لهم حاجب ولا بواب فسلموا عليهم فقرا عقبة واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها اوردوها فتقدم الجمع وقالوا ايكم

الامير حتى نخاطبه فقالوا ليس فينا امير ولا من يلحظ اخاه بعين الذل لان الاسلام شملنا والدين جمعنا ونحن عباد الله فلما سمعوا ذلك قالوا باجمعهم والله ما نصركم الله علينا الا باتباع نبيكم وقول الحق في دينكم ونحن نريد ان نعقد لنا معكم صلحا فقال عبد الله بن جعفر كم تبذلون لنا من المال فقالوا مهما اردتم امتثلناه فقال انا لا نريد الا ما ترضى به اهل المدينة حتى تطيب قلوبهم فارجعوا اليهم وشاوروهم في امر ذلك وفي صبيحة غد افتحوا ابواب المدينة واطلقوا سبيل الاسارى واخرجوا الينا لنتفق معكم على شروط الصلح

(قال الراوي) فعاد القوم الى المدينة واجتمعوا مع قومهم في كنيستهم وحدثوهم بما كان وبما راوا من اصحاب رسول الله ﷺ وحسن تواضعهم وكرم اخلاقهم فقال بعضهم انا نخشى ان فتحنا ابواب المدينة ان يهلكنا العرب وربما كان طلبهم ذلك خديعة منهم للوقيعة بنا فقال لهم راهبهم الاكبر ان العرب لا يخدعون ولا يقولون الا الصدق فاذا كان في صبيحة غد اخرجوا اليهم ولا تخافوا فانهم اهل صدق ووفاء (قال) فلما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح وما فرغوا من صلاتهم حتى فتحت ابواب المدينة وخرج كبراؤها بالف مطية عليها انواع الحرير وفي كل منها الف دينار مع الف خادم والف جواد والف حلة حمراء وامامهم الاسارى وساروا حتى وصلوا الى فسطاط الامير عقبة وسلموا عليه وفرح المسلمون بجمع شملهم ثم جمع عقبة عنده بني هاشم وبني مخزوم وشاورهم في امر الصلح فاجمع رايهم على ذلك واتفقوا مع وجوه المدينة وصالحوهم على ان يؤدوا لهم في كل عام مائتي قفيز شعيرا ومائتي قفيز برا وحنطة ومائة خادم ومائة قلة من العسل ومثلها من السمن ومائة جواد من عتاق الخيل وثلاثة قناطير من الفضة وقنطارين من الذهب وكتبوا ذلك في صك وختم عليه بخاتم الامير عقبة ثم ان عقبة استدعى قسيسهم الاكبر وولاه ملكا عليهم برضاهم واعطاه صك الصلح ورجع القوم الى مدينتهم فرحين مسرورين وضربوا الطبول والمزامير وجلس القسيس على سرير الملك وبايعه ارباب الدولة والامة وبعد ان استراح المسلمون ثلاثة ايام ارتحلوا يريدون مدينة العقبان

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولقد بلغني من رواية اخرى ان اهل تلمسان لم يصالحوا وانما اسلموا عن اخرهم فقد قال الراوي ان المسلمين لما نزلوا عليهم حاصروهم مدة سبعة ايام فلما كان اليوم الثامن اجتمعوا في كنيستهم وقالوا ان

هؤلاء العرب قد فتحوا البلاد طولا وعرضا ولولا دينهم الحق ما ملكوا جميع هذه البلاد فمن الاحسن لنا والاليق بنا ان ندخل في دينهم لننال السعادتين الدنيوية والاخروية فاتفق رايهم على الاسلام فطلعوا على الاسوار ونادوا باجمعهم معاشر المسلمين انا نقول اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم فتحوا ابواب المدينة ودخلها عقبة والمسلمون وبنوا فيها جامعا وجعلوا رافع بن يزيد الغساني قاضيا عليها ليقضي بين الناس ويعلمهم الصلاة والوضوء والفرائض والسنن وقراءة القرءان واولوا الراهب عليها ملكا واقاموا فيها ثلاثة ايام ثم ارتحلوا قاصدين مدينة العقبان

(قال الواقدي) وساروا يجدون السير الى ان نزلوا على المدينة فضربوا الفساطيط باطرافها واطلقوا خيلهم للرعي في اراضيها واستقروا هنالك ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع امر الامير عقبة عبد الله بن جعفر بان يكتب الى لؤلؤة الطرف اما بقبول الاسلام او الجزية او القتال فدعا بدواة وقرطاس وكتب لها بذلك وطوى الكتاب ودفعه لرجل من حمير وقال له سر بـه وبلغه للملكة فمضى الرجل حتى بلغ المدينة فوجد الباب مغلقا والحراس متجمعين حوله فلما قرب منهم اطلقوا عليه النبل فاصيب بثلاثة سهام فولى هاربا ودخل على عبد الله فاعلمه بالقصة فغضب غضبا شديدا وقال والله لا نبرح من هنا حتى نشفي منهم الغليل جزاء تعديهم على رسولنا وبينما كان المسلمون يتحدثون في امر ذلك واذا باعداء الله ضربوا طبولهم وخرجوا من المدينة وضربوا الفساطيط قريبا من المسلمين وخرجت لؤلؤة الطرف في موكب عظيم والجواري حولها يمينا وشمالا والرايات منشورة على راسها فنصب لها غلمانها سريرا من العود وهو مصفح بالذهب ومرصع بانواع الجواهر وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا وكان كل من يراها يظن انها جالسة في الهواء لما في هذا السرير من عجيب الصنع (قال) فعند ذلك امرت باحضار ارباب دولتها فحضروا بين يديها ولم يتخلف منهم احد ثم قال لها الوزير الأعظم ان رجال الدولة قد حضروا كلهم فالتفتت اليهم وقالت لهم كيف يكون الامر مع هؤلاء العرب الذين نزلوا علينا قالوا السيف بيننا وبينهم ولا بد ان نقاتلهم ولا نرجع عنهم ابدا حتى نظفر بهذا الشاب المسمى عبد الله بن جعفر الذي هو عماد الجيش كله قالت انكم لا تقدرون على ذلك فقالوا لو كنا غير قادرين ما طلبنا حربهم ونحن عندنا ابطال لا تطاق قالت لهم افعلوا ما بدا لكم (قال) فرتبوا جيوشهم

ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فلما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم ايضا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين في الميمنة بنـو مخزوم والميسرة حمير وفي الجناحين اخلاط العـرب واتت اسماء بنت ياسر رضي الله عنها خلف الصفـوف ووقفت مع بنات العرب لـرد المنهزمين وتعييرهم وتوبيخهم (قال) وبعد ان رتب النصارى جيوشهم قالت لهم لؤلؤة الطرف اين الذين يزعمون انهم ابطال وشجعان فليخرجوا الى عبد الله بن جعفر ولا يطلبوا سواه (قال) فما استتمت كلامها الا وخرج فارس شديد وبطل صنديد لا يطاق في الحرب ولا يكل من الطعن والضرب اسمه قهرمان وكان ممن تضرب بهم الامثال في بلاد المغرب وقد لبس آلة حربه وتقلد حسامه ونادى باعلى صوته اين عبد الله بن جعفر ليخرج للبراز ولا يبارزني اليوم غيره وشاع خبر اقتتال هذين الفارسين العظيمين بين نساء المدينة فخرج اكثرهم للتفرج عليهما

(قال الراوي) فلما سمع عبدالله بن جعفر نداء قهرمان قال له مهلا عليك انا الذي ابارزك ولا يبـارزك احد غيري فقال الزبير يا عبد الله انا اكفيك امر هذا اللعين قال كيف اتاخر على من طلبني للبراز فهذا لا يكون ابدا فقـال له الزبير والله لا يخرج له احد غيري فعند ذلك تاخر عبد الله وتقدم الزبير حتى دنا من الصفين ولما اقترب من عدو الله قال له انت عبد الله بن جعفر قال انا الزبير قال ارجع لا حاجة لي بك فاني لم اطلبك انت ولم اطلب الا عبد الله بن جعفر قال له الزبير انا ابارزك واطلبك (قـال) فلما راى قهرمان الزبير مصمما عـلى برازه ولى راجعـا الى اصحابه فرجع الزبير الى المسلمين ولم يقع قتـال في ذلك اليوم وبات الاعداء في فرح عظيم حيث توهموا ان عبـد الله تاخر عن قتال قهرمان رهبة منه وسمعت ذلك لؤلؤة الطرف فقالت لقومها ما سبب فرحكم قالوا عدول عبد الله عن البراز قالت لهم غدا يتبين لكم الحق من الباطل

(قال الراوي) فلما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح وبعد فراغه من الصلاة امر بترتيب الجيوش ونادى باعلى صوته ايها الناس رحمكم الله تعـلى هلموا الى الجنة فانها امامكم فحضروا كلهم وترتبوا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ثم ان عبد الله لبس آلة حربه وتقلد حسامه وركب جوادا من عتاق الخيل وسار وحمائل سيفه تنجر في الارض وبينما هو سائر اذ خرج قهرمان ينادي اين عبدالله فاسرع اليه وقال ها انا ذا اتيتك فما كان من عدو الله الا ان حمل عليه في الحين وبادره بضربة شديدة راغ لها عبدالله فاتت غير

صائبة ثم الوى عليه وضربه ضربة مثلها فاخذها في درقته ولا يزال الان كذلك في قتال شديد الى ان غربت الشمس فعند ذلك صاح الزبير بن العوام بعبد الله بن جعفر وقال له ما هذا التطويل انا لم نعهد منك ذلك فافعل ما نعهده فلما سمع عبد الله من الزبير هذا الكلام حمل على قهرمان حملة منكرة وخادعه بضربة فقصمه وجواده نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ سلبه وكانت قيمته الف دينار وكبر المسلمون عند ذلك تكبيرة واحدة (قال) فلما راى النصارى ما حل بصاحبهم حملوا على عبد الله بركاب واحد وحمل المسلمون عليهم ايضا والتقت الابطال بالابطال والرجال بالرجال والفرسان بالفرسان وكانت ليلة مقمرة ولم يكن غير ساعة حتى ولت حمير الادبار فلما رءاهم عقبة مدبرين صاح فيهم يا آل حمير لا غالب الا الله فما هذا من عمل الابطال الرجعة بارك الله فيكم فلما سمعوا كلام الامير عقبة رضي الله عنه تراجعوا معه وتكاثرت عليهم جموع النصارى ونادت اسماء بنت ياسر يا عبد الله ادرك عقبة وكان عبد الله قد انجرح في تلك الليلة عدة جراحات وتخضب بدمائه والزبير بن العوام رضي الله عنه كان يختطف الفرسان ويضرب بعضهم ببعض فيهلكهم وداهية العقل كانت مكشوفة الراس وهي تضرب بسيفها وتهشم بدرقتها والنصارى يمطرون النبل عليهم ودام القتال على هذا المنوال الى ان مات من الجانبين خلق لا يحصى وجرح عدد عظيم (قال الواقدي رحمه الله تعلى) حدثني ابو عامر قال كنت ممن حضر ذلك اليوم فرايت الامير عقبة بن عامر رضي الله عنه كالاسد الغضبان عليه جبة من صوف وهو لا يكل ولا يمل من الطعن والضرب وقد ابلى في الكفار بلاء حسنا ولا يزال كذلك الى ان مزقهم كل ممزق وهزمهم شر هزيمة وولوا هاربين الى المدينة فدخلوا واغلقوا الابواب وعند ذلك رجع المسلمون الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة وعند الصباح اشتغلوا بدفن موتاهم وقضوا في ذلك غالب يومهم ولم يحضر معهم يومئذ عبد الله بن جعفر لانه كان مثقلا بالجراح ولما فرغوا من ذلك اجتمعوا عند عقبة وذاكروه في امر الحرب وما يكون عملهم مع اهل المدينة فقال لهم يلزم الان ان نوقف كل حركة وان لا نفعل امرا من الامور الا بحضور معمر القبور الاسد الضرغام مفرج الكربات وميتم البنين والبنات عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا منه ذلك فاضت اعينهم من الدمع ونهضوا من حينهم فتوجهوا

الى فسطاط عبد الله فوجدوه متكئا على جنبه الايسر فلما راهم اراد القيام لهم فلم يستطع من فرط الم فشق عليهم ذلك ثم بعد قليل لحق بهم الامير عقبة فدخل على عبد الله وقبله بين عينيه وضمه اليه واسنده الى صدره وفي اثناء ذلك ادركهم الزبير وبعد ان حياهم وقبل عبد الله دعا بماء فتوضا وصلى ركعتين وتضرع الى الله سبحانه وتعلى ان يشفى عبد الله ثم دعا وقال الهى وسيدى ومولاى انت تعلم ما حل بالمسلمين وكل ذلك ابتغاء مرضاتك فاسالك اللهم بحرمة رسولك ونبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان تشفي لنا عبد الله بن جعفر

(قال الراوى) والله ما استتم الزبير دعاءه حتى اخذت عبد الله سنة فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقف عليه ومسح جراحاته بيده الشريفة وقال له الله حافظك وناصرك حتى تعود الى بلادك فانتبه عبد الله فرحا مسرورا ومس جراحاته فلم يجد لها اثرا فتهلل وجهه واستبشر وذكر ذلك لمن حوله ففرحوا فرحا عظيما وحمدوا الله وصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم ثم خرجوا وذبحوا الذبايح من البقر والغنم وطبخوا الاطعمة واكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى على برء عبد الله بن جعفر وما بشرهم به سيد الانام من نصر الاسلام وعند الصباح ركب عبد الله جواده وركب معه اصحابه وجعلوا يطوفون حول المدينة لينظروا منفذا يدخلون منه فلم يجدوا غير الابواب التى كانت مغلقة وهي خمسة وثلاثون بابا ولهذه المدينة عشرة اسوار عريضة يسع كل منها صفابه عشرون رجلا وبين كل منها مسافة غير قصيرة وبداخلها قصور مشيدة نحو الخمسين مختلفة الشكل وفيها من الاشجار والثمار والاطيار مايفوق الوصف وفي كل قصر مائة جارية من البنات الابكار وكانت لؤلؤة الطرف تداول المبيت فيها فتقضى ليلة في كل قصر وكانت هذه الارض يسكنها العقبان وهى ارض زاهرة خصبة وكان يملكها ملك عظيم القوة والشان وهو ابو لؤلؤة فاتفق ذات يوم انه خرج للصيد والقنص في جمع عظيم من وزرائه ورجال دولته فلما وصل اليها وجد فيها انهارا جارية واشجارا متكاثفة تغرد فوقها الاطيار وتسبح لله الواحد القهار وليس بها سكان غير العقبان دون بنى الانسان فقال لرجال دولته انى وددت ان ابنى في هذا المكان مدينة اجعلها قاعدة مملكتي فما قولكم قالوا انه لراى رشيد فلما عاد الى مدينته امر بارسال الرجال الى المكان لقطع الاشجار وبناء المدينة فساروا وقطعوا الاشجار وشرعوا في البناء بكد واجتهاد وامر بان يغرس فيها جميع

انواع الاشجار المثمرة ولما تم بناؤها بعد خمس عشرة سنة جعلها قاعدة ملكه وسماها العقبان وصارت من المدن الشهيرة العظيمة وبها ولدت ابنته وسميت لولوة الطرف لفرط حسنها وجمالها ولم يكن لها اخوة ولذلك كتم ابوها على اهل مملكته امر كونها انثى والبسها لباس ذكر وكانت قبل ولايتها تغزو وتشاهد الحروب وتقاتل فيها وهي صاحبة راي وتدبير ودهاء ومكر ولها خبرة تامة بالعلوم والتواريخ مع حداثة سنها وعندما بلغت سن الرشد مات ابوها فانتقل الملك اليها واشتهر يومئذ امر كونها انثى

(قال الراوى) ولنرجع الى حديث عبد الله بن جعفر واصحابه فانهم لما لم يجدوا مسلكا يدخلون منه المدينة رجعو الى فساطيطهم وهم يتذاكرون في امر ذلك فقال الزبير لعبد الله لاينفع تدبير ولا راى ارشد من ضرب الحسام والصبر على المقام

(قال الراوى) هذا ما كان من امر المسلمين اما ما كان من امر النصارى فانهم بعد ان انهزموا ودخلوا المدينة واغلقوا الابواب دخلت لؤلؤة الطرف قصرها واستدعت بالكهنة والمنجمين وكانوا نحوا من خمسمائة فلما حضروا بين يديها قالت لهم لمن تكون الدولة لنا او للعرب فقالوا كلهم سمعا وطاعة اجعلي لنا اجلا كافيا لاعمالنا حتى نجيبك عن تحقيق قالت لهم كم يكفيكم من الوقت قالوا سبعة ايام قالت لكم ذلك غير ان من كذب منكم قتلته وامرتهم بالانصراف (قال) فخرجوا من عندها وساروا الى دار كبيرهم واشتركوا في العمل فكان الذي ظهر لهم ان العرب يملكون المدينة واجمعوا على ذلك ولما كان اليوم الموعود دخلوا على الملكة وعرفوها بالامر فعظم عليها واغتمت غما شديدا ثم دخلت على صنمها الذي كانت تعبده من دون الله وسجدت له وتضرعت وبكت بكاء شديدا وقالت الهي لمن الدولة لنا ام للعرب فاجابها الشيطان من جوفه وقال الدولة لنا لا للعرب وكررت عليه السؤال ثلاثا وهو يجيبها في كل مرة فعندذلك فرحت فرحا عظيما وخرجت من حينها فلبست ءالة حربها ودعت بالكهنة وقالت لهم اتهزأون بي وتقولون ان العرب يملكون بلادنا والحال اننا الغالبون وامرت بقتلهم جميعا فقتلوا عن اخرهم ثم استحضرت رجال دولتها فلما حضروا بين يديها قالت لهم ان الدولة لنا وقد اعلمني صنمي بانها لا تخرج من ايدينا وعليه فاني عولت على قتال العرب والخروج اليهم بجيشي فقالوا كلهم هذا هو الراي الرشيد ونحن كلنا في طاعتك وتحت امرك (قال) فامرت بضرب الطبول ونشر الرايات وخرجت في ثمانين الف مقاتل واربعين الفا

من مشاهير الابطال وصناديد الفرسان ولما اقتربوا من جيش المسلمين ضربوا خيامهم ونصبوا للملكة كرسيا من ذهب طوله عشرون ذراعا وله مدارج من الفضة وفي راسه اربع يواقيت فصعدت اليه فجلست ثم دعت برجال دولتها وابطالها فاجتمعوا فحرضهتم على القتال والدفاع عن بلادهم ثم امرت عشرة منهم بالخروج للبراز فلبسوا ءالة حربهم وخرجوا

(قال الراوي) وكان الامير عقبة بن عامر رضي الله عنه يراقب حركاتهم ولما رءاهم مقبلين امر بترتيب الجيش فرتب ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ثم امر عبد الله بن جعفر بالبراز فلبس ءالة حربه وتدرع بدرع رسول الله ﷺ وخرج الى ما بين الصفوف فتقدم اليه الابطال العشرة وقالوا له ايها الشاب نحن عشرة ولا نبارز الا عشرة قال لهم عبد الله انا ابارزكم كلكم ان شاء الله تعالى فلما سمعوا مقاله ضحكوا حيث ظنوا انه لا يستطيع برازهم فقال لهم ما اضحككم قالوا اقدامك على مبارزة عشرة من صناديد الابطال وانت وحيد قال اني قادر على ذلك بعون الله ورسوله ﷺ فقالوا له عند ذلك احمل علينا (قال) فما استتموا كلامهم حتى حمل عليهم حملة منكرة وضرب احدهم ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فقسمه نصفين ثم ضرب ءاخر فجندله ثم حمل عليه الباقون وضربوه فلم يصيبوه ثم حمل عليهم فقتل فارسا ثالثا وزاد رابعا فلما راوا انهم لم يبق منهم الا ستة رجعوا الى اصحابهم فزعين مرعوبين مما راوا من عبد الله وما فعل برفقائهم فصاحت بهم لؤلؤة الطرف وقالت لهم ويحكم كيف يقتل فارس واحد اربعة منكم وانتم عصبة فلبئس الرجال انتم قالوا وحق اللات والعزى والصنم الادنى لو بقينا امامه ساعة اخرى لما رجع اليك منا احد لانه فارس لا يطاق في الحرب وقد راينا منه الموت عيانا ثم ان عبد الله طلب البراز ولم يجبه احد (قال) فعند ذلك رجع عبد الله الى اصحابه ولم يقع قتال بعد ذلك وبات النصارى حائرين متفكرين فيما حل بهم من المسلمين ومضت لؤلؤة الطرف الى قصرها واختلت بوزيرها وقالت له انت تعلم اني لم اطلع سواك على اسراري واريد الان ان استشيرك في التدين بدين العرب فان قلبي قد حن اليه منذ رجوعي من تلمسان وقد حاولت ان اعمل بخلاف ما في ضميري فما قدرت بل ازددت ميلا اليه قال لها الوزير اني كنت ذكرت لك سابقا ان العرب لابد ان يملكوا المغرب كله وما ذلك الا لان دينهم قويم والله قد وعدهم النصر على لسان نبيهم الذي هو افضل الانبياء وسيد

الاولين والاخرين (قال الراوي) وكان الوزير مومنا بالله ورسوله وقد اخفى الاسلام فقالت له اذا فلندخل في دين العرب حيث كنت تتحقق انهم على الحق ونرسل هذه الليلة في طلب عبد الله بن جعفر ونسلم له المدينة قال لها احقا ما تقولين قالت نعم ثم دعت بدواة وقرطاس وكتبت لعبد الله بالقدوم عليها في عشرة فرسان وطوت الكتاب ودفعته الى غلام لها وقالت له بلغه الى عبد الله بن جعفر فسار الغلام حتى وصل الى فساطيط المسلمين ودخل على عبد الله فوجد الطعام بين يديه فقال له من اين اقبلت قال من المدينة بكتاب اليك من الملكة وناوله اياه وانصرف (قال) ولما فرغ عبد الله من الاكل فكه وقراه واستوى قائما وسار الى فسطاط رافع بن الحارث فدخل عليه فرحب به فشكره ثم قال له انتخب لي عشرة فرسان ممن يجودون بانفسهم في سبيل الله وانت معهم ليسيروا معي هذه الليلة الى لؤلؤة الطرف لانها بعثت الي بذلك وطلبت ان تقدم عليها في ظلام الليل فقال له حبا وكرامة ومضى من حينه وجمع عشرة من امثاله رضي عنهم اجمعين ولبسوا كلهم آلة حربهم وودعوا اهلهم وساروا مع عبد الله نحو المدينة

(قال الراوي) وكان رسول لؤلؤة الطرف لما رجع اخبر جماعة من اهل المدينة بكتاب سيدته الذي ارسلته الى عبد الله وانها طلبت منه ان ياتي اليها الليلة في عشرة فرسان من صناديد قومه وقال لهم خذوا حذركم منهم وكونوا من مكرها على حذر فلما سمعوا منه هذا الكلام قالوا لبعضهم بعضا وما الحيلة مع هؤلاء العرب الذين استدعتهم الملكة فقال قائل منهم وكان طاعنا في السن اذا اردتم ان تاخذوا عبد الله اسيرا فاجعلوا في كل باب من ابواب المدينة عشرين فارسا من صناديدكم فاتفقوا على ذلك وجعلوا في كل باب عشرين فارسا يحرسون الليل كله

(قال الراوي) ولما وصل عبد الله واصحابه المدينة وجدوا الباب مغلقا وخلفه الحراس فجلسوا يترقبون فرصة (قال) وكانت لؤلؤة الطرف تنتظر قدومهم ومعها وزيرها وهي لا تعلم ان غلامها افشى سرها حتى تعذر على البوابين تنفيذ امرها في ادخال الصحابة وكانت امراة الوزير ايضا تترقبهم وقد صنعت لهم طعاما فاخرا فلما ابطأوا ارسلت جارية الى الباب الذي اوصى الوزير بدخولهم منه لتاتي بهم عند وصولهم فلما وصلت الجارية وجدت حراسا كثيرين كلهم مستيقظين فغابت قليلا وعادت اليهم بخمر عتيقة وقالت لهم اشربوا منها فانها تشجعكم وتعينكم على السهر فشكروها وجلسوا للشرب وما جرى

بينهم القدح الرابع وشربوه حتى طفحوا ووقعوا لا حراك بهم فعند ذلك فتحت الباب وخرجت فوجدت رجالا واقفين فقالت لهم من انتم فتقدم اليها عبد الله وكلمها بالنصرانية وقال لها ما شانك واين تريدين قالت انا سائرة الى عبد الله بن جعفر لناتي به الليلة قال لاي شيء ذلك قالت لنمكنه من البلد ونسلم على يديه قال لها ابشري انا عبدالله بن جعفر فنظرت لوجهه وتاملت فيه وقالت له صدقت فان صفاتك مطابقة للصفات التي نعلمها ثم دخلت الباب وقالت سيروا خلفي فلما دخلوا وجدوا الحراس سكارى مطروحين على الارض فنظر اليهم عبد الله ثم جرد حسامه وذبحهم عن آخرهم وساروا في ازقة المدينة حتى وصلوا الى امراة الوزير فلما راتهم تقدمت اليهم ورحبت بهم وادخلتهم القصر واجلستهم في مجلس زوجها وقدمت اليهم مائدة من الاطعمة الفاخرة فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى ٠

(قال الراوي) اما لؤلؤة الطرف والوزير فلا يزالان ينتظران قدوم الفرسان ولما طال عليها الامر نهض الوزير وقال لها اني ذاهب الى قصري لارسل من ياتيني بخبر الفرسان قالت له ومن الذي تريد ارساله قال جارية عندي صاحبة سر قالت له افعل ولا تمكث (قال) فسار حتى دخل قصره فوجد عبد الله واصحابه جالسين على سريره وهم كالاسود فاعلمته امراته بهم فسلم عليهم وقال لهم من عبد الله بن جعفر منكم قال له عبد الله انا فاستبشر وقال الحمد لله الذي من الله علينا بك يا ابن عم رسول الله ﷺ وقبله بين عينيه وجلس لجانبه وتحدث معه قليلا ثم قال لهم قوموا على بركة الله وبركة رسوله ﷺ وسيروا معي الى الملكة لولوة الطرف لانها تنتظركم وهي تريد ان تسلم على ايديكم قال له عبد الله حبا وكرامة وساروا حتى وصلوا القصر فوجدوه مفتوحا فلما راتهم امرت الغلمان باسراج الشموع واسرعت الى لقاء عبد الله واخذت بيده وقبلتها وقبلت ايدي اصحابه وادخلتهم بيتها واحضرت لهم طعاما حسنا وجلست معهم للاكل فاكلوا ما تيسر وحمدوا الله تعلى ثم قامت لولوة الطرف وقالت ايها السادات اشهدكم علي اني اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرحوا باسلامها وبعد ذلك قال لها رافع ما الحيلة مع اهل البلد قالت الراى عندى ان تكتبوا الى اميركم عقبة ليمدنا هذه الليلة بعشرين الف فارس فانهم اذ اقدموا يملكون البلد بدون مشقة ان شاء الله تعلى فقالوا لها حبا وكرامة ودعا عبد الله بدواة وقرطاس وكتب

يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث الى الامير عقبة بن عامر اما بعد فانا نحمد الله الذي لا اله الا هو ونصلي على نبيه محمد ﷺ فقد من الله علينا باسلام لؤلؤة الطرف ووزيرها فساعة وصول كتابنا هذا اليك اقدم علينا في عشرين الف فارس في ظلام هذه الليلة وسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لمسروق بن زيد وقال له سر به فسار الى ان دخل على عقبة وسلمه اياه ففكه وقراه ثم دعا ببني هاشم وبني مخزوم وبقية القبائل وقراه عليهم جهرا ففرحوا بذلك فرحا عظيما ثم انتخب منهم عشرين الف فارس وركب وركبوا وساروا الى ان دخلوا المدينة واهلها في غفلة عن ذلك فلما سمعوا دمدمة الخيل خرجوا من ديارهم وحملوا على المسلمين وحمل المسلمون عليهم وتلاطمت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واضرمت نار الحرب وقوى الطعن والضرب ولم يلبث الاعداء ان انهزموا وفروا هاربين نحو قصر المملكة فخرج اليهم عبد الله واصحابه وفتكوا بهم وردوهم على الاعقاب وقتلوا منهم عددا كثيرا ولما راوا ان لا سبيل للمقاومة والعناد نادوا باجمعهم الامان فكف المسلمون عن قتالهم وامنوهم (قال) واذ بلغ بقية الجيش خبر امتلاك عقبة للمدينة قدموا اليها ودخلوها بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فاذنت لؤلؤة الطرف بان تصنع لهم الاطعمة الفاخرة فصنعت وقدمت لهم فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعالى وقضوا يومهم في فرح وسرور وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح بعثت لؤلؤة الطرف الزبير الى عبد الله تطلب منه زواجها به فلما بلغه الزبير ذلك توقف في الجواب وظهرت على وجهه ملامح الحيرة واشتغال البال فقالت له زوجته بنت الملك الاكبر ما بالك حيرانا متفكرا فاعلمها بالخبر فقالت لا مانع من ذلك قال لها اني لا اود اساءتك قالت وحق ابن عمك رسول الله ﷺ لا ابارح هذه المدينة حتى تدخل بها قال لها اني اخشى ان يلحق خاطرك كدر من ذلك قالت لاكدر والله فاني اجعلها اختا لي

(قال الراوي) فلما سمع عبد الله منها هذا الكلام فرح وشكرها واثنى عليها واجاب الزبير بالقبول فمضى الى لؤلؤة الطرف واعلمها فقالت له اني وكلتك على ان تزوجني به ثم حضر الامير عقبة وامراء الجيش عقد النكاح ودخل بها عبد الله فوجدها بكرا عذراء ما مسها بشر قط (قال) وبعد ان قضى المسلمون بالمدينة سبعة ايام بنوا مسجدا

ووضعوا فيهـا قاضيا واستخلفوا الوزير واقاموا بعد بنـاء المسجد خمسة ايام ثم ارتحلوا يريدون مدينة الورقة ،

ذكر غزوة مدينة الورقة

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) وارتحل المسلمون من العقبان يريدون مدينة الورقة في ستين الف بين رجال وفرسان وساروا سيرا حثيثا الى ان وصلوا اليها ونزلـوا عليها وكانت في القديم تسمى ترشيش واسم ملكها ترشيش وهو ملك عظيم ذو قوة وباس وكان فارسا شديدا شيطانا مريدا وله صوت كالرعد اذا تكلم يخيل للناظر ان شرر النار يخرج من فيه وهو عبوس لا يضحك الا مرة واحـدة في العام يوم عيدهم وقوته تعـدل قوة مائـة رجل وجميع من يراه يخـافه ويخشى باسه وله الف قصر كل قصر لا يشبه الاخر وفي كل منها الف صليب وكان يمكث ثلاثة ايام في كل قصر فاذا انقضت انتقل لغيره وهذا دابه على الدوام والاستمرار وفي كل قصر قبة من البلور قائمة على اساطين من الـذهب وجميع الاصنام التي عنده في قصوره من ذهب مرصعة باليواقيت ،

(قال الراوي) فلما راى اهل المدينة المسلمين قا دمين عليهم قالـوا لبعضهم بعضا نخرج لقتال هؤلاء العرب الذين تجـاسروا علينا وبينما هم يتحـدثون في امر ذلك اذ اقبل عليهم ابن اخ الملك وقال لهم ويحكم انكم هالكون لا محالة اما علمتم ان هذا الزمـان لا ينصر فيه الا الرعاع واوباش الناس اما سمعتم انهم كلما دخلـوا مدينة اهلكوها وقرية خربوها ولكن سيروا بنا الى الملك لنستشيره في الامر (قال) وبعد ان وضعوا الرماة على الاسوار واغلقوا ابواب المدينة ساروا اليه في جمع عظيم من الوزراء وارباب الدولة والوجوه فلما وصلوا القصر سالوا عن الملك فاذا هو نائم فلم يقدروا على ايقاظه ومكثوا ينتظرون فلما انتبه من نومه دخل عليه وزير من المقربين عنده وذكر له الامر فقال له ادخلهم علي (قال) فدخلوا ولما اقتربوا من السرير سجدوا له من دون الله ولم يزالوا ساجدين حتى اذن لهم برفع رؤوسهم فلما قاموا قال لهم ما تريدون قالوا جئنا لنتشاور معك في شان العرب الذين نزلوا علينا ونتلقى منك الامر قال لهم بادروا بالخروج اليهم وقاتلـوا عن دينكم وبلادكم وامر ان ينادى في المدينة بالخروج للقتال وان من تخلف يقتل (قال) فنادى المنادي وضربت الطبول وفتحت الابواب وخرج القوم كانهم جـراد منتشر فلما رءاهم المسلمون وكانوا غير متاهبين للحرب حيث لم يتوقعوا من النصارى الخروج اليهم

في اقرب وقت ركبوا خيلهم في الحين بدون ان يتمكن اكثرهم من اسراجها وادركهم النصارى وحملوا عليهم بعنان واحد فحمل المسلمون عليهم ايضا والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وثار الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار واشتد الخطب وعظم الطعن والضرب وكانت اسماء بنت ياسر رضي الله عنها تحرض المسلمين على القتال وتنادى باعلى صوتها اين انت ياعبد الله بن جعفر ادرك المسلمين لئلا يفتضح امرهم (قال) فلما سمع عبد الله نداء اسماء شدد الحملة على الاعداء وصار يختطفهم ويضرب بعضهم ببعض ذات اليمين وذات الشمال فيهلكهم ولم يلبثوا غير قليل حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعهم عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه بنفسه فلما رأوه منفردا احاطوا به من كل جانب وتراكموا عليه فصاحت اسماء بنت ياسر بالزبير وقالت يا ابن العوام ادرك عبد الله فقد احدق به النصارى وهو وحيد فحمل الزبير عليهم في الحين حملة منكرة وصاح فيهم صيحة عظيمة الى ان ادخلهم البلد ثم رجع عبد الله والزبير وقد انجرح الاول اربعة جروح والثاني ثلاثة ومات من الاعداء يومئذ خلق كثير ،

(قال الراوي) وبعد ان انهزم النصارى ودخلوا المدينة اغلقوا الابواب ودخلوا على ملكهم فقال لهم ما وراءكم قالوا انا قد لقينا من هؤلاء العرب ما لا يخطر ببال فقال لهم اذا كان في صبيحة غد انا اخرج اليهم بنفسي واسقيهم كاس الردى (قال) ولما اصبح الصباح جمع الملك رجال دولته وابطال عشيرته وقال لهم ايكم يفتح باب الحرب اليوم ويبارز العرب وله مني ما اراد فسكتوا كلهم فكرر القول عليهم ولما لم يجبه منهم احد استوى قائما على قدميه ورمى التاج من على راسه وصاح قائلا لمثلي ياتي صعاليك العرب ورعاة الابل ولا يجدون رجالا ينتقمون منهم اين ديلاق بن الابطح ولم يكن ديلاق حاضرا وجاء وقتئذ فلما رآه قال له اخرج لبراز الشاب المسمى عبد الله بن جعفر فان انت قتلته او اخذته اسيرا فلك عندي ابنتي ونصف مملكتي قال له رضيت بذلك لكن على شرط قال وما شرطك قال ان تتزين ابنتك وتركب جوادا وتخرج امامي لموطن القتال لكي ازداد شجاعة واتقوى بحضورها على هذا الشاب قال له الملك حبا وكرامة وامر ابنته بذلك (قال) فلبست افخر ملابسها وتزينت احسن زينة وركبت فرسا من عتاق الخيل وخرجت وعند ذلك ضربت الطبول

وخرج النصارى قاصدين جيش المسلمين ورتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ورتب المسلمون جيوشهم كذلك ولما صاروا على مقربة من بعضهم بعضا خرج ديلاق الى ما بين الصفين وبنت الملك معه على مطية دهماء ونادى بأعلى صوته يا عبد الله بن جعفر اخرج للبراز (قال) فاتى اليه فارس منهم وقال له ارجع يا ديلاق فقال لماذا قال اني نظرت البارحة في الفلك فوجدت ان كل من يخرج لهذا الشاب الذي طلبته للبراز يقتل امامه بلا شك ولا ارتياب لانه شجاع لايطاق وابن عم نبي العرب قال لـه اذهب عني لعنك المسيح ولعن تنجيمك وعلمك فقال له الان ترى ما يحل بك وانصرف وكان الملك ينظر اليه فلما عاد بعث في طلبه ولما حضر بين يديه قال له من اين اقبلت قال من عند ديلاق لانه طلب عبد الله بن جعفر للبراز فذهبت اليه لانصحه لاني رايت البارحة في الفلك ان هذا الشاب يقتل كل من خرج اليه فلما سمع منه هذا الكلام غضب عليه غضبا شديدا وامر بسجنه وتعذيبه وقال له ان العرب سحروك فاجابه ان العرب ما سحروني ولا يعرفون السحر وفي هاته الساعة يتبين لك الحق من الباطل (قال) ولما سمع عبد الله نداء ديلاق خرج اليه ولما دنا منه قال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم فحمل عليه عدو الله حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فراغ لها فاتت غير صائبة ثم الوى عليه عبد الله وضربه فلم يصبه ولا يزالان كذلك ساعة زمانية فغضب عبد الله وشدد الحملة عليه وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فازال راسه عن جسده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ جواده وسلبه وكانت قيمتهما الفي دينار فكبر المسلمون عند ذلك بصوت واحد ثم التفت عبد الله الى بنت الملك وقال لها هل يرضيك مافعلت بالفارس فان انت رضيت به فستكون لك عند الله منزلة عظمى فقالت له ان ذلك لاجل سرور عندي .

(قال الراوي) ثم طلب عبد الله البراز وكرر فلم يجبه احد ورجع النصارى الى المدينة واغلقوا الابواب فرجع المسلمون الى فساطيطهم وبات الاعداء في غم شديد ولما اصبح الصباح دعا الملك بأرباب دولته فلما حضروا قال لهم ما الحيلة مع هؤلاء العرب قالوا لاطاقة لنا بهم فان رايت ان نخادعهم بان نرسل اليهم ونطلب من اميرهم ان يرسل لنا عشرة فرسان من وجوههم منهم عبدالله بن جعفر بدعوى المذاكرة معهم في الصلح فاذا اتوا الينا وصاروا في المدينة قبضنا عليهم واوثقناهم كتافا وبذلك نظفر بهم ونتخلص من شرهم قال لهم

الملك افعلوا ما بدا لكم (قال) فارسلوا الى المسلمين رسولا فلما مثل بين يدي الامير عقبة رضي الله عنه قال له ان الملك يطلب حضور عشرة فرسان من امرائكم منهم عبد الله بن جعفر ليذاكرهم في الصلح لان اهل المدينة قد جنحوا الى السلم فقال عقبة لمن معه ان القوم يريدون الغدر بنا وما هذه الا خديعة منهم قال له عبد الله نمضي اليهم ولكن لا ندخل المدينة ثم لبس هو ومن عين للمسير معه آلة حربهم وساروا حتى بلغوا المدينة فاذا الباب قد فتح وخرج الملك وارباب دولته وجماعة من ابطاله ولما قرب منهم قال لهم انزلوا عن خيلكم حتى نجلس ونتفق على الصلح قال له الزبير لا ننزل حتى تاتونا في عشرة مثلنا (قال) فما كان من اعداء الله الا ان احدقوا بهم فعلم الصحابة وقتئذ ان ما قاله عقبة حق وجردوا سيوفهم وصاحوا باعلى صوتهم لا اله الا الله محمد رسول الله ووضعوا السيف فيهم ودفعوهم الى المدينة ثم رجعوا الى فساطيطهم وحكوا قصتهم الى المسلمين فسروا بسلامتهم وحمدوا الله على نجاتهم من كيد الاعداء ومكرهم .

(قال الراوي) اما اعداء الله فانهم بعد ان ولوا هاربين اغلقوا الابواب واجتمعوا في قصر ملكهم وقالوا له ما ترى من الراي في التوصل الى قهر هؤلاء العرب وصرفهم عن ارضنا فاطرق قليلا وقال الراي عندي ان نمكث في بلدنا متحصنين ونضع الرماة على الاسوار ونكتب في اثناء ذلك الى الملك الاكبر سنطليش صاحب المدينة الحمراء لعله ينجدنا فاذا امدنا بنصرة بلغنا ما نتمنى فقالوا كلهم نعم الراي هذا فعند ذلك دعا بدواة وقرطاس وكتب كتابا وطواه وختمه ودعا بعشرة فرسان من صناديد رجاله ودفعه اليهم وقال اسرعوا بتبليغه وائتوني عاجلين فلبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وخرجوا عند منتصف الليل وكانت الليلة مظلمة واتفق ان عبد الله كان يطوف للحراسة مع عشرة فرسان فلما خرجوا من باب المدينة وساروا قليلا تلقاهم عبد الله ومن معه وحملوا عليهم وقتلوا منهم ستة واسروا الاربعة الباقين وساقوهم الى الفساطيط .

(قال الراوي) ومكث الملك ينتظر رجوع رسله مدة عشرين يوما وهو لا يعلم ما حل بهم والمدينة مغلقة الابواب والمسلمون حولها فلما طالت بهم الاقامة بلا حرب جمع الامير عقبة اصحابه وقال لهم الى متى هاته الاقامة على غير طائل وكيف السبيل الى فتح هذه المدينة وهي منيعة واهلها متحصنون بها فاجابه عبد الله وقال له ايها الامير انا اشير عليكم براي اذا عملتم بمقتضاه بلغتم بحول الله وقوته المراد فقال له الحاضرون وما

هو يا ابن عم رسول الله ﷺ قال ان نطلق سبيل الاسارى الاربعة ونتركهم يمضون لبلدهم ويخبرون اهلها بما وقع عليهم لانهم يترقبون وصولهم ويظنون انكتابهم بلغ الملك الاكبر وان النصرة آتية اليهم ونرسل معهم كتابا الى ملكهم في قبول الاسلام او الجزية او الحرب فقالوا كلهم نعم الراي هذا (قال) فامر عقبة بسراح الاسارى واكرامهم واعطائهم الملابس الحسنة والاتيان بهم الى فسطاطه ثم امر عبد الله بان يكتب الى الملك فدعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما من عقبة بن عامر الى ملك الورقة اما بعد فلتعلم انا لا نرحل عنك ولو اقمنا الدهر كله الا باحدى خصال ثلاث اما الاسلام فيكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا او الجزية فتحقنون بها دماءكم او القتال فاختر لنفسك ما تريد منها والسلام على من اتبع الهدى ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه للاسارى وقال لهم انطلقوا وبلغوه الى ملككم (قال) فمضوا فرحين ولما بلغوا المدينة صاحوا بالحراس الذين كانوا على الاسوار ففتحوا لهم الباب وفرحوا بقدومهم وفرح بهم اهل المدينة وساروا حتى دخلوا على الملك فرحب بهم وقال لهم اين اصحابكم فذكروا له قصتهم فتغير وجهه ووقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته قال لهم وانتم باي سبب نجوتم فعرفوه بالخبر ودفعوا له الكتاب فقراه سرا ثم اجهر به وقال لاصحابه رايتم ما يقول العرب ولكن وحق اللات والعزى والصنم الادنى لاخرجن اليهم بنفسي ولاسقينهم كاس الردى وامر في الحين بضرب الطبول وخروج الجيش ثم ركب جوادا من عتاق الخيل وقدم امامه الانجيل والصلبان وهي الف صليب كلها من الذهب الوهاج وامر بصليبه الاكبر فرفع امامه ايضا يتقدمه كثير من الرهبان وخرج في جيش عرمرم ولما صار على مقربة من المسلمين امر بنصب الخيام والرايات وجلس على كرسيه ووزراؤه عن يمينه وعن يساره وحولهم رجال دولته وبطارقته ثم انه رتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين واقام صفوفا كثيرة من الرماة .

(قال الراوي) فلما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم مثلهم وجعلوا رافع بن الحارث في الميمنة ومسروق بن زيد في الميسرة وعبد الله بن جعفر في القلب والامير عقبة ولخم وجدام وطيء في الجناحين ونادى عقبة رضي الله عنه معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى اكثروا من الصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وقدموا الموت على الحياة (قال) ثم تقاربت صفوف الجمعين من بعضها

بعضا وعند ذلك نادى عقبة بعبد الله وقال له افتح لنا بابا للحرب فقال له سمعا وطاعة فلما سمع رافع ذلك دفع رايته التي كان حاملها الى من كان بالقرب منه من بني هاشم وسبق عبد الله الى ما بين الصفوف ودنا من النصارى وقال يا معشر اللئام وعباد الاصنام اخرجوا للبراز فقال الملك لقومه من يخرج الى هذا العربي ويكفينا امره (قال) فخرج اليه بطريق يسمى سندس بن الاخضر وهو ابن خالة الملك وكان ذا باس شديد فنادته زوجة الملك وقالت له انت لا يوجد في بلادنا مثلك فاظهر اليوم شجاعتك ونادت بنت الملك الاكبر يا رافع بيض اليوم وجوهنا فاجابها اللعين وقال لها وهل رافع اله حتى تناديه ثم حمل على رافع وحمل رافع عليه واقتتلا وتقاربا وتباعدا وطال بينهما القتال فصاح عبد الله برافع وقال له ما هذا ايقظ نفسك فلما سمع رافع ذلك عطف على سندس والتقيا بضربتين فكان رافع اسبق فوقعت الضربة على عاتق سندس فخرجت من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر عند ذلك عبد الله والمسلمون وفرحت بنت الملك فرحا شديدا ثم اخذ رافع سلبه وطلب البراز فخرج اليه فارس شديد الباس غضوب في الحرب كانت تضرب بفروسيته الامثال في بلاد المغرب فلما دنا منه قال له قد غررتم بانفسكم فلا تظنوا اني مثل غيري ممن لقيتم وحق اللات والعزى لارينكم حروبا تشيب منها الولدان فقال له رافع ما هذا وقت الهذيان وحمل عليه فراغ له عدو الله واختطفه بخديعة من على سرجه كالعصفور وسار به الى الملك وطرحه بين يديه ورجع الى البراز وصاح باعلى صوته انا سفاك الدماء انا ميتم البنين والبنات انا معمر القبور انا دالس بن دامس وكان عدو الله له قوة تعدل مائة رجل (قال) فلبس عبد الله ثيابا بيضا وعمامة بيضاء وجعل ثوب رسول الله ﷺ مما يلي جسده وكان يلبسه جده ابو طالب وركب جوادا ابيض وسار اليه ولما دنا منه قال له عدو الله انت الذي تزوجت بنات الملوك وخربت بلادهم وكسرت اصنامهم قال له نعم وانتم نفعل بكم كذلك ان شاء الله تعلى فقال له لو رجعت سالما بنفسك لكان خير لك فتبسم عبد الله ضاحكا من كلامه وقال له الساعة يتبين لك الامر يا لعين والمسلمون والنصارى ينظرون اليهما (قال) ثم ان عبد الله صاح بكلمة الاخلاص وقال بسم الله والله اكبر وحمل على اللعين وضربه ضربة شديدة فاراد ان يروغ لها فانقلب من على سرجه فوقع في

الارض فنزل اليه عبد الله بسرعة ووانقه كتافا واخذ سلبه وسار به الى الامير عقبة ووضعه بين يديه فقام عقبة لعبد الله وقبله بين عينيه (قال) ثم رجع عبد الله للميدان ونادى باعلى صوته ايكم يخرج للبراز انا عبد الله بن جعفر من لم يعرفني فها انا اعرفه بنفسي ومن عرفني فقد اطاع الله ورسوله انا ابن عم رسول الله ﷺ

(قال الراوي) ولما لم يجب احد من النصارى نداء عبد الله وراى الملك من بطارقته الاعراض عن البراز غضب غضبا شديدا وقبض على جانب كرسيه حتى كاد يكسره وقال لخدامه ائتوني بجوادي الاحمر وكان هذا الجواد من عتاق الخيل لانظير له في بلاد المغرب (قال) فاتوه بالجواد مسرجا في الحين فلبس آلة حربه وتقلد حسامه وركب وكان كثير الشعر في صدره ويديه ووجهه ولما استوى على ظهر الجواد نادى بصوت كالرعد انا ميتم الاطفال ومهلك الرجال فقال له عبد الله كذبت يا لعين وسار عدو الله حتى قرب من عبد الله وقال له انت الذي تزوجت بنات الملوك قال له نعم وسالحق بهن ابنتك ان شاء الله تعالى وانقذها من عبادة الاصنام فلما سمع هذا الكلام من عبد الله غضب غضبا شديدا وحمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة قوية فاتت غير صائبة فالوى عليه عبد الله وضربه فلم يصبه ولا يزالان كذلك ساعة زمانية الى ان قتل عبد الله جواد الملك وضربه وهو في الارض فاخذ الضربة في درقته وقال له لا تفعل هذا فانك فارس فانت راكب وانا راجل فليس هذا من من شيم الصناديد فرفع عنه وقال له ارجع حتى تاتي بجواد اخر فرجع واتى على جواد ابلق وعاد للبراز فلم يلبث غير قليل حتى قتل هذا الجواد ولم يزل عبد الله يقتل جوادا بعد جواد الى ان قتل عشرين ثم ادركهما الظلام فتفرقا وسار كل منهما الى قومه

(قال الراوي) ولما كان وقت العشاء جمع الملك وزراءه وارباب دولته وقال لهم كيف يكون الامر مع هذا الشاب فاني لم ار قط مثل شجاعته وفروسيته والراي عندي ان ان نجعل له مكيدة ونأخذه اسيرا قالوا له افعل ما بدا لك فنحن طوع امرك فقال لهم بعد عشرة ايام انا اخرج اليه بنفسي واطلب منه البراز لعلي اجد فيه فرصة قالوا نعم ما رايت (قال) ثم افترقوا وسار الملك الى قصره واعتزل عن جواريه ولم يهنأ له طعام ولا شراب وبات حيرانا متفكرا ولما اصبح الصباح امر بوضع الرماة على الاسوار وابقاء الابواب مغلقة وظل المسلمون ينتظرون خروجهم ولما طال بهم الانتظار قال عقبة لاصحابه ما الحيلة مع اعداء الله

وقد تحصنوا في المدينة فقال له الفضل بن العباس رضي الله عنه لا بد لنا ان نملكها ولو بقينا الدهر كله ولا نبارحها الا بعد دخول اهلها في الاسلام او اداء الجزية عن يد وهم صاغرون

(قال الراوي) هذا ما كان من امر المسلمين والنصارى واما ما كان من امر رافع بن الحارث فانه لما وقع اسيرا عند الملك امر بسجنه وجعله في بيت مظلم وكلف به جارية كانت امينة على قصره فلما نامت العيون فتحت باب السجن ودخلت عليه ونظرت اليه فاعجبها حسنه وشمائله وسالته عن اسمه فقال رافع ابن الحارث بن خالد بن الوليد ثم تقدمت اليه وحلت وثاقه فقال ومن امرك بهذا قالت ان الله الهمني ذلك وحبب الي الاسلام وقد فعلت ما فعلت ابتغاء مرضاة الله وها انا اقول بين يديك اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلمت وحسن اسلامها ففرح باسلامها ووعدها بان يتزوجها بعد فتح المدينة ثم قال لها ائتني بسيف فغابت قليلا واتته بسيف ثم سارت به الى القصر ودخلت على الملك فوجدته نائما فالتفتت الى رافع وقالت له هذا الملك فدونك واياه وافعل به ما تريد فتقدم اليه وسيفه مسلول ومسك لحيته بشماله واراد ان يذبحه فانتبه من نومه وقال له لا تفعل يا رافع فاني رايت النبيء ﷺ هذه الساعة في النوم ووضع يده الشريفة على راسي مدة زمانية ولم يخاطبني بشيء من الكلام وهممت بان اكلمه فما قدرت وقد رايته متبسما ضاحكا ففهمت عنه انه يريد مني ان ادخل في دينه وانا الان اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرح رافع باسلامه وهناه بهذا الفوز العظيم وبالخروج من الظلمات الى النور (قال) ثم امر الملك باحضار الطعام في ذلك الوقت وكان قد مضى من الليل نصفه فحضر فاكلا وشربا وحمدا الله تعالى ولما فرغا من الطعام قال لرافع ما نصنع الان قال الراي عندي ان نبعث الى عبد الله بن جعفر ياتي الينا فقال ما اشرت به هو الصواب (قال) فدعا رافع بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما من رافع بن الحارث الى عبد الله بن جعفر اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد ﷺ فان الله قد من علي باسلام المراة التي كانت مكلفة بي وقد حلت وثاقي واخرجتني من السجن ومكنتني من الدخول على الملك وهو نائم ولما اردت قتله استيقظ وقال لي انه راى النبيء ﷺ في النوم وقد اهتدى الى الدين القويم واسلم على يدي فساعة

وقوفك على هذا الكتاب اقدم الينا عاجلا مع عشرة فرسان من صناديد الابطال وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه وقال الملك انظر مع من ترسله فاخذه من يده وسلمه لغلام له نبيه واوصاه بتبليغه ليد عبد الله بن جعفر وقال له ان انت اتيت بعبد الله فانت حر لوجه الله ولك عندي الف دينار فقال له الغلام سمعا وطاعة ومضى حتى وصل الباب فوجد به الحراس فعرفوه وقالوا له اين تريد قال ان الملك بعثني للتجسس على العرب وكان الغلام مشهورا بالشجاعة والاقدام فقالوا له احسنت وفتحوا له الباب وسار الى ان بلغ جيش المسلمين ووقف على فسطاط عبد الله بن جعفر فقال له عبد الله من انت يا غلام قال اني رسول الملك بعثني اليك بكتاب وناوله اياه فاخذه وفكه ولما قراه نهض من حينه وهو مستبشر وسار الى الامير عقبة ودخل عليه فلما رآه قال له ما وراءك يا مفرج الكروب قال جئتك بشيرا وناوله الكتاب فلما قراه سر سرورا عظيما وقال له بادر بالاجابة (قال) فاستدعى عبد الله بعشرة من مشاهير ابطال المسلمين ولما حضروا اعلمهم بما في الكتاب ثم لبس آلة حربه وركب جوادا من عتاق الخيل وسار معه الفرسان والغلام حتى وصلوا الى المدينة فوجدوا الباب مغلقا فوقفوا ينتظرون

(قال الراوي) اما الملك فانه بعد ان ارسل غلامه بساعة زمانية ركب جواده وركب معه رافع على جواد من عتاق الخيل وسار الى لقاء عبد الله ولما اقتربا من الباب وجداه مغلقا والحراس حوله فسل رافع سيفه وكل من تقدم اليه ليكلمه ضرب عنقه الى ان قتلهم عن آخرهم وعند ذلك اخذ الملك المفاتيح وفتح الباب وخرجا ولما اقتربا من عبد الله واصحابه قال لهم رافع هذا الملك اتى للقائكم فترجلوا وترجل رافع والملك وسلموا على بعضهم بعضا ثم ركبوا وساروا يتقدمهم الملك الى ان بلغوا القصر فنزلوا عن خيلهم ودخلوا القصر وامر الملك بتقديم الطعام فقدمت لهم مائدة من الاطعمة الفاخرة فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعالى ثم جلسوا يتحدثون فاثنى الملك على عبد الله وشكره وقال اني منذ خلقني الله وانا ابارز الفرسان ورايت عددا لا يحصى من ابطالهم ومشاهير شجعانهم وما رايت قط اقوى من عبد الله ولا اشجع وافرس منه ولولا ان من الله به عليكم لما قامت لكم قائمة قالوا له نعم الامر كذلك ثم قال لهم الملك اختفوا في هذا المكان فان الصباح قد ادركنا وقرب وقت مجيء الوزراء ورجال الدولة فاذا دخلوا

لمقابلتي اضربوا اعناقهم واحدا بعد واحد حتى لا يبقى منهم احـد ففعلوا (قال) وكان الموضع الذي كمنوا فيه مما يلي الباب الذي يدخلون منه لمقر الملك ولما اصبح الصباح اتى الوزراء ورجال الدولة كعادتهم ولما ارادوا الدخول منعهم البواب وقـال لهم لا تدخلوا جملة وادخلوا واحدا بعد واحد لان الملك امرني بذلك فامتثلوا وصاروا يدخلون واحدا بعد آخر وكل من دخل قطعوا راسه حتى قتلوا ثلاثمائة وخمسين رجـلا ولم يبق منهم احد فعند ذلك اتى الملك الى الصحابة فوجد رجاله صرعى مكومين فلما رآهم على تلك الحالة استبشر وشكر عبد الله ومن معه واثنى عليهم ثناء جميلا (قال) ثم جلسوا يتشاورون فيما يجب عمله مع اهل المدينة فقال الملك نركب جميعا ونمشي في ازقة المدينة وكل من لقيناه نقتله حتى يسلموا كلهم فاستحسنوا رايه واتفقوا عليه ثم خرجوا وركبوا خيلهم وساروا وسيوفهم مسلولة ووضعوها في اعـداء الله وقتلوا منهم خلقـا كثيرا ولما ايقنـوا بالهلاك نطقوا بالشهادتين واسلموا كلهم وعند ذلك كف المسلمون عن قتالهم ورجعـوا الى قصر الملك فامروا بفتح ابواب البلد وبعثوا الى الامير عقبة يعلمونه بالخبر ويستقدمونه فاتى اليهم في عشرين الفا ودخل المدينة فخرج عبد الله واصحابه والملك الى لقـائهم ولما راوا الامير عقبة ترجلوا وترجل هو لهم وفـرح بالملك وسلم عليه وهنـاه باسلامه وساروا جميعا الى ان دخلوا القصر فوجدوا الطعام حاضرا فـاكلوا وشربوا وحمـدوا الله تعلى وشكروه على ما انعم به عليهم من الفتح والنصر المبين ثم انهم كسروا الصلبان وهدموا الكنائس وبنوا في المدينة مسجدا وجعلوا فيها قاضيا واقروا عليها ملكها وعقدوا نكـاح رافع على الجارية التي اخرجته من السجن واسلمت على يديه ودخل بها واقام المسلمون بالمدينة خمسة عشر يوما ثم ودعوا الملك وارتحلوا يريدون مدينة مراكش ويقـال لها ايضا المدينة الحمراء ٠

ذكر غزوة مراكش

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) وارتحل المسلمون من مدينة الورقة يريدون مراكش وساروا سيرا حثيثا الليل كله ولما ادركهم الصباح نزلوا بواد هناك كثير الاشجار وحطوا رحالهم وصلى عقبة بهم صـلاة الصبح ثم تفرقوا للاستراحة من تعب السفر والسهر وبينما هم كذلك اذ لاحت لهم خيل في عدد نحو مائة فارس من صناديد النصارى وهم عيون الملك الاكبر سنطليش(قـال) فلمـا رآهم المسلمون لبسوا آلـة حربهـم وساروا نحوهم ولما اقتربوا منهم حمل اعـداء الله عليهم بعنـان واحـد

وحمل المسلمون عليهم وما اشتبكوا معهم في القتال حتى لحق بالنصارى جيش جرار كان خلف الاشجار يبلغ المائة الف لان المائة فارس كانت مقدمة لهم (قال) فلما راى المسلمون ذلك اسرعوا كلهم لقتالهم واشتعلت بين الفريقين نار الحرب وقوى الطعن والضرب وارتفع الغبار واظلم النهار ولم يلبث الاعداء غير ساعة حتى انهزموا وولوا الادبار فمكثوا قليلا ثم تراجعوا وعادوا للزحف على المسلمين فتلقوهم بصبر وثبات وقاتلوهم قتال الابطال الى ان ادركهم الليل وفرق بينهم الظلام وعند ذلك رجع المسلمون الى فساطيطهم ورجع النصارى من حيث اتوا وساروا سيرا عنيفا الى ان وصلوا المدينة الحمراء ودخلوا على ملكهم وقالوا له ايها الملك ستاتيك غنيمة وهي صعاليك العرب فقد توهموا اننا مثل اهل افريقية وقد ظفرنا بهم وقاتلناهم يوما كاملا وقهرناهم ولما فرق بيننا الظلام تركناهم ورجعنا والمظنون انهم يصلون الينا قريبا ونرى ان الاليق بنا ان نحتقرهم ولا نسير اليهم قال لهم هذا هو الراي الرشيد

(قال الراوي) وبات المسلمون في كرب عظيم مما لحقهم من التعب وكثرة الجروح ولما اصبح الله بخير الصباح ارادوا الاقامة فقال لهم عبد الله بن جعفر ولاي شيء هاته الاقامة قالوا لان الجرحى منا كثيرون فلا باس ان ننتظرهم حتى تلتئم جروحهم قال الصواب ان نرحل ولو كان في ذلك مشقة على جرحانا اذ بقاؤنا هنا لا يجلب لنا فخرا وانما الفخر في الارتحال ومقاساة الاهوال قالوا اذا نسير ونتكل على الكبير المتعال (قال) فرحلوا وهم يجدون السير الى ان بلغوا جبلا شامخا فقال عبد الله انزلوا بنا ههنا فنزلوا وضربوا الفساطيط وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبه بالمسلمين صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم جلسوا للشورى فقال لهم عبد الله اتريدون الاقامة ام الرحيل فاجابه رافع بن الحارث وقال ارحلوا بنا فقال له عبد الله لقد اصبت الراي ثم رحلوا وساروا يومهم كله وعند الغروب نزلوا وباتوا يرتلون القرءان ويذكرون الله ويصلون على النبي ﷺ وفي الصباح رحلوا وساروا الى الليل ثم نزلوا وباتوا ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح ثم جلسوا يتشاورون فاتفق رايهم على ان يكتبوا كتابا الى الملك الاكبر فامر عقبة رضي الله عنه عبد الله بكتبه فدعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم من عقبة بن عامر وكافة المسلمين الى الملك الاكبر اما بعد فانا نحمد الله ونشكره على نعمة الايمان

والاسلام فساعة وصول كتابنا اليك انجز بقبول احدى الخصال الثلاث الاسلام او الجزية او القتال والسلام على من اتبع الهدى ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله ﷺ وقال من يمضي بهذا الكتاب واجره على الله فقال سليمان بن خالد انا يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال له عبد الله انت لها يا ابن خالد واوصيك اذا دخلت على عدو الله فلا تهب ملكه وكن سريع الجواب (قال) فنهض سليمان وودع المسلمين وسار سيرا حثيثا وطوى الله له الارض بحرمة رسول الله ﷺ حتى وصل المدينة الحمراء فلما رءاه اهلها تسابقوا اليه وقالوا له من اي قوم انت قال جئت من قوم ههنا بكتاب الى ملككم فساروا مسرعين الى الملك واعلموه به فقال لهم ائتوني به وادخلوه علي فعادوا اليه وقالوا له ان الملك قد اذن لك في الدخول (قال) فدخل سليمان ابوابا كثيرة مختلفة اللون والشكل حتى انتهى الى وسط قصر يعجز عن وصفه الواصفون فوجد الملك جالسا على كرسيه فتقدم اليه وسلم له الكتاب فدعا بقسيس عنده يعرف العربية ودفعه له ففكه القسيس وقراه جهرا ولما بلغ قوله الاسلام او الجزية او القتال قهقه الملك وقال ان هؤلاء العرب مجانين حيث يقولون مثل هذا الكلام وامر القسيس ان يكتب الى عقبة كتابا يقول فيه ارجعوا من حيث اتيتم والا هلكتم عن ءاخركم فلما سمع سليمان منه هذا الكلام قال له كذبت اما سمعت بما فعله العرب والله لقد قهروا الملوك العظام (قال) فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا واستوى قائما على قدميه وقال لسليمان وحق اللات والعزى والصنم الادنى لو ان قتل الرسول مباح لقتلتك شر قتلة ثم التفت الى بعض حاشيته وقال اخرجوه عني فقال له سليمان سيتبين لك صدقي وتتيقن صحة قولي وانطلق وبينما كان سائرا واذا بعجوز تعرضت له في طريقه وقالت السلام عليك يا ابن خالد قال لها وعليك السلام ايتها العجوز ومن عرفك باسمي قالت علمت من تواريخنا انه سياتينا في يومنا هذا من قبل العرب رسول اسمه سليمان بن خالد وانكم لا بد ان تملكوا هذه المدينة لكن بعد مشقة عظيمة ويكون فتحها على يدي شاب هو ابن عم رسول الله ﷺ اسمه عبد الله بن جعفر وهو يعرف اللسان النصراني ثم قالت له ايها الشاب اطلب منك ان تمضي معي الى داري قال لها حبا وكرامة (قال) فمضت ومضى معها الى ان وصلت دارها ففتحت الباب وادخلت سليمان فلما دخل وجد عندها بنتا على

غاية من الحسن والجمال فقال لها ما هذه البنت قالت ابنتي ولهامعرفة تامة بعلم الفلك والتنجيم وكان بيدالبنت حين دخول سليمان اوراق تنظر فيها ولما راته نظرت اليه متبسمة وقالت انت صاحب عبد الله بن جعفر فقال لها ومن اعلمك بعبد الله قالت اوصافه عندي في هذه الاوراق قال لها اطلعيني عليها فاطلعته على محل الحاجة وقرات عليه ذلك فاذا هو كما قالت فتعجب سليمان من براعتها في علم التنجيم (قال) وبعد قليل اتت العجوز بطعام فائق لم يكن احسن منه ووضعته بين يديه فاكل على بركة الله ورسوله ﷺ واقسمت عليه ان يشبع منه فاكل وشرب وحمد الله تعلى وبعد الفراغ من الاكل قال لها اخبريني اين تعلمت هاته الصبية هذا العلم وهل هي ابنتك حقا ام لا فقد خيل لي انها بنت ملك عظيم لرقتها وفرط جمالها وقوة معرفتها بهذا العلم وانت حين اقسمت علي في الاكل اجبتك وانا الان اقسم عليك بالله ان تخبريني بالحقيقة فقالت يا سليمان وحق ابن‌عم رسول الله ﷺ عبد الله بن جعفر ما اقول لك الا الحق اعلم ان ابا هذه البنت كان زوجي وهي ابنة صلبه وكان وحيد زمانه في الحكمة وعلم الفلك والتنجيم وكان لا يفارق ابنته ولا هي تفارقه طرفة عين وقد علمها جميع علومه وكلما تلقت منه شيئا الا حفظته ورسخ في ذهنها ولما قربت وفاته اوصاني بكفالتها وان لا اخبر بامرها احدا وهي لا تخفى عني ما تراه ومهما رات شيئا او كتبته الا اخبرتني به في وقته وقد علمت اليوم انك اتيت الى هنا فاعلمتني بان ندعوك الى ضيافتنا فسرت للقائك في طريقك واتيت بك اليها وقد كانت لي بنت اخرى تركها ابوها في بطني وماتت بعده وليس لي الان غير هذه البنت (قال) ثم انها اتت سليمان بكسوة وقالت له هذه هدية مني اليك فقبلها منها وشكرها وقام يريد الانصراف فخرجت معه لتشيعه وسارت متنكرة الى ان اوصلته الى خارج المدينة ولما اراد وداعها قالت له بلغ سلامي الى الامير عقبة وعبد الله بن جعفر وكافة المسلمين وبشرهم بانهم لا بد ان يمتلكوا المدينة بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مشقة عظيمة وفتحها يكون على يدى عبد الله بن جعفر فقال حبا وكرامة وودعها وانطلق وسار يومين حتى وصل جيش المسلمين فوجد الامير عقبة يصلي بالناس العشاء فلما فرغوا من صلاتهم تقدم اليه وقبل يديه وسلم عليه واعلمه بخبر الملك والعجوز ثم ساله الحاضرون عن الملك وقوته وحالة مدينته فقال لهم ان قوته

وعظمته ومنعة مدينته مما يفوق الوصف واظن اننا لا نملك هذه المدينة الا بشق الانفس والعناء الشديد ثم تفرق الناس على نية الرحيل

(قال الراوي) ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح وامر بالسير فساروا يومهم كله ولما غربت الشمس نزلوا وباتوا وفي الصباح ارتحلوا ولا يزالون سائرين الى ان جن الظلام فنزلوا وباتوا ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم قال سليمان لعبد الله لقد اتعبت الناس فارفق بهم فقال له الان قد قاربنا المدينة والاليق بنا ان لا نعطل سيرنا حتى نبصرها ونستريح حولها ثم امر بالرحيل فارتحلوا وساروا مجدين الى ان لاح ضياء المدينة فعند ذلك امر عبد الله بالنزول فنزلوا وباتوا يحرسون انفسهم مخافة ان يخدعهم الاعداء ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم قال لهم تعلمون انه لم يبق في المغرب اعظم من هذا الملك سنطليش لانه صاحب المغرب كله وله سطوة عظيمة على كل ملك فيه فخذوا على انفسكم وقاتلوا في سبيل الله ورسوله بصدق وثبات واعتصموا بالصبر تنالوا الاجر ولما فرغ عقبة من كلامه اتى اليه الملوك الذين كانوا اسلموا مثل ابن الملك صاحب المهدية وصاحب سطيف وغيرهما وقالوا ايها امير انت تعلم اننا لم نات معك الا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ورغبة في ثوابه وتكفير سيئاتنا الماضية فاذا كان في صبيحة غد لا تترك احدا غيرنا يطلب البراز فاجابهم عقبة لذلك بعد ان شكرهم هو واصحابه واثنوا عليهم وقضى الجميع يومهم يتدبرون لامر الحرب وباتوا في فسطاط واحد

(قال الراوي) ولما راى النصارى المسلمين ضاربين حول مدينتهم غضبوا غضبا شديدا وامروا بضرب الطبول والنداء في الازقة بالاستعداد للقتال وان كل من تخلف ولم يخرج للحرب يقتل فما كان غير قليل حتى اجتمعت جنود لا تحصى ومن الغد امر الملك عليهم مائة امير من حجابه وامرهم بالخروج من ابواب متفرقة ليرهبوا المسلمين بكثرتهم لانهم اذا خرجوا من باب واحد لاتظهر للرائين كثرتهم ويضيق بهم المكان (قال) فخرجوا كانهم النمل وثار غبارهم حتى صار النهار كالليل المظلم وما راى المسلمون هذه الجنود التى لم يشاهدوا في افريقية مثلها كثرة واستعدادا حتى اندهشوا وعظم عليهم الامر وكانوا اذ ذاك جالسين مع عبد الله بن جعفر في فسطاطه فقال لهم عبد الله احسنوا الظن بالله واصبروا فانتم الغالبون ان شاء الله تعلى وبينما كان يعظهم ويهون عليهم

الامر اذ تقدم النصارى نحوهم يريدون حصارهم والاحاطة بهم فعند ذلك صاح عقبة بالامراء وقال لهم رتبوا الجيوش فرتبوا صفوفهم والنصارى ينظرون اليهم ويسخرون منهم (قال) ولما اقتربت الصفوف من بعضها بعضا خرج صاحب سطيف كانه برج من ذهب ونادى هل من مبارز من لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي انا صاحب سطيف فخرج اليه فارس كانه شعلة نار وحمل عليه وضربه ضربة شديدة فراغ لها فاتت غير صائبة فالوى عليه صاحب سطيف وضربه ضربة صائبة فقسمه نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ سلبه وجواده وطلب البراز ثانيا فخرج اليه فارس ءاخر فلما دنا منه قال له انت قتلت ابن اخي فاحمل علي او احمل عليك قال له صاحب سطيف احمل انت فحمل عليه وضربه فلم يصبه وضربه صاحب سطيف فقتله ،

(قال الراوي) وما زالوا يخرجون اليه وهو يقتل فارسا بعد فارس حتى قتل منهم عشرين فارسا فعند ذلك خرج اليه الزبير وشكره وقال له لقد جاهدت في الله حق جهاده فارجع الآن واسترح واخذ بعنان جواده ورجع به ثم خرج بعده ابن الملك صاحب المهدية وطلب البراز فبرز اليه فارس كانه جبل من حديد فلما تقاربا حمل عدو الله على صاحب المهدية حملة منكرة وضربه فاصابت الضربة جواده فقتلته فالوى عليه صاحب المهدية وقتل جواده وتصارعا على ارجلهما من الضحى الى وقت الظهر ولم يقدر احدهما على الاخر وافترقا ولم يقع قتال في بقية ذلك اليوم وفي صباح الغد رتب الجيشان صفوفهم وتزينت نساء النصارى وخرجن للتفرج على القتال لعلهن ان بطريقا يطلب عبد الله للبراز في ذلك اليوم وكانت بينهن بنت الملك مرتقية على سرير من عود طوله مائة ذراع وهي عالمة بامور دينهم عارفة بالتواريخ وعلم الفلك (قال) ولما تم ترتيب الصفوف خرج فارس اسمه هماج بن الاصفر ونادى باعلى صوته اين عبد الله بن جعفر يخرج للبراز ولا يبارزني اليوم سواه فلما سمع عبد الله نداءه لبس ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج اليه فلما راته بنت الملك افتتنت بحسنه وجماله وفروسيته ومثلها النسوة اللائي حضرن يومئذ للفرجة (قال) فحملا على بعضهما بعضا وتقاربا وتباعدا ساعة ثم ضرب هماج عبد الله فراغ له واختطفه من سرجه بخديعة واخذه اسيرا واوثقه كتافا فعند ذلك صاحت به ابنة الملك وقالت له اين شجاعتك يا هماج فقال لها خدعني فقالت لعبد الله ايها الشاب ان كنت شجاعا فاطلقه واعد معه البراز

فحل عبد الله وثاقه وقال له اتريد ان تحمل علي او احمــل عليك قال انــا احمل عليك (قال) فحمل على عبد الله وضربه ضربة قوية فاخذها في درقته وعطف عليه وضربه ضربة هاشمية فقسمه وجواده نصفين واخذ سلبه وكانت قيمته ثلاثمائة دينـار ثم عاد للبراز ونادى هل من مبارز انا ابن عم رسول الله ﷺ وكرر ذلك ولما لم يجبـه احد حمل المسلمون على النصارى بعنانــ واحد وحمل النصارى عليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وثار الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار (قال) وقد ثبت الاعداء في مراكزهم ولم يتحركوا منها فانضم بنو هاشم وبنو مخــزوم الى بني امية وشددوا الحملة عليهم وكشفوهم عن مواضعهم فولوا هاربين نحو البلد فاقتفى المسلمون اثرهم ولما توسطوا بينهم تراجعوا واحدقوا بهم فاحتدم بينهم القــتال ودام النزال الى ان اقبل الليل وفرق بينهم الظلام فسار كل فريق الى جهته ولله در بني هاشم فقد صبروا يومئذ صبر الكرام وابلـوا في الاعداء بــلاء حسنا (قال) وبات النصارى في غم شديد وكرب عظيم مما اصابهم من عبد الله بن جعفر واصحابه وبات المسلمون في فرح وسرور ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولمـا فرغ امر بترتيب الجيش كما كان بالامس وزحفت الصفوف وضربت الطبـول وخرجت بنت الملــك وجلست على سريرها ثم خرج بطريق من عظماء النصارى ونادى باعلى صوته معاشر العرب انــا دمدام بن كركار فارس الليل والنهار ايكم يخرج للبراز فاسرع اليه رافع وحمل عليـه بدون امهال وضربه ولم يصبه فالوى عليه عدو الله وضربه فاصاب جواده فقتله وقال له ارجع لتأتي بجواد ءاخر فرجع رافع واتى بجواد وتقاتــلا ساعة ثم قتل رافــع جواد اللعين فسار واتى بغيره فقتله ايضا ولا يزالان كذلك الى ان قتل له رافع خمســة عشر جوادا وادركهما الليل فافترقا .

(قال الراوى) وفي تلك الليلة اجتمع كبراؤهم عنـد حاجبهم الاكبر واتفقوا على ان يعلموا الملك بما وقع لهم في الحرب مع العرب فساروا اليه واعلموه بذلك وقالوا له ان لم تتدبر لانجادنا فانا هالكون لامحالة (قال) فلما سمع منهم هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال لهم لعنكم الصليب وغضب عليكم المسيح كيف يغلبكم صعاليك العرب وحق اللات والعزى والصنم الادنى لابد ان اخرج اليهم يوما واسقيهم كاس الردى ولكن خذوا الان هذا الصليب معكم فانكم بلا ريب تنصرون (قال) فحملوه وساروا به الى الجيش ووضعوه في مكان

وسجدوا له من دون الله وفرحوا به فرحا عظيما وايقنوا انهم ينصرون به ٠

(قال الراوي) ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم قام عبد الله بن جعفر وخطب في الناس يحرضهم على الجهاد ويتلو عليهم آيات النصر وبينما هو كذلك واذا باعداء الله ضربوا طبولهم دفعة واحدة وتقدموا والصليب امامهم نحو المسلمين فلما راى عقبة ذلك امر بترتيب الصفوف وما تم ترتيبها حتى خرج دمدام الذي كان بالامس يبارز رافعا ونادى معاشر العرب ايكم يخرج للبراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضي الله عنه وحمل عليه وضربه فاصاب الجواد فقتله فالوى عليه دمدام وقتل جواده فتصارعا على ارجلهما الى وقت الظهر ثم رجع كل منهما الى قومه ومن الغد قال عبد الله لابد ان اخرج اليوم لهذا الفارس فقال له الزبير وحق رسول الله ﷺ لا يبارزه احد غيري (قال) وعند ذلك ضرب النصارى طبولهم ورتبوا صفوفهم فرتب المسلمون صفوفهم كما سبق ثم خرج دمدام وطلب الزبير للبراز وما استتم كلامه حتى خرج اليه فتقاربا وتباعدا ساعة ثم ان عدو الله حمل على الزبير وحمل الزبير عليه والتقيا بضربتين فاصابت الضربتان جواديهما فسقطا ميتين فتصارعا على ارجلهما ثم ان الزبير حمل عليه وضربه فاخذها في درقته وحمل عدو الله عليه وضربه فاخذها في درقته ولا يزالان كذلك الى غروب الشمس ثم رجع كل منهما الى اصحابه ولما كان في صبيحة غد جلس المسلمون بعد الصبح يتحدثون فقال عبد الله للزبير ان انت لم تقتل عدو الله اليوم اخرج اليه انا غدا لان الامر طال علينا ونحن لا يليق بنا الا الحملة فاجابه الزبير اني لا ازيد معه اكثر من هذا اليوم واذا طال اجله فاني اتركه لك ثم لبس آلة حربه وركب جوادا من عتاق الخيل وخرج اليه فتبارزا يوما كاملا وادركهما الليل فرجعا الى مقرهما فقال المسلمون للزبير قد اطلت في قتال هذا اللعين فقال لهم اني لم اترك معه شيئا من جهدي وطاقتي قال لهم عبد الله انا اخرج اليه في صبيحة غد (قال) وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح صلوا الصبح ولما فرغوا رتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ثم ان عبد الله لبس آلة حربه ولبس ثوب رسول الله ﷺ مما يلي جسده وركب جواده ونادى بالبراز فخرج دمدام ولما دنا منه قال له من انت قال له عبد الله بن جعفر وفي هذا اليوم تعرفني حقا فقال دمدام واين الزبير قال وما تريد منه فان كنت تريد الحرب فبادر قال

لا ابارز الا الزبير قال له عبد الله لا يبارزك احد الا انا فعند ذلك صاح دمدام بصوت عال وقال لا يبارزني الا الزبير (قال) فلما سمعه الزبير خرج وقال لعبد الله ارجع فرجع فعند ذلك قال دمدام للزبير ما كان عليك ان تتخلف حتى ادعوك فما هذا من شيم الصناديد قال له خذ حذرك فان اجلك قريب ثم حملا على بعضهما بعضا واقتتلا قتالا شديدا ولا يزالان كذلك الى ان قرب وقت الغروب فعند ذلك صاح عبد الله بالزبير وقال له الى متى يا ابن العوام فلما سمعه استشاط غيظا وحمل على اللعين حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فازال راسه عن جسده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار

(قال الراوي) فلما راى اعداء الله صاحبهم صريعا يتخبط في دمائه حملوا كلهم على عبد الله بعنان واحد فحمل المسلمون عليهم ايضا واختلط الجمعان ووقع القتال واشتبكت الرجال ودام الحرب من غروب الشمس الى الفجر ولما راى المسلمون ان النهار قد اقبل وهم لم يتغلبوا على الاعداء صاحوا ببعضهم بعضا وقالوا شددوا الحملة على الاعداء واكثروا من الصلاة على اشرف المخلوقات وسيد الكائنات (قال) فشددوا الحملة ورفعوا اصواتهم بكلمة التوحيد والتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ولم يكن غير ساعة حتى انهزم النصارى وولوا الادبار فتبعهم المسلمون الى ان دخلوا المدينة واغلقوا الابواب ثم رجعوا الى فساطيطهم وقتلوا منهم يومئذ خلقا لا يحصى

(قال الراوي) وبعد ان اغلقوا ابواب المدينة وضعوا الرماة على الاسوار وساروا الى ملكهم وكان لا يعلم شيئا مما حل بهم لانه كان مشتغلا بلذائذه وشهواته ومعتمدا على ابطاله وكثرة جنوده فقال لهم ما خبركم قالوا ان العرب انتصروا علينا وفتكوا بنا فتكا ذريعا ولولا اننا التجانا الى المدينة وغلقنا دونهم الابواب لافنونا عن اخرنا قال لهم لعنكم الصليب وغضب عليكم المسيح كيف يتغلب عليكم صعاليك العرب وانتم اكثر منهم قوة وعددا وحق اللات والعزى والصنم الادنى ان لم ترجعوا الان اليهم وتطردوهم عن البلد لاقتلنكم جميعا فغضبوا من كلامه غضبا شديدا وتركوه في مجلسه وولوا عنه معرضين واتفقوا في طريقهم على ان يمضوا الى قسيسهم الاكبر لاستشارته وشكوى حالهم اليه

(قال الراوي) وكان هذا القسيس محبا في اهل بلده مطاوعا لرغائبهم وبذلك حصل على ميلهم القلبي ونفوذ الكلمة بينهم وهو شيخ طاعن في السن يتجاوز المائة عام وكان عالما بالتواريخ المتقدمة وعلم الفلك والتنجيم

فدخلوا عليه وقالوا يا سيدنا ماترى في هذا الملك المنهمك في لذاته فهو لايزال مكبا على شهواته والعرب كما علمت ضاربون على بلاده وقد افنوا جمعنا وشتتوا شملنا وقد جئناك لتنظر لنا ما يئول اليه امرنا وتشير علينا بما تراه صالحا لاحوالنا فقال لهم انظروني الى غد حتى انظر هاته الليلة في الفلك وفي الصباح اعلمكم بما يكون فانصرفوا .

(قال الراوي) ولما جن الليل دخل القسيس خلوته ونظر في كتبه وحرر حسابه فظهر له عكس الواقع وهو ان النصر يكون لهم في ذلك اليوم فلما كان الصباح اتوا اليه فاعلمهم بما راى ففرحوا وخرجوا من عنده مسرورين وقالوا له اذا نحن غلبناهم اليوم فلك عندنا ما تريد ثم سار القسيس حتى دخل على الملك وبشره بالنصر فقال له نعم الاب انت وشكره واستوى من حينه قائما على قدميه ودعا بارباب دولته ولبس ءالة حربه وامر ان ينادي في المدينة بانه خارج لقتال العرب وضربت الطبول واجتمع الناس وكثرت الغوغاء حتى خيل للمسلمين ان اهل المدينة يقاتلون بعضهم بعضا ولم يكن غير ساعة حتى خرج اعداء الله كانهم جراد منتشر وخرج معهم الملك وحوله رجال دولته وبطارقته وساروا قليلا ثم امرهم بالوقوف وضرب الخيام فوقف القوم وضربوا الخيام فنزل الملك وحلف يمينا انه لايبرح من مكانه حتى يهلك العرب عن ءاخرهم ولما راى المسلمون هذا الجيش العظيم الذي خرج لقتالهم عظم عليهم الامر فقال لهم عبد الله بن جعفر لاتعجبكم كثرتهم فقد قال تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واصبروا فانتم الغالبون بفضل الله وبركة رسوله ﷺ فقالوا على يدك ان شاء الله فانت اهل لذلك وقد كان اسلافك اذا ضاق الامر لايوسعه احد سواهم (قال) وما استتموا كلامهم حتى ضربت الطبول دفعة واحدة واخذ الاعداء يرتبون صفوفهم فلما رآهم المسلمون رتبوا صفوفهم ايضا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين واقاموا النسوة خلف الصفوف ليشهدن على من يولي الادبار ويوبخنهم ثم زحفت صفوف الجيشين وكانت بنت الملك واقفة هناك وابوها الملك في القلب على جواد ادهم من عتاق الخيل ولما تقاربت الصفوف خرج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه الى ما بين الجيشين ونادى هل من مبارز فاندهش النصارى من فروسيته وحسنه وجماله ومكثوا ينظرون اليه فكرر طلب البراز وقال انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يبرز لي فعند ذلك خرج اليه فارس من صناديد النصارى كانه قطعة

من جبل ولما قرب منه قال له انت ابن جعفر قال نعم قال له اليوم افضح طلعتك بين اقرانك قال له كذبت يا عدو الله ثم قال عبد الله احمل علي او احمل عليك قال انا احمل عليك فقال له افعل (قال) فحمل وحمل عبد الله عليه وتقاربا وتباعدا ساعة زمانية ثم ان عدو الله حمل عليه وضربه ضربة شديدة خشي منها المسلمون على عبد الله فراغ لها فاتت غير صائبة ثم الوى عليه وضربه فازال راسه عن جسده وعجل الله بروحه الخبيثة الى النار واخذ جواده وسلبه ورجع طالبا للبراز فخرج اليه اخو القتيل وهو من كبار الفرسان وحمل عليه واقتتلا ساعة واخذه عبد الله اسيرا واوثقه كتافا ومضى به الى فسطاط عقبة وطرحه امامه وعاد للبراز فخرج اليه اخو الاسير ولما دنا منه قال له وهل مثلك ياخذ اخي اسيرا فقال له عبد الله وانت ملحق به ان لم تقتل (قال) فلما سمع ذلك من عبد الله حمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة قوية فراغ لها فاتت غير صائبة ثم الوى عليه عبد الله وضربه بصفح سيفه فانقلب من على جواده فاخذه اسيرا فاوثقه كتافا ومضى به فوضعه بجانب اخيه وعاد للبراز فخرج اليه فارس صنديد ولما اقترب منه قال له ارجع وات بالاسيرين اللذين اخذتهما قبل ان افضحك بين اقرانك قال له عبد الله وانت ايضا الحقك بهما ان شاء الله تعلى فلما سمع اللعين كلامه حمل عليه وضربه فلم يصبه فالوى عليه عبد الله واختطفه من سرجه كالعصفور ومضى به الى فسطاط الامير عقبة حيث وضعه مع الاسيرين (قال) وما زال عبد الله ياخذ فارسا بعد فارس الى ان اسر خمسين بطريقا من عظمائهم ومشاهير ابطالهم فلما رات اسماء بنت ياسر ذلك ولولت هي وبنات العرب وقالت هكذا والله تلد النساء والا فلا ولما طال براز عبد الله للنصارى خرج اليه جماعة من بني هاشم وبني مخزوم وقالوا له ارجع لتستريح ويخرج غيرك للبراز فامتنع وقال ما انا براجع في هذا اليوم فرجعوا ولما راى النصارى من عبد الله الاصرار على عدم الرجوع اعرضوا عن برازه خوفا على فرسانهم وحملوا عليه بعنان واحد فتلقاهم فرسان المسلمين وحملوا عليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان والرجال بالرجال وثار الغبار واظلم النهار وتكاثر النصارى على بني امية وكشفوهم عن مواضعهم فعند ذلك صاحت فيهم اسماء بنت ياسر ووبختهم فسمعها بنو هاشم فقصدوا جهتهم وحملوا على النصارى بعنان واحد وصدموهم صدمة عظيمة فردوهم على الاعقاب واعادوا بني امية الى

مواضعهم ورجع النصارى الى معسكرهم (قال الواقدي رحمه الله تعلى) حدثني من سمع ممن حضر هذه الواقعة قال قال كنت حاضرا في ذلك اليوم فخيل لي انه يوم القيامة لما رايت من شدة الهول وكثرة الضجيج والصياح فلم ار غير القتلى مطروحين والناس هاربين لابسين وعارين ودام هذا الحال والقوم في القتال الى ان ادبر النهار وفرق بينهم الظلام (قال) ثم ان عبد الله ذهب الى فسطاط الامير عقبة ودعا بمسروق بن زيد ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وخرام بن ضرار وكندة وابن الملك الاكبر وصاحب سطيف وغيرهم من مثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين حتى جمع لديه الف فارس من صناديد الابطال الذين يؤثرون الموت على الحياة ويجودون بانفسهم ابتغاء مرضاة الله ورسوله وبعد ان ودعوا اهلهم واولادهم ولبسوا آلة حربهم ركبوا وساروا مع عبد الله وهجموا على النصارى على حين غفلة ووضعوا السيف في رقابهم فما كان من اعداء الله الا ان ركبوا خيلهم وقاوموهم مقاومة شديدة وقاتلوهم قتالا عنيفا ولكنهم لم يستطيعوا مع المسلمين صبرا وولوا هاربين والى النجاة طالبين وتركوا خيامهم بما فيها ومات منهم يومئذ خلق كثير لا يحصى .

(قال الراوي) فغنم المسلمون خيامهم وما فيها ورجعوا الى فساطيطهم وباتوا في فرح وسرور وبات الاعداء في غم عظيم ولما اصبح الصباح قال لهم الملك ويحكم ما هذا الفشل والجبن فقالوا كلهم لا طاقة لنا بهؤلاء العرب فانهم قوم يرون الحياة في الموت فقال لهم لا بد من قتالهم وطردهم من البلاد ثم امر بترتيب الصفوف (قال) فرتبوا جيوشهم وضربوا طبولهم ونادى الملك اين الذين ياكلون خبزي ويتنعمون بخيراتي فاجابه فارس من اقاربه وقال لبيك ايها الملك قال له اخرج الى عبد الله بن جعفر واكفنا امره ولك عندي ابنتي ونصف مملكتي واشهد على ذلك القسيسين فشهدوا فعند ذلك سار الفارس الى محله ليلبس آلة حربه فقال له ابوه الى اين يا بني قال ان الملك وعدني بزواج ابنته ونصف مملكته ان انا قتلت عبد الله بن جعفر قال له ابوه انك لا تقدر على هذا الشاب فقد احتارت فيه الشجعان ومشاهير الابطال الذين هم اقوى منك ساعدا واعظم فروسية ودراية بالحروب وما من احد بارزه الا وقضى نحبه او اخذه اسيرا وانا قد نصحتك يا بني وشفقت عليك منه فلا تغرنك مواعيد الملك فقال له دع عنك هذا الكلام فاني اقوى منه واشد بطشا فلما راى ابوه انه مصمم على القتال قال له ادن مني حتى اودعك لانني على يقين

من اني لا ارى لك بعد الان وجها فقال له ابنه لا شك انك عدمت العقل والميز وقال له ابوه حينئذ افعل ما بدا لك (قال) فخرج وسار الى مابين الصفوف ونادى باعلى صوته يا عبد الله بن جعفر اخرج للبراز فما استتم كلامه حتى اتى عبد الله اليه وحمل عليه حملة منكرة واختطفه من سرجه كالعصفور واوثقه كتافا ورجع به الى المسلمين فوضعه بين يدي الامير عقبة ورجع للبراز فخرج اليه ابو الاسير بغير سلاح فقال له عبد الله ارجع وائت بسلاحك فقال ما اريد مبارزتك وانما اتيت لاسلم على يديك وها انا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله واتوسل عليك بابن عمك محمد ﷺ ان تكتم امري لاني اخاف ان يسمع بي الملك وان تذهب في هذه الساعة الى ابني الذي اخذته الان اسيرا وتعلمه باسلامي وتامره بالاسلام فان اسلم واهتدى فاطلقه لوجه الله ورسوله لانه ابني الوحيد وليس لي سواه (قال) ثم رجع الاب من حيث اتى ومضى عبدالله الى الابن وقال له ان اباك اسلم على يدي الان وقد اوصاني بان اعلمك واعرض عليك الاسلام لتصير مثله وتسلم على يدي قال اني اقتديت به ونطق بالشهادتين واسلم واحسن اسلامه فحل عبد الله قيوده واطلق سبيله وقال له سر الى ابيك فسار حتى دخل عليه فلما رءاه قبله بين عينيه وبكى من شدة الفرح وقال الحمد لله يا بني الذي نجاك وهدانا الى الدين القويم واخرجنا من الظلمات الى النور ثم اخذ بيده وسار به الى الملك وقال له لا تواخذني ايها الملك ان رايتني خرجت الى عبد الله ولم ابارزه فانما ذلك لاجل ابنى الذي اسره وقد طلبت ان يطلق سبيله فاجاب طلبي وارسله الي فانظر خصال الصناديد والله انه على الحق وصاحب عهد ووفاء فقال له الملك ما نصروا علينا الا من اجل ذلك(قال)وكان عبد الله في ذلك الوقت ينادي بالبراز ولم يجبه احد من الاعداء وقد تمكن الرعب منهم بسبب ما فعله بطلهم ورجع الملك الى قصره مع معظم عساكره ثم امر بوزرائه ورجال دولته فلما حضروا بين يديه قال لهم ما نصنع مع هؤلاء العرب قالوا باجمعهم اما الحرب فلا طاقة لنا بها والراي عندنا ان نتحصن في مدينتنا ونغلق ابوابها ونترك العرب ولا نخرج اليهم ابدا فاذا طالت اقامتهم يفرغون من الزاد ويضطرهم الجوع الى الرحيل عنا بدون قتال فيرجعون من حيث اتوا فقال لهم الملك هذا هو الراي السديد وامر في الحين بقلع الخيام التي كانت حول المدينة ورجوع العساكر وغلق الابواب واقامة الرماة على الاسوار

(قال) فاقتلعوا خيامهم ودخلوا المدينة واغلقوا ابوابها ووضعوا الرماة على الاسوار فلما راى المسلمون ذلك قالوا لبعضهم بعضا ما الحيلة الان وقد تحصنوا في بلدهم وهي منيعة لا نستطيع فتحها وربما كان فيها من الزاد ما يحوجنا الى الاقامة عليها زمنا بعيدا فقال لهم عبد الله بن جعفر الذي نصرنا عليهم خارجها ينصرنا عليهم داخلها (قال) ولما كانت صبيحة الغد صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح وبعد فراغهم من الصلاة جلسوا يتحدثون الى ان حضرت صلاة الظهر فصلى بهم عقبة ولما فرغ من الصلاة التفت اليهم وقال لهم الى متى نقيم على هذا الحال والاعداء في منعة عنا فقال له عبد الله الى ان يشاء الله ولا بد ان نتدبر لامر ذلك ان شاء الله تعالى ثم تفرقوا وسار كل الى فسطاطه وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح صلى بهم الامير عقبة صلاة الصبح وجلسوا معه الى ان صلوا خلفه صلاة الظهر ثم تفرقوا الى فساطيطهم (قال) ولا يزالون على هذا الحال مدة ثمانية اشهر واشتد قلقهم من طول هذا الحصار ولما كانت ذات ليلة لبس عبد الله بن جعفر ءالة حربه وتقلد حسامه وسار نحو المدينة عسى ان يجد مسلكا او وسيلة تمكنه من دخولها فدار بها من جميع جهاتها ولم يجد في اسوارها منفذا وادركه الصباح فرجع الى الفساطيط فوجد الامير عقبة يصلي بالناس الصبح وبعد فراغه من الصلاة قال لعبد الله لقد بتنا ليلتنا هاته في قلق من اجلك لانك خرجت وحدك بدون رفيق فقال له سرت الى المدينة لعلي اجد مسلكا او استمع من خلف سورها كلاما وقد طفت بها فما وجدت منفذا ولا سمعت صوتا قط (قال) ومكث عبد الله والمسلمون يتحدثون الى ان صلوا صلاة العشاء ثم تفرقوا وسار عبد الله الى فسطاطه ولبس ءالة حربه وقصد نحو المدينة وفعل ما فعل بالامس وادركه الصباح فرجع ولا يزال يفعل كل ليلة هكذا الى ان انقضت ست ليال فلما كانت الليلة السابعة خرج كعادته وبينما كان واقفا عند الباب اذ برجل اقبل وهو يقول بصوت منخفض اللهم ياخالقي يا واحد يا فرد ياصمد يا سيدي ومولاي سالتك بنبيك محمد ﷺ ان تجمع بيني وبين عبد الله بن جعفر في هذه الليلة انك على كل شيء قدير فلما سمع عبد الله ذلك تقدم اليه وقال له بلسان النصرانية من انت ايها الرجل قال انا من اهل المدينة فقال له وما تريد من عبد الله الذي تسأل الاجتماع به قال لكي ادخله المدينة واكون سببا في فتحها حتى افوز فوزا عظيما فقال له عبد

الله وهل صحيح ما تقول قال نعم قال ابشر فانا عبد الله بن جعفر قال له اتهزا بي وانا اكبر منك سنا قال له عبد الله نحن قوم لا نقول الا الجد ولا نهزا بمن يتبع دين الاسلام وانا عبد الله بن جعفر حقا فعند ذلك قال له احفر تحت الباب ان كان عندك شيء يمكن الحفر به فاخذ عبد الله سيفه وحفر به قدر ما يدخله ودخل فقبله الرجل بين عينيه وقال له اتبعني وضع رجلك حيث اضع رجلي ولا حرج عليك (قال) فسار الرجل وعبد الله خلفه وبينما كانا سائرين والرجل مرتاب في كون رفيقه هو عبد الله حقا اذ تعرضت لهما في طريقهما جارية وقالت مرحبا بعبد الله قد قرب الوقت فقال لها الرجل وما هذا الوقت الذي قرب قالت لعلك تظن انه ليس عبد الله والله انه هو من غير شك ولا ريب فتعجب من كلامها وقال لها ومن اين لك هذا قالت وجدت ذلك في الكتب المتقدمة وان عبد الله يدخل المدينة في هاته الليلة ولذلك خرجت اترقبه وقد وجدته والمنة لله وانت ايها الرجل قد فزت بخير كثير وانا لا اتركه يدخل دارك حتى يذهب معي الى داري لاتبرك به وطلبت ذلك من عبد الله فقال لها حبا وكرامة وساروا جميعا فصادفهم في طريقهم رجل ومعه صبي على ذراعه فلما دنا منهم قال لهم الى اين سائرون قالوا الى منازلنا قال وما اسمكم فاجابه الرجل وقال انا اسمي جعاب وقالت المراة انا اسمي سعيدة وهذا الشاب اخي واشارت الى عبد الله فقال لها الرجل حاشا الله ان يكون عبد الله ابن جعفر اخاك اللهم الا ان يكون من الاسلام قالوا له ومن اعلمك بهذا قال الذي اعلمكم اعلمني ولكن يا عبد الله اطلب منك ان تضع يدك الشريفة على راس هذا الصبي وكان الصبي اقرع الراس فلما وضع عبد الله يده عليه شفاه الله في الوقت والحين ببركة رسول الله ﷺ (قال) ثم ساروا جميعا الى ان بلغوا منزل الجارية فادخلتهم واحضرت لهم طعاما حسنا وبينما هم في الاكل واذا بزوج المراة قرع الباب فاخفت المراة عبد الله ومن معه في مكان وفتحت له الباب فلما دخل قال لها ائتني بالمصباح وكتاب الفلك فاتته بهما ففتح الكتاب ونظر فيه ساعة فقالت له وما تنظر قال اريد ان اعلم وقت دخول عبد الله بن جعفر للمدينة قالت وما فائدتك من دخوله قال لانظر الى وجهه واتمتع برؤيته قالت وهل قولك صحيح قال نعم قالت تامل في حسابك وانظر هل هو الان في المدينة ام خارجها (قال) فاطرق براسه وتامل مليا في حسابه ثم رفع راسه ونظر اليها متبسما فقالت له وما سبب ابتسامك قال لها لا

شك انك مخادعة لاي شيء لا تعلميني من اول وهلة بانه عندنا في الدار قالت خشية منك ثم اخذت بيده وادخلته على عبد الله فقبل يديه وقال له اخرج يا ابن عم رسول الله ﷺ فقد شرفت بك الديار فخرج هو ومن معه وجلسوا يتحدثون وما استقروا في مجلسهم حتى اتت امراة وهي تبكي فتلقتها الجارية التي اتت بعبد الله وقالت لها ما لي اراك باكية قالت ان زوجي اختل شعوره وقد تهددني بالقتل قالت لها وما السبب قالت كان نائما ثم استيقظ وقال لي امضي وادخلي هاته الدار المجاورة لدارنا فاذا وجدت عبد الله فاعلميني بالخبر فهو جالس هناك فامتنعت وقلت له لا افعل ذلك ابدا فقال ان لم تفعلي قتلتك شر قتلة فقلت لا شك انك مجنون كيف يكون عبد الله هنا وهو مع العرب خارج البلد فقال لا بد ان تفعلي والزمني الخروج في هذا الوقت (قال) فقالت لها الجارية وهل يسرك ان تجديه الان عندي قالت ان ذلك لمن اعظم السرور عندي فعند ذلك ادخلتها عليه وهو يذكر الله ويصلي على النبيء ﷺ فلما راته استعظمته وقبلت يده واعلمته بامر زوجها فقال لها ادخليه علينا فان اتانا بخير نكافئه بمثله وان بشر كذلك (قال) فرجعت الى زوجها فوجدته ينظر الى السماء كالمجنون فلما رءاها قال لها ما الخبر قالت ابشر فانه هناك وقد اذن لك في الدخول ففرح فرحا شديدا ومضى مع زوجته ولما دخل على عبد الله قال له اتيتك حبا في دينكم ورغبة في الاسلام على يديك قال له عبد الله وما حملك على ذلك قال كنت نائما هاته الليلة فرايت سيد الكائنات ونور الارضين والسموات وكل ما عليه من اللباس ابيض فقلت له من انت قال محمد ثم قال لي ﷺ قم وادخل هذه الدار التي تلي دارك تجد فيها ابن عمي عبد الله بن جعفر فانتبهت وانا ارتعد كالورقة في يوم ريح عاصفة وبعثت امراتي لتسال عنك فبشرتني بانك اذنت لي في الدخول والان اقول بين يديك اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلما سمع عبد الله كلامه بكى وبكى الحاضرون معه واسلموا كلهم ثم قال له عبد الله وما الحيلة مع اهل المدينة قال له امكث ههنا ونحن ندبر الامر فمكث عبد الله ولما اصبح الصباح صلى بهم صلاة الصبح وجلس يذكر الله ويصلي على النبيء ﷺ .

(قال الراوي) ولم يكن عند المسلمين خبر بما فعل عبد الله فبعد ان صلوا خلف الامير عقبة صلاة الصبح افتقدوه ولما لم يجدوه عظم عليهم الامر وكثر ضجيجهم

فقال لهم عقبة احسنوا الظن بالله تجدوا الخير ان شاء الله (قال) وسمع الملك ضجيج المسلمين فقال لقومه ما هذا الصياح قالوا لا يكون ذلك الا لامرين اما لزيادة او لنقصان فامر ان يسال الحراس على ذلك فمضوا اليهم وسالوهم فقالوا سمعنا صياحا ولكنا لم نر شيئا فعادوا اليه واخبروه بما قال الحراس فعند ذلك استدعى بقسيسه الاكبر وكان كاهنا طاعنا في السن له من العمر مائة وخمسون سنة وقال له انظر لنا حالة العرب واخبرني بالحقيقة قال سمعا وطاعة واستدعى بدواة وقرطاس وكتاب عنده قديم وانعزل عن الناس في خلوة ومكث ينظر ويحسب ساعة ثم صاح صيحة اسمعت الملك ومن معه فسار اليه الملك وقال له ما الخبر قال ان سبب صياح العرب فقدهم لعبد الله بن جعفر وهو الان مختفي في المدينة قال له الملك تثبت في قولك قال ما قلت لك الا الواقع وان لم يصح قولي فافعل بي ما اردت فانا بين يديك (قال) فامر الملك بعشرين فارسا من ابطاله ولما حضروا امرهم ان يفتشوا جميع الديار وكل دار دخلوها يتركون على بابها حارسا حتى لا ينفلت وقت التفتيش منها احد فقالوا سمعا وطاعة ومضوا وفعلوا ما امرهم ولم يجدوا عبد الله فرجعوا اليه وقالوا له قد دخلنا جميع الديار دارا بعد دار ولم نجد له اثرا ولا خبرا

(قال الراوى) فعند ذلك قال له وزراؤه ايها الملك اخرج بنا الى هؤلاء العرب لنغتنم فرصة غيبة عبد الله ونطلبهم للبراز ونقتل ابطالهم ثم نحمل على الباقين ونقتلهم عن ءاخرهم لانهم بدون هذا الشاب لا يقدرون على برازنا ولا قتالنا وهو الان مفقود (قال) فلما غربت الشمس وانسدل الظلام امر الملك بان ينادي في المدينة بالخروج للقتال وان من يتخلف يقتل في الحال فلما سمع عبد الله هذا النداء ارسل صاحب الدار ليتجسس له الاخبار فخرج وسار الى ان وصل قصر الملك فاستفاد منه اخبار القوم وما عولوا عليه ثم عاد الى عبد الله واعلمه بالخبر فتكدر وعظم عليه الامر ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم من عبد الله بن جعفر الى الامير عقبة بن عامر ورافع والزبير وسليمان ومسروق وكافة المسلمين اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد ﷺ اني دخلت المدينة ليلا وقد من الله علي باسلام رجلين وامراتين من اهلها وهم الواسطة ان شاء الله في فتحها وانا الان مختفي عندهم ولتكونوا من اعداء الله على حذر فانهم خارجون اليكم غدا فاذا طلبوا منكم البراز فانتم تعرفون

فرسان البراز فلا تتركوا غيرهم يخرجون اليهم واياكم ان تولوا الادبار واصبروا ينصركم الله وسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وقال من يسير به واجره على الله فقال صاحب الدار انا لها يا عبد الله فشكره واثنى عليه ودفع له الكتاب فسار به في جنح الظلام وقضى بقية الليل خلف السور بداخل المدينة (قال) ولما اصبح الصباح امر الملك بضرب الطبول والخروج للقتال ففتحت ابواب المدينة وخرج اعداء الله كانهم جراد منتشر وساروا حتى اقتربوا من المسلمين وكان رسول عبد الله مع النصارى فلما وقفوا واشتغلوا بترتيب مراكزهم سار الى الامير عقبة ٠

(قال الراوي) فرتب النصارى جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم مثلهم ثم دعا الامير عقبة بالزبير وقال له اطلب البراز فانا لا اعتماد لنا الا على الله وعليك فقال سمعا وطاعة وبينما هم كذلك اذ خرج من اعداء الله شيطان كانه جبل من حديد ودخل بين الصفين ونادى باعلى صوته اين الزبير بن العوام يخرج للبراز فخرج اليه الزبير في الحين وكان على وجهه علائم التاثير بسبب تذكر عبد الله بن جعفر وعدم حضوره في ذلك اليوم فلما دنا من عدو الله قال له مالي اراك كئيبا فهل جزعت فقال له وهل انا ممن يجزع من مثلك وحمل على عدو الله حملة منكرة وضربه فقسم راسه نصفين وعجل الله بروحه الى النار فاخذ سلبه وعاد للميدان ونادى باعلى صوته من يخرج للبراز ٠

(قال الراوي) وفي اثناء ذلك بلغ الرسول الى عقبة ودفع له كتاب عبد الله فلما قراه سر سرورا عظيما وحمد الله تعلى واثنى عليه ثم تلاه على المسلمين ففرحوا فرحا شديدا وذهب عنهم الغم والحزن ثم اجتمعوا على الرسول وطلبوا منه ان يقص عليهم حديث عبد الله وما وقع له معه وكيف خرج من المدينة وتمكن من تبليغ الكتاب الى الامير وما حال عبد الله الان فقال اما حال عبد الله وما وقع بيني وبينه فيكفيكم لمعرفته كتابه واما وصولي اليكم فاني لما دفع لي عبد الله الكتاب اخفيته بين جسدي وقميصي وسرت الى الباب فوجدته مغلقا فجلست وراء السور انتظر فتحه ولما ادبر الليل واقبل النهار انفتح الباب وخرج منه اهل المدينة فاندمجت فيهم وخرجت معهم ولما اقتربوا من جيشكم اخذوا يرتبون انفسهم فخرجت من بينهم حتى انتهيت الى صفوفكم وعبرت صفا بعد صف الى ان وقفت بين يدي الامير عقبة وسلمت له الكتاب فهذه قصتي (قال) وكان الزبير اذ ذاك واقفا بين الصفين لطلب البراز فسار اليه الفضل بن العباس

ومسروق وسليمان واخبروه بكتاب عبد الله بن جعفر ففرح فرحا شديدا ونزل من على جواده وسجد لله تبارك وتعالى ٠

(قال الراوي) ولما قتل الزبير الفارس النصراني وعاد للبراز اتى قسيس كبير الى الملك وقال له ايها الملك قد ثبت من عدم ظهور عبد الله وخروجه اليوم للبراز انه في المدينة فان انت بقيت ههنا ولم ترجع اليها الان فانه يهلكها فادخلها لعل المسيح يوفق بينكما والا فانت هالك لامحالة فلما سمع الملك هذا الكلام تغير لونه واصفر وجهه وامر جيشه بالدخول فلما رءاهم بنو هاشم وبنو مخزوم راجعين حملوا عليهم بعنان واحد فلله درهم واعلنوا بكلمة التوحيد فرجع النصارى اليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان والرجال بالرجال وثار الغبار حتى صار النهار كالليل المظلم ولم يكن غير ساعة حتى انهزم الاعداء وولوا هاربين نحو البلد فتبعهم مسروق والفضل والزبير وسليمان ورافع ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين ودخلوا في اثر الملك الى ان بلغوا القصر وجرحوه في ذراعه الايسر ولما راى النصارى ان المسلمين قد دخلوا في اثرهم للبلد طلعوا على الاسوار ورموهم بالنبال فمنعوهم من الدخول والزموهم الرجوع فرجعوا ورجع الفضل والزبير ومسروق ومن معهم حين راوا الملك دخل قصره وتحصن فيه وبات المسلمون في فرح وسرور ٠

(قال الراوي) اما عبد الله بن جعفر فانه لايزال مختفيا في دار الرجل الذي اسلم ولما جن الظلام قال له صاحب الدار اني اريد ان امضي الى قصر الملك وآتيك بالاخبار فشكره عبد الله وقال له افعل فسار الى ان بلغ قصر الملك فقال له الحجاب ما تريد قال اني رايت شيئا في منامي واريد ان ابشر به الملك فاذا عمل بمقتضاه تغلب على العرب وكان من الظافرين فدخلوا على الملك واعلموه بما قال الرجل فقال لهم ائتوني به فادخلوه عليه فوجدوه جالسا على سريره فقال له ما هذه الرؤيا قال رايت كان رجلا قد اتاني وقال لي امض الى الملك وقل له اذا اراد النصر على العرب فليستشر الرجل الجديد الساكن بالدار المجاورة لك وان يفعل جميع ما يشير به عليه فانه يغلب العرب لا محالة فقال له الملك وهل تعرف هذا الرجل قال نعم قال ائتني به (قال) فسار الرجل الى منزله فوجد عبد الله ينتظره فقال له قم على بركة الله فقام عبد الله وتقلد حسامه ولبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت اثوابه وسار مع الرجل الى قصر الملك فلما دخلا عليه وجداه جالسا ينتظرهما فقال لهما اجلسا فجلسا بالقرب منه ثم قال

لعبد الله ماذا تشير به علينا في امر العرب فاجابه عبد الله بلسان النصرانية قائلا ان اردت ان تنتصر عليهم فافعل ما نامرك به فقال له الملك اني لا افعل امرا من الامور الا اذا خرجنا اليهم وطلبنا منهم البراز فان انت قهرتهم وغلبتهم في ميدان الحرب فعلت كل ما تامرني به فقال عبد الله حبا وكرامة فاذا كان في صبيحة غد نخرج اليهم وابارزهم انا بنفسي واريهم حروبا تشيب منها الولدان ولما سمع الملك هذا الكلام من عبد الله بن جعفر فرح فرحا عظيما (قال) وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح امر الملك لعبد الله بن جعفر بجواد من عتاق الخيل وسيف واثواب رفيعة وركب الملك في جيش عظيم وركب معه عبد الله وساروا الى ان اقتربوا من جيش المسلمين فرتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ورتب المسلمون جيوشهم ايضا ثم قال الملك لعبد الله اين وعدك الصادق فقال له حبا وكرامة فخرج عبد الله وجال بجواده يمينا وشمالا وكان ملثما لا تظهر منه الا عيناه فلما رءاه المسلمون تعجبوا من فروسيته وقال عقبة اني لم ار قط في فرسان النصارى مثل هذا الفارس ثم قال ايكم يخرج لبرازه فقال الزبير انا وخرج اليه فلما دنا من عبد الله عرفه وتبسم ضاحكا فقال له عبد الله اكتم الامر واطعني فيما افعله معك قال وما تريد ان تفعل قال احمل عليك وآخذك اسيرا قال له افعل (قال) فعند ذلك حمل عليه واختطفه من سرجه واخذه اسيرا ومضى به الى الملك وقال له احفظه عندك ففرح الملك وشكره وجزع المسلمون حين راوا الزبير اسيرا وتمكن منهم الرعب خوفا من عبد الله ثم رجع عبد الله للبراز فخرج اليه رافع بن الحارث فلما اقترب منه كشف له عبد الله عن وجهه فاراد رافع ان يترجل فقال له لا تفعل واني اريد اخذك اسيرا قال له افعل فحمل عليه عبد الله واخذه اسيرا ومضى به الى الملك فلما راى الملك ذلك فرح فرحا شديدا وفرح النصارى وتعجبوا من شجاعة عبد الله وهم لا يعرفون له اسما ولا وجها لانه كان ملثما (قال) ثم تقدم عبد الله الى الملك وكلمه بلسان النصرانية وقال له ارجع بنا الى المدينة حتى تتدبر لهلاك العرب وقد هدمنا الان لهم ركنا عظيما من قوتهم حيث اسرنا منهم فارسين عظيمين اللذين هما عمد الجيش كله فامر الملك بضرب الطبول والدخول الى المدينة فدخلوا واغلقوا الابواب واقاموا الرماة على الاسوار وسار الملك الى قصره وامر بسجن الزبير ورافع وجعلهما في القيود والاغلال وكان عبد الله حاضرا عنده فقال له ايها الملك

ليس هذا من شيم الابطال وانما الاولى ان تجعلهما في بيت تحت مراقبة حراس لانهما
من اعزاء القوم قال له صدقت وامر بوضعهما في بيت بقصره وان يؤتى لهمـا بفراش
رفيع (قال) وقد تعلـق الملك بعبـد الله واشتدت محبتـه له وبعد حديث طويـل
قال عبد الله للملك ما رايك لو استحضرنا الاسيرين وسالناهما عن الاديان ايهما افضل
فقال له الملك افعل ما تريد قال فامر عبد الله باحضارهما ولما حضرا وجدا عبـد الله
جالسا على يمين الملك فامرهما الملك بالجلوس فجلسا فقال لهمـا عبـد الله اي الاديـان
افضل قال له الزبير ديننا افضل فقال له الملك وما دليلك في ذلك قـال انتم تعبـدون
الاصنام التي لا تنفع ولا تضر ونحن نعبد الله الذي خلق السموات والارض وخلـق
الخلائق باجمعهم من انس وجن وخلق ما في البر والبحر وما نعلم وما لا نعلم وهـو
الله الذي لا اله الا هو النافع الضار الوهاب الرزاق الخافض الرافع لم يلـد ولـم يولد
ولم يكن له كفؤا احد (قال) فلما سمع الملك ذلك سكت ومكث ساعة يتفكر فقال له
عبد الله مالي اراك ساكتا ولم ترد جوابا قال وماذا اقول فما قاله هو عين الحق والصواب
قال له عبد الله حينئذ تيقنت انه حق قال نعم قال له ولعلك تريد الدخول في دين
العرب قال اني عولت على ذلك لان العرب على الحق ونحن على الباطل وقد مال قلبي
اليهم كثيرا فقال له عبد الله وانا مثلك لاني وجدتهم على الحق ولا شك انهم يملكون
الارض طولا وعرضا فقال له الملك وحينئذ كيف السبيل الى لقاء عبـد الله بن جعفر
وهو عندنا في المدينة على ما اخبرني القسيس ولا ادري في اي مكان اختفى واني لواهب
لمن يجمعني به ما اراد من المال فقال له عبد الله وما تريد منه قـال لاسلم على يـديه
واتكلم معه في امر المدينة (قال) فعند ذلك تبسم الزبير ورافع ضاحكـين من كلامه
فقال لهما الملك ما سبب ابتسامكما قالا لانك تركت الامير عقبة وجميع المسلمين ولـم
تطلب الا عبد الله بن جعفر فقال لهما لانه عماد جيشكم ولـولاه ما قـامت لكم في
افريقية قائمة وزيادة على ذلك فهو ابن عم النبي محمد ﷺ قال له عبد الله ابعـث الى
القسيس وامره ان ينظر في الفلك لعله يطلع على مكان عبد الله بن جعفر فارسل الملك
في طلب القسيس وكان قد مضى من الليل نصفه ولما حضر بين يديه قال له حقـق لي
في اي مكان اختفى عبد الله بن جعفر لاني قد قيل لي انه في المدينة (قال الراوي) وكان
هذا القسيس حكيما ماهرا كاهنا عارفا بعلوم الفلك والرمل فارسل الى داره من اتاه ببعض الكتب

والاوراق وجعل ينظر في اوراقه ويحسب وينظر الى عبد الله ولا يزال كذلك مدة زمانية فقال له الملك ما ظهر لك قال امر عجيب قال له قل ولا حرج عليك فقال من هذا الرجل الذي بجانبك قال من اهل بلادنا قل لا بل هو عبد الله بن جعفر نفسه قال له الملك وهل هذا حذقك ومهارتك قال وحق ابن عمه الذي لولاه ما خلقت جنة ولا نار ولا سموات ولا ارضين وهو محمد ﷺ ما هو الا عبد الله ابن جعفر وان ظهر خلاف ذلك فاحرقني بالنار ، قال) وعند ذلك تبسم عبد الله بن جعفر فقال له الملك سالتك بالله ان تصدق معي في قول هذا القسيس قال نعم انا عبد الله بن جعفر فلما سمع الملك منه ذلك قام على قدميه وقبل يديه وقدميه واسلم في الحين ونطق بالشهادتين وامر باحضار الطعام فاحضرت مائدة فاخرة فاكل معهما رافع والزبير وحمدوا الله تعالى وشكروه ثم جلسوا يتحدثون فقال الملك لعبد الله ما نصنع مع اهل المدينة قال انا اخرج من البلد وابيت عند المسلمين وانت في صبيحة غدا اخرج في قومك كعادتك واكتم اسلامك ولا تفش سرك لاحد قال حبا وكرامة .

(قال الراوي) ثم لبس عبد الله والزبير ورافع ملابس النصارى وخرجوا رضي عنهم متنكرين وهم كالاسود وساروا حتى بلغوا الباب الذي يلي معسكر المسلمين فوجدوه مقفلا والحراس حوله فقال لهم الحراس من انتم فاجابهم عبد الله بلغتهم نحن رسل الملك قد بعثنا الى العرب لنعقد معهم صلحا ويذهبون عنا الى بلادهم ففرحوا بذلك وفتحوا لهم الباب (قال) ولما خرجوا وساروا قليلا صادفهم عقبة مع بعض اصحابه اذ كانوا يطوفون حول البلد وهجموا عليهم لظنهم انهم نصارى خرجوا يتجسسون على العرب وكانت الليلة مظلمة فلما اختلطوا عرفوا بعضهم بعضا من اصواتهم وعندما سمع الامير عقبة صوت عبد الله اتى اليه وقبله بين عينيه بعد ان ترجل جميعهم وسلموا على بعضهم بعضا ثم ساروا الى الفساطيط ففرح المسلمون بعبد الله والزبير ورافع وبشرهم عبد الله باسلام الملك واخبرهم بقصته من وقت دخوله المدينة الى قدومه اليهم ثم جلسوا يتحدثون الى الصباح (قال) ولما حضر وقت الصلاة صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم امر بترتيب الجيوش والتاهب للقتال ظنا منه ان الاعداء يخرجون اليهم كما وقع الاتفاق بين عبد الله والملك فرتب الامراء جيشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وبعد ذلك اتى اليه عبد الله وقال ايها الامير حرض الناس على القتال لان هذا يوم الفصل فاذا

شددنا القتال فيه على الاعداء ملكنا مدينتهم قال له حبا وكرامة وركب جواده وسار الى ما بين الصفوف وقال ايها الناس تعلمون ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار وفاء لمن اخذ منها بحقها ودار رجاء لمن تزود منها ودار نجاة لمن فهم عنها الدنيا مهبط وحي الله ومصلى ملائكته ومسجد احبابه واوليائه اتخذوها مزرعة فرحمنا الله واياكم وكان اياكم وكان لنا ولكم فمن اراد الزاد من هذه الدنيا الفانية الى يوم حشره فليبادر الى التجارة الرابحة ولا يغره طول الاجل فيطمئن الى التقصير في العمل الا واني قد وهبت نفسي لله وقد اشترى ثم اقرا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه فمن باع فليبادر ولا يجزع مما يحاذر فالموعد بيننا في عرصات القيامة وموقف الحشر والندامة فاتبعوا سلفكم الطاهر والدين الباهر فعولوا على بركة الله وعونه فقد وعدكم النصر في كتابه المبين فقال عز من قائل وكان حقا علينا نصر المؤمنين ٠

(قال الراوي) هذا ما كان من المسلمين واما ما كان من امر اعداء الله فانهم لما اصبح الصباح اجتمعوا عند قسيس لهم وقالوا يا ابانا الشفيق ماذا رايت البارحة في الفلك ولمن النصر اليوم لنا ام للعرب قال لهم علمت ان الملك قد اسلم على يدي عبد الله بن جعفر واطلق سبيل الاسيرين اللذين عنده وقد خرجا من المدينة مع عبد الله فخذوا حذركم منه وكونوا على اهبة لئلا يهلككم العرب فلما سمعوا منه ذلك ساروا باجمعهم الى الملك وقالوا له ما هاته الفعلة التي فعلتها قال وما هي قالوا بلغنا انك دخلت في دين العرب وانهم سحروك قال وانتم ما قولكم في دينهم قالوا باطل لانه دين محدث وديننا دين قديم قال لهم لا دين الا دينهم ولا شك انهم يملكون الارض طولا وعرضا فلما سمعوا منه ذلك غضبوا غضبا شديدا وقال بعضهم لبعض ما نصنع بهذا الملك وكان القسيس حاضرا معهم فقال اوثقوه فان العرب سحروه واتركوه مقيدا حتى يزول ما به من السحر (قال) فاوثقوه وسجنوه في بيت بقصره وهو يقول بصوت عال انا على دين محمد ﷺ وكلما سمع اعداء الله منه ذلك ازدادوا غضبا واغلظوا عليه ومنعوا عنه الاكل والشرب ومكثوا في المدينة متحصنين باسوارها المنيعة ولم يخرجوا لقتال العرب (قال) فغاظ ذلك صاحب عبد الله بن جعفر الذي كان اسلم على يديه وجمعه بالملك فتحيل على الحراس وخرج ليلا من المدينة وسار الى عبد الله واعلمه بما وقع فلما سمع المسلمون ما حل بالملك عظم عليهم الامر وقام عبد الله ورافع والزبير من حينهم ولبسوا ملابس

نصرانية وتقلدوا بسلاحهم وساروا مع الرجل حتى اذا انتهوا الى الباب قال لهم الحراس اي الناس انتم فاجابهم صاحب عبد الله وقال من اهل المدينة وقد كنا اسارى عند العرب والان هربنا ففتحوا لهم الباب فدخلوا رضي الله عنهم كالاسود وساروا في ازقة المدينة حتى وصلو الى جمع كثير كانوا مجتمعين حول قسيس كان بيده كتاب واوراق وهو يقول لهم ان عبد الله الان في المدينة ثم خط خطوط وحسب وقال هو الان معكم ومعه اثنان من اصحابه (قال) فعند ذلك اوقدوا الشموع واخذوا يفتشون وينتظرون لوجوه الحاضرين ولما دنوا من المسلمين جرد عبد الله واصحابه سيوفهم وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ووضعوا السيف في رقابهم ولم يكن غير ساعة حتى ولو الادبار ولم يبق الا القسيس وحده فاسرع اليه عبد الله وضرب هامة راسه فشطرها شطارين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ومات من المشركين في تلك الليلة خلق كثير (قال) ثم سار عبد الله واصحابه مع صاحبهم الى داره تجلسوا عنده وطلبوا منه ان يوجه الى الملك من يخبره بقدومهم فقالت امراته انا امضي اليه لانه قريبي ولي معرفة بجميع قصره قالوا لها اسرعي بارك الله فيك (قال) فمضت اليه وتمكنت من الدخول عليه فوجدته مكبلا بالحديد ولما دنت منه قال لها وهو متبسم ان الوقت قد قرب والحمد لله قالت ومن اين لك هذا قال علمته قبل قدومك بوقت يسير وقد رايت رسول الله ﷺ في النوم وقال لي ابشر فان ابن عمي يرسل اليك عجوزا في هذه الساعة ولما استيقظت وجلست دخلت انت علي فتعجبت العجوز من ذلك فقال لها لا تعجبي من امر الله قالت وكيف اعجب من قدرة الذي خلقنا وصورنا واخرجنا من الظلمات الى النور ثم قال لها الملك ائتني بعبد الله واصحابه ولك عندي الف دينار ذهبا (قال) فرجعت اليهم وقالت لهم قوموا ايها السادة الكرام وسارت وساروا خلفها الى القصر ودخلوا على الملك وسلموا عليه وفكوا قيوده واطلقوه فشكا لهم حاله وما فعل به اهل المدينة ثم قال بادروا بكتب كتاب الى الامير عقبة ليمدنا بعشرة الاف فارس من صناديد الابطال في ظلام هاته الليلة قالوا نعم ودعا عبد الله بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر والزبير ورافع الى الامير عقبة بن عامر فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو ونصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الامير فساعة

وقوفك على كتابنا هذا ارسل لنا عشرة الاف من خيار الفرسان وانجز بهم في ظلام هاته الليلة وسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه الى رجل من خدام القصر (قال) فمضى الرجل وسار الى ان وصل الباب فاذا اعداء الله يحرسون فقالوا له من انت قال من المدينة قالوا اين تريد قال بعثني اهل المدينة بكتاب الى هؤلاء العرب لاجل الصلح وحين ارجع اليكم الان بالفرسان الذين ياتون معي لعقد الصلح افتحوا الباب فاذا دخلوا اغلقوه كما كان (قال) ففتحوا له الباب فخرج وسار الى ان دخل على الامير عقبة فوجده جالسا يذكر الله تعالى فدنا منه وسلم له الكتاب فاخذه ولما قراه سر سرورا عظيما وسجد شكرا لله تعالى ثم نهض ودعا بالفضل وخرام وسليمان ومسروق ومثل هؤلاء السادات رضي الله تعالى عنهم اجمعين ولما وقفوا بين يديه تلا عليهم الكتاب وامرهم بانتخاب عشرة الاف من ابطال الفرسان فاجابوا بالسمع والطاعة واحضروا العشرة الاف فارس في اقرب وقت فامرهم عقبة عند ذلك بالمسير الى المدينة فودعوا اهلهم وساروا والرجل امامهم الى ان وصلوا الباب فكلم الرجل الحراس بلغتهم ففتحوا لهم وبعد ان دخلوا اغلق الحراس الباب (قال) فسار اصحاب رسول الله ﷺ الى القصر فتلقاهم عبد الله والملك فلما راوهما ترجلوا لهما وسلموا عليهما ثم دخلوا معهما القصر وجلسوا يتحدثون وبينما هم كذلك اذ دخلت بنت الملك ورحبت بهم واثنت على عبد الله وشكرته واسلمت على يديه

(قال الراوى) وكان الصباح قد قرب والناس قد خرجوا للكنائس فقال الملك لعبد الله ومن معه قوموا لقتال اهل المدينة حتى يسلموا او يعطوا الجزية فنهضوا وركبوا ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وسلوا سيوفهم ووضعوها في اعداء الله وقتلوا منهم ما لا يحصى حتى نادوا الامان الامان فعند ذلك رفعوا السيف عنهم وامنوهم واسلم منهم يومئذ خلق كثير

(قال الواقدي رحمه الله) وامتلك المسلمون المدينة وفتحوا ابوابها الى بقية جيشهم فدخلوا وهم يذكرون الله ويسبحون وعلى اشرف المخلوقات يصلون واقتسموا الغنائم وذبحوا الغنم وطبخوا اللحوم واكلوا وشربوا وحمدوا الله تعالى على ما انعم به عليهم من النصر المبين واقاموا في المدينة خمسة عشر يوما بنوا في اثنائها مسجدا وجعلوا فيها قاضيا واقروا عليها صاحبها الملك الاعظم ثم رحلوا عنها يريدون مدينة الجدار

ذكر غزوة مدينة الجدار

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) وارتحل المسلمون من المدينة الحمراء يريدون الجدار وكان معهم صاحب شرشال فقال لهم خذوا حذركم من صاحب الجدار فانه شيطان مريد وليس في بلاد المغرب اعظم ولا اكثر جيوشا منه تخضع له الملوك العظام وتؤدى له الجزية من اطراف البلاد ومهما طلب من احدهم شيئا الا واسرع به في الحين واذا قربتم من المدينة فكونوا على حذر من غائلته ومكره لانه هجام وله اعتماد على كثرة جنوده قال له عبد الله نحن لا نبالي بكثرتهم فان الله سبحانه وتعلى وعدنا النصر وقال في كتابه المبين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال) وسار عبد الله في اول الجيش بعشرين الفا وعقبة في اثره مع بقية الجيش وكانت اعلامهم منشورة كانها اجنحة طيور والطبول تضرب ولما غربت الشمس حطوا رحالهم ونزلوا وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم امر بالرحيل وقال لعبد الله بن جعفر سر انت امام الجيش كما فعلت بالامس فتقدم عبد الله بعشرين الفا وسار القوم مسرعين نحو الجدار (قال) وكان لملك الجدار عيون على العرب فاتوا اليه واخبروه بان العرب قادمون عليه فلما سمع منهم ذلك امر ان ينادى في المدينة بالاسراع اليه والحضور لديه فاجتمع الناس في الحين ولما حضروا بين يديه قال لهم تاهبوا لقتال العرب فانهم قادمون اليكم واخرجوا الخيام وسيروا للقائهم فاذا رايتموهم اهجموا عليهم هجمة واحدة باجمعهم (قال) ولما كان الغد ضربت الطبول وخرج من اعداء الله مائة الف وساروا سيرا حثيثا الى ان غربت الشمس وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح رحلوا وكان لهم عيون متقدمة في عدد ثلاثمائة فارس فلما اشرفوا على عيون المسلمين الذين كانوا ستين فارسا من الابطال كسليمان بن خالد وخرام بن ضرار ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين هجم عليهم المسلمون وقتلوا منهم مائة وهزموهم وردوهم على الاعقاب فولوا هاربين الى اصحابهم فلما وصلوا اليهم قالوا لهم ما وراءكم قالوا راينا الموت عيانا واعلموهم بالخبر فقالوا كيف تفرون من شرذمة قليلة وكيف يفعلون بكم ما فعلوا وانتم كثيرون قالوا سترون فعلهم اذا لقيتموهم (قال الراوي) وعاد عيون المسلمين الى الامير عقبة بن عامر رضي الله عنه واخبروه بما حصل بينهم وبين عيون النصارى فاستبشر الناس وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح

صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم قال لعبد الله بن جعفر اجعل في مقدمة الجيش فرسانا يطيقون الحرب ولا يبالون بالموت لان الاعداء قد اقتربوا منا وخذوا حذركم منهم فقال له لا تستصعب امرهم ايها الامير ثم ان عبد الله لبس آلة حربه وركب جواده وقال لعقبة مر الناس بالرحيل فامرهم (قال) وتقدم عبد الله في الف فارس من صناديد الابطال وقال لرافع ومسروق كونا انتما مع الظعن والنساء والامير عقبة فقالا سمعا وطاعة (قال) وارتحل المسلمون وساروا الى الظهر ثم نزلوا بمكان يقال له قنطرة الملك واقاموا به الى الليل ثم رحلوا وباتوا سائرين الليل كله ولما اصبح الصباح صلوا صلاة الصبح وساروا يوما كاملا وعند الغروب نزلوا بارض واسعة كثيرة الثمار والاشجار وكانوا اذ ذاك في فصل الخريف (قال) وكان عبد الله سبق الرحل مع اصحابه بمسير ليلة ويوم ولما بلغ وادي الريحان وجبل المعمور التقى بجيش النصارى ولما رآهم امر اصحابه بالحملة فحملوا بعنان واحد وحمل المشركون عليهم وتقاتلوا قتالا شديدا ولم يلبث الاعداء ان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار تاركين في ميدان القتال ثلاثين الفا وساروا الى الجدار في سبعين الفا بعد ان كانوا مائة ولما وصلوا الى ملكهم ودخلوا عليه قال لهم ما الخبر قالوا راينا قوما اعظم من البلاء يرون الحياة في الموت ولا شك انهم ينصرون علينا فغضب عليهم الملك وقال لهم لعنكم المسيح كيف يغلبكم صعاليك العرب ورعاة الابل قالوا ايها الملك لو خرجت انت ما كنت رجعت فاحمد الله على عدم خروجك فاغتاظ الملك غيظا شديدا وقال وحق المسيح لاخرجن اليهم بنفسي ولاطردنهم من جميع البلاد واجعل الحبال في اعناقهم واقتل عبد الله بن جعفر شر قتلة

(قال الراوي) اما عبد الله واصحابه فقد اقاموا بوادي الريحان الى ان اقبل عليهم الامير عقبة والجيش واستقر جميعهم هناك ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع امر عقبة بالرحيل فرحلوا ولما بلغوا جبل الخضر المسمى الان بجبل الحديد نزلوا وانحازت كل قبيلة الى قبيلتها وساروا الى ان صاروا قريبا من المدينة ونزلوا بموضع يسمى بمسكانة (قال) وكانت مدينة الجدار حصينة جدا وملكها فارس شديد وبطل صنديد تضرب به الامثال في افريقية ولما حط العرب رحالهم خرج اليهم الرماة ورموهم بسهم واحد فجرحوا منهم خلقا كثيرا ولما كان اخر النهار اجتمع المسلمون عند عقبة وقالوا كيف السبيل الى فتح هذه المدينة وهي على ما رايت من المنعة وقد انجرح اليوم منا خلق كثير فقال لهم عبد الله لابد لنا من الاقامة عليها

الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا فقال الفضل بن العباس وامراء الجيش هذا هو الصواب (قال) واقاموا على حصارها ثلاثة اسابيع وكانوا ذات ليلة مطمئنين فخرج اليهم الملك على حين غفلة في سبعين الفا وهجموا عليهم دفعة واحدة وقتلوا الفـا وخمسمائة فارس من غسان ولخم وطي وخرام ومن بني مخزوم عشرين فارسا ومن حمير ثلاثين ومن بني هاشم ثمانية ثم عاد اللعين بسرعة الى المدينة .

(قال الراوي) فعظم امر ذلك على المسلمين واجتمعوا عنـد الامير عقبة وقالوا لعبد الله ارايت ما حل بنا وكل هذا من اتبـاع رايـك فقال لهم الامير عقبـة هذا امر قدره الله وهل تعاندون القدر فامتثل القوم لاحكام القدر وقالوا انا لله وانا اليه راجعون وقرأوا قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الاية ثم تفرقوا ومكث عبد الله عند عقبة ولما لم يبق احد من الناس قال له ايها الامير ان هذه المدينة كما علمت حصينة جـدا وجيوشها كثيرة فماذا ترى من الراي لدخولها فقال له عقبة تدبر لذلك فانك لاتعدم رايا سديدا (قال) فخرج عبد الله من عند عقبة وهو يقول لاحول ولا قـوة الا بالله العلي العظيم ثم دعا بالامراء فاجتمع عنده خمسة عشر من وجوههم وقالوا لبيك يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال لهم قد علمتم الحالة التي نحن عليها الان امام هذه المدينة المنيعة فمن كان له راي فليتكلم فقال عبد الله بن شداد كلنا يعلم ان المدينة حصينة ولها سبعة اسوار كل سور عليه حراس لايحصى لهم عدد يرمون بالنبل كلهم في وقت واحد وان فتحها لا ينال الا بعد مشقة عظيمـة وان ملكها اطغى الملوك وليس هو كمن لقيـنا من ملوك الاقطار الاخرى ولكن كيفما كان الحال فلا بد لنا من فتحها ولا يسعنا الان حيث قدمنـا اليها الا الضرب بالحسام والصبر على المقام فقال له عبد الله ماقلت الا الصواب واتفقوا كلهم على ذلك ثم تفرقوا الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح بسورة الغاشية والشمس وما فرغوا من الصـلاة حتى خرج اللعين في جيش عظيم وهو بينهم كانه برج من ذهب عليه درعان مزردان وامامه الفرسان وعلى رؤوسهم التيجان المكللة باللالي والجواهر راكبين على خيل مسرجة عليها سروج الذهب والجنائب مغطاة باغشية من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضة والخز وكان معهم مائة صليب كل صليب طوله اربعة اشبار من الذهب تحت كل صليب الف فارس على كل صليب رمانة من الذهب المنقوش وهم في زي عظيم عجيب وقد اكثروا من الطبول والزمور وضرب

القرون والمعازف حتى ارتجت الارض ومعهم النسوة متزينات احسن زينة والوان ملابسهن كازهار الربيع وبنت الملك بينهن كالبدر بين النجوم عليها حلة من ذهب بها اربع يواقيت تضيء كانها القمر المنير وقد ارخت ذوائبها وجعلت في كل ذؤابة الف جوهرة من الجواهر النفيسة وكانت راكبة على مطية حمراء كانها الارجوان وحولها الخدم والحشم والغلمان وهي بكر عذراء لم يمسسها بشر قط .

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) وتقدم الملك الى ان صار قريبا من المسلمين فاذن بترتيب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولما راى المسلمون من اعداء الله هذه القوة العظيمة شق عليهم الامر فركب عند ذلك عبد الله بن جعفر على جواد ادهم وتوسط بين الجيش وقال معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى اعلموا ان الجنان قد فتحت والملائكة قد اشرفت من الجنان ثم قرا ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقال اثبتوا ولا تنظروا الى كثرتهم وقلتكم فقد كان المصطفى ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وخذل الكافرين وقد كانت قريش في حدها وحديدها وعدها وعديدها ونصر الله نبيه ورسوله وقال تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واعلموا ان الصبر والثبات جندان لا يغلبان فاياكم ان تولوا الادبار فمن ولى الادبار كان ماواه النار وغضب عليه الجبار واعلموا ان الله فرض عليكم الجهاد وقتل الاعداء وان الاحب اليه جل وعلا قطرتان قطرة دم جرت في سبيل الله وقطرة دمع جرت من خشية الله وهذا اليوم له من الاجر ما لا يعد فاتقوا الله عباد الله واثبتوا في هذه المواطن كما ثبتم في غيرها واياكم والفشل فتذهب ريحكم واعلموا ان الله مع الصابرين ولا يضيع اجر المحسنين .

(قال الراوي) فلما فرغ عبد الله من وعظ الناس رتبهم الامير عقبة في الحين ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل في الميمنة بني مخزوم وفي الميسرة بني امية وفي القلب بني هاشم وفي الجناحين اخلاط العرب وعند ذلك قالت بنت الملك الاكبر لزوجها عبد الله بن جعفر خذ حذرك من الملك فانه فارس شديد مشهور عند اهل افريقية بالشجاعة والمكر والغدر والملوك تهاب سطوته وتخشى باسه فقال لها طيبي نفسا وقري عينا فانا اقهره في ميدان الحرب وانصر عليه ان شاء الله تعلى (قال) ولما ترتبت صفوف الجيشين وانتظمت هيئة الجمعين صاح الملك اين سيراج فقال لبيك وسعديك ايها الملك قال له اخرج واطلب البراز من عبد الله بن جعفر فان انت قتلته او اخذته

اسيرا فلك عندي في جميع بلادي ما تريد قال سيراج لي عليك شرط اخر لا بد من بيانه قال وما هو قال ان تزوجني ابنتك شعاع الشمس قال هي لك (قال) فلبس سيراج آلة حربه وركب جواده ودخل بين الصفين ونادى بصوت عال اين عبد الله ابن جعفر فخرج اليه عبد الله كانه اسد غضبان ونساء المدينة ينظرن اليه ويتعجبن من حسنه وجماله ولما دنا منه قال له عدو الله ارجع وائتني ببنت الملك الاكبر هدية لتفتدي بها نفسك من الموت فقال له يا عدو الله انت في حاجة لافتداء نفسك فاحمل علي او احمل عليك فحمل اللعين عليه وضربه ضربة قوية فراغ لها فأتت غير صائبة فالوى عليه عبد الله وضربه ضربة هاشمية فقسمه نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فاخذ جواده وسلبه وكانت قيمته الف دينار ذهبا وعاد للبراز ونادى هل من مبارز انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله ﷺ فخرج اليه فارس مشهور من اعز ابطال الملك اسمه دبداب بعد ان لبس درعين مزردين ولما قرب من عبد الله صاح صيحة عظيمة وحمل عليه وضربه ضربة شديدة فاصاب الجواد فقتله فالوى عليه عبد الله وقتل جواده ورجع كل منهما الى قومه واتى بجواد وعادا للبراز فتجاولا طويلا واعتركا مليا وارى كل منهما ما ادهش الناس وكانت بنت ملك الجدار تنظر الى عبد الله وقد افتتنت بحسنه وجماله وفروسيته وشجاعته (قال) وادرك الخصمين الليل فرجع كل منهما الى جيشه ورجع الملك الى المدينة ودخل قصره وبات المسلمون يتحارسون مخافة ان يهجم عليهم عدو الله بغتة ولما اصبح الصباح صلى المسلمون صلاة الصبح ورتبوا صفوفهم ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فلما سمع عدو الله ذلك غضب غضبا شديدا وقال هل مثلي يتهدده صعاليك العرب ورعاة الابل وحق اللات والعزى والصنم الادنى لاجعلن الحبل في عنق اميرهم ولاقتلن عبد الله بن جعفر شر قتلة ثم امر جيشه بالخروج وخرج معهم ونزل بالمكان الذي كان به بالامس قرب المسلمين ورتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وامر البطارقة بالبراز (قال) فخرج دبداب فلقى عبد الله في انتظاره فحمل كل منهما على الاخر وتقاربا وتباعدا وتصادما وصارا في حرب عظيم وحميت عليهما الشمس وثار الحرب حتى كل منهما الساعدان وعرق من تحتهما الجوادان ونادى الملك يا دبداب احمله الينا اسيرا فلما سمع عبد الله كلامه غضب غضبا شديدا وحمل على عدو الله حملة منكرة

وضربه ضربة هاشمية فارداه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر عند ذلك المسلمون تكبيرة واحدة ثم حمل عبد الله على الميمنة فقتل عشرة فرسان وعلى الميسرة فقتل سبعة ثم حمل على القلب فعند ذلك حمل اعداء الله عليه واحاطوا به فحمل عليهم المسلمون بعنان واحد والتقت الرجال بالرجال والتحمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال وسال العرق وازور الحدق وعظمت الرزايا واظلمت الدنيا وضاقت الصدور واشتدت الامور وضاقت المذاهب وقطعت المناكب وما كنت ترى الا دما فائرا وكفا طائرا وجوادا عاثرا هذا ونساء العرب ينادين باعلى اصواتهن ايها الابطال الكرام والسادة العظام اذكروا غرف الجنان ولا تفضحوا اليوم اميركم وامير المؤمنين عثمان بن عفان (قال) وتراكم النصارى على بني امية حتى كشفوهم عن مواضعهم فادركهم عبد الله وابلى بالمشركين بلاء حسنا وعند ذلك تراجع بنو امية وعادوا الى مواضعهم ولا يزال القوم في قتال ونزال واهوال حتى جاء الليل وحجز بينهم الظلام ورجع الملك الى قصره وامر بغلق الابواب واقامة الرماة على الاسوار ومات يومئذ من اعداء الله خلق لا يحصى

(قال الراوي) وبات المسلمون في كرب عظيم من كثرة الجراحات التي اصابتهم من النبال وكانوا طائفة يدفنون القتلى وطائفة يداوون الجرحى وطائفة نيام من كثرة ما لحقهم من التعب وبات طائفة منهم يدورون حول العسكر الى الصباح (قال) وبينما كان عبد الله في تلك الليلة جالسا عند الامير عقبة بفسطاط اسماء بنت ياسر وهم يتدبرون لامر الحرب وفتح المدينة واذا بعجوز طاعنة في السن قد اتت الى الفساطيط تسأل عن عبد الله بن جعفر فتلقاها خرام وقال لها ما حاجتك قالت اريد ان احدثه بحديث سر فاتى بها خرام الى فسطاط اسماء (قال) فلما دخلت عليهم قالت يا عبد الله اريد ان اكلمك سرا فقال لها تكلمي ولا حرج فهذا اميرنا وهذه زوجته واشار الى عقبة واسماء فناولته الكتاب ففكه وقراه سرا ثم قراه جهرا فاذا مكتوب فيه * من شعاع الشمس بنت الملك الاكبر صاحب مدينة الجدار الى عبد الله بن جعفر السلام عليك اما بعد فاني مشتاقة الى لقاك والى دينك الحق ووددت ان تكون لي بعلا فساعة وصول كتابي اقدم مع العجوز بدون امهال ولا تاخير

(قال الراوي) ولما اتم عبد الله تلاوة الكتاب قال لعقبة واسماء ما قولكما في هذا الكتاب قالا له انت ادرى فقال الراي عندي ان اكتب لها جوابا على كتابها وارسله مع العجوز ولا امضي اليها بنفسي اذ ربما يكون ذلك خديعة منها

ومكيدة قالا له نعم الراي هذا فدعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن جعفر الى بنت الملك شعاع الشمس اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد ﷺ فقد اتاني كتابك وفهمت خطابك وما ذكرت من رغبتك في لقائي والدخول في ديني فاصبري حتى نظفر بابيك ولا يكون الا ما تريدين ان شاء الله تعلى ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله ﷺ ودفعه للعجوز فاخذته وانصرفت ،

(قال الراوي) اما عدو الله فانه حين دخل قصره خلع اثواب العز والملك ولبس اثواب الذل والاحتقار وخر ساجدا لصنمه ومكث يتضرع اليه مدة سبعة ايام وهو منعزل عن الناس في خلوة حتى ظن قومه انه هلك فلما كان في اليوم السابع كلمه الشيطان من جوف الصنم وقال له اخرج بجيشك الى العرب وانا اعينك عليهم واكفيك امرهم ففرح اللعين فرحا عظيما ولبس ثيابه وسلاحه وامر عساكره بالخروج (قال) وبينما كان المسلمون يتفكرون في امر المدينة وتعطيل الحرب واذا بالطبول قد ضربت دفعة واحدة حتى ارتجت منها الارض وخرج اعداء الله كانهم جراد منتشر والملك امامهم على راسه تاج تحفه الرايات الملونة وحوله الوزراء ورجال الدولة وامامه وجوه البطارقة والفرسان وساروا الى ان اقتربوا من جيش المسلمين فنزلوا ورتبوا جيشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فلما راى عقبة ذلك رتب جيشه كذلك وامرهم بالتكبير والصلاة على البشير النذير ووعظهم ثم نادى يا عبد الله بن جعفر فقال لبيك وسعديك ايها الامير قال له عقبة افتح لنا باب البراز وهون علينا هون الله عليك هم الدنيا والاخرة فقال سمعا وطاعة وخرج في الحين وجال بين الصفين ونادى باعلى صوته هل من مبارز انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اتم كلامه حتى خرج اليه بطريق كانه قطعة من جبل وفي يده عمود من حديد زنته ستون رطلا وهو راكب على فيل وشعره كشعر الاسد وطوله وعرضه سواء (قال) وكان هذا البطريق فارسا شديدا تضرب به الامثال في بلاد افريقيا فلما دنا من عبد الله قال له انت تزوجت بنت الملك الاكبر صاحب المعلقة وقتلت اباها فقال عبد الله نعم قال كيف حالها اليوم عندكم قال هي بخير من الله ونعمة قال وما هذا الخير والنعمة وهي تنام على الارض وتاكل الشعير بعد ان كانت تلبس الحرير وتاكل اشهى الاطعمة وتنام على السرير .

(قال) فلما سمع منه عبد الله هذا الكلام غضب وقال له يا احقر اللئام وهل نحن

عندكم بهذه المثابة وهذا المقام وحمل عليه فحمل ايضا عدو الله وتلاقيا وتصادما وتفاربا وتباعدا وضرب اللعين عبد الله فراغ له ولم يصبه فالوى عليه عبد الله وضربه على هامة راسه فشطره مع الفيل شطرين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر المسلمون عند ذلك تكبيرة واحدة ثم طلب عبد الله البراز فخرج اليه بطريق ثان فقتله وثالث فجندله ولا يزال عبد الله يقتل كل من خرج اليه حتى قتل مائة من صناديدهم فلله دره من بطل شجاع وفارس صنديد (قال) فعند ذلك سار اليه الامير عقبة وحلف عليه ان يرجع ويستريح بعد ان شكره واثنى عليه الثناء الجميل فرجع عبد الله مع الامير عقبة وخرج مكانه خرام بن ضرار ونادى هل من مبارز فصاح الملك في قومه وقال اخرجوا لبرازه فخرج اليه فارس من عظمائهم اسمه رجراج بن سالج وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا فلما قرب من خرام قال له ايها الشاب فز بنفسك قبل ان تفتضح بين اقرانك فانت لست كفؤا لان تبارزني فلما سمع منه هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال له يا لعين او بلغ منك العجب هذا الحد حتى تخاطب مثلي بهذا الخطاب وحمل عليه وضربه ضربة شديدة فرمى راسه عن جسده فسقط في الارض صريعا فاخذ سلبه وكانت قيمته الف دينار وعاد للبراز

(قال الراوي) فخرج اليه بطريق اخر فجندله ولم يزل يبارز ويقتل فارسا بعد فارس حتى قتل ثلاثين فسار اليه عند ذلك عبد الله بن جعفر فشكره واقسم عليه ان يرجع الى الجيش ليستريح فرجع ودخل مكانه عبد الله ونادى هل من مبارز يبارزني انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله ﷺ اليوم اشفي غليلي بقتلكم يا اعداء الله ورسوله فنادى الملك وقال من يخرج لهذا العربي ويكفيني امره وانا اشاطره مملكتي وازوجه شعاع الشمس ابنتي فخرج من بين القوم بطريق وقال باعلى صوته انا اقتله في هذه الساعة او آتيك به اسيرا وسار كانه قطعة من جبل وحمل على عبد الله وضربه ضربة قوية فراغ لها ثم عطف عليه عبد الله وضربه ضربة هاشمية فانجدل يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار فاخذ سلبه وكانت قيمته ستمائة دينار ذهبا وعاد للبراز ونادى هل من مبارز فلم يجب نداءه احد فلما راى القوم ساكتين وقد احجموا عن برازه حمل رضي الله عنه على القلب فالتحقت به فرسان المسلمين وحملوا معه بعنان واحد وحمل النصارى عليهم ايضا والتقت الابطال بالابطال والرجال بالرجال والفرسان بالفرسان واقتتلوا قتالا شديدا وارتفع

الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار ولم يلبثوا غير قليل حتى ولـوا الادبار والتجأوا الى المدينة واغلقوا الابواب ووضعوا الرمـاة على الاسوار وقتـل منهم يومئذ خلق كثير لا يحصى واستشهد من المسلمين عدد يسير رحمة الله عليهم اجمعين

(قال الراوي) وسار الملك الى قصره وهو في غم شديد مما حل بـه من المسلمين وكان يتاوه ويقول هكذا يفعل بي صعاليك العرب ورعاة الابل يخربون بلادي ويقتلون رجالي وحق اللات والعـزى والصنم الادنى لاخرجن اليهم بنفسي ولاسقينهم كاس الردى ولا يبارزهم بعد الان غيري (قال) ثم دخل عليه وزراؤه ورجال دولته واعيان قومه وسجدوا له من دون الله ثم قالوا ايها الملك ما المفعول مـع هؤلاء العرب قـال قد عولت على ان اخرج اليهم في صبيحة غد وآليت على نفسي ان لا اترك غيري يبارزهم واخرج اليهم بنفسي وان انا قتلت عبد الله بن جعفر ملكت العرب جميعا فقالوا كلهم افعـل ما فيه الصواب واستصوبوا رايه وخرجوا من عنده مسرورين وباتوا مطمئنين لما يعلمون من شجاعة الملك وتجلده في القتال لانه ما حضر موطن حرب الا قارنه الفوز والظفر

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) هذا ما كان من امر اعـداء الله امـا ما كان من امر المسلمين فلما رجعوا الى فساطيطهم اجتمعوا عند الامير عقبه فقام عبد الله بن جعفر فيهم خطيبا فجعل يعظهم ويهون عليهم امر فتح المدينة ثم تفرقوا وباتوا يتحارسون ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح واذا بالملك قد ضرب طبوله وخرج من المدينة في جيش عظيم تحفه خمسمائة راية وهو راكب عـلى جواد من عتاق الخيل وخرج النسوة متزينات راكبـات على المطايا ولما اقتـرب من المسلـين رتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ووقف عدو الله في القلب مع بطارقته وابطاله وعددهم كثير لا يحصى واوصاهم وقال لهم اذا رايتم عبد الله بن جعفر تغلب عـلي في ميدان البراز فادركوني وان انا غلبته فاحملـوا انتم على العـرب واقتلوهم عن آخرهم فقالوا سمعا وطاعة

(قال الراوي) ولما فرغ عقبة من الصـلاة رتب جيشه كما سبق واذا بمنـاد من النصارى ينادي ايهـا النـاس اعلموا ان الملك يريد اليوم مبـارزة عبد الله بن جعفر العربي ولما تم النداء خرج عدو الله كانه برج من ذهب ونادى يا عبد الله بن جعفر اخرج للبراز فاجابه عبد الله وقل اني قادم اليك يالمين فاراد مسروق ان يسبقه للبراز فحلف عبد الله وقال والله لايبارزه احد غيري فبكت زوجته بنت الملـك وقالت

من لي بعدك يا عبد الله فهذا اللعين مشهور في جميع الاقطار بالشجاعة والفروسية وانه لا يجارى ولا يمارى في الحرب وانت الان مجروح ومتالم من اتعاب الاسفار والقتال فقال لها طيبي نفسا وقري عينا فوالله وحق ابن عمي رسول الله ﷺ لاملان قلبك فرحا وسرورا ولا بيضن وجهك ووجوه بنات العرب (قال) ثم كرر الملك طلب البراز وقال اين انت يا من تدعي الشجاعة وتحسب انك من الرجال الابطال وكانت اذ ذاك شعاع الشمس في قلق عظيم خوفا على عبد الله من ابيها (قال) وكان عبد الله في القلب ومعه ثلاثون فارسا من اصحابه فلبس عند ذلك ثوب رسول الله ﷺ وجعله مما يلي جسده ولبس ءالة حربه وركب جواده ودفعه يمينا وشمالا وجال بين الصفين والنصارى ينظرون اليه ويتعجبون من فروسيته وما اودع الله فيه من الجمال والجلال ولما دنا من الملك انشد يقول

لقد ملكت يدي سنانا وصارما ... اذل اعداء السوء ان جئت قادما
واتركهم شبه الرخام اذا مشى ... عليه شجاع لا يزال مصادما
والا كاغنام مضين بقفرة ... واصبح مولاها عن السعي نائما
وقد ملك الليث الغضنفر جمعها ... واصبح فيها بالمخالب حاطما

(قال الراوي) ثم صاح عبد الله انا الفارس المقدام انا عبد الله بن جعفر قاتل ملوك افريقية والشام وناصر دين الاسلام والمسلط على من لم يتبع شريعة سيد الانام فقال له عدو الله الم تعلم يا فتى اني بطل لا اطاق فلماذا قدمت على برازي اما خشيت الفضيحة والعار (قال) فما استتم كلامه حتى حمل عبد الله عليه وضربه فراغ له فلم يصبه وحمل اللعين عليه وضربه فحاد عنها واستمرا يتقاتلان حتى سقط من تحتهما الجوادان ووقعا ميتين فترجلا وما زالا يعتركان الى ان ادركهما الليل فعاد كل منهما الى قومه (قال) فلما وصل عبد الله الى عقبة قال له اني ما رايت في الروم مثل فروسية هذا الملك فقال عبد الله وانا كذلك ايها الامير قال له عقبه ان انت قتلته ملكنا المدينة لا محالة قال نسال الله ان يعيننا عليه بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) ولما رجع الملك اجتمع عنده رجال دولته وعشيرته وقالوا له ما قولك في هذا الشاب العربي قال قد بارزت الابطال ورايت الشجعان وصناديد الفرسان في غير جهة وما رايت قط اقوى ولا اصبر ولا اشد باسا واصعب مراسا منه ولكن وحق الصليب وعيسى الحبيب لا ابرح من هذا المكان حتى اقتله واملك العرب باجمعهم ثم امر

بذبح البقر والاغنام وطبخ الطعام واحضار الموائد والفواكه والمدام فحضر جميع ذلك فاكلوا وشربوا وضربوا المزامير والقرون وطربوا وباتــوا فرحين وبامر العرب غير مكترثين ٠

(قال الراوي) وقد ساء المسلمين ما راوه من شجاعة عدو الله وصلابة قومه وكثرة جنوده واوجسوا في انفسهم خيفة فوعظهم عبد الله وهون عليهم الامر ولما كان الغد صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم رتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ورتب الملك جيشه وكان الجمعان متقابلين ينظرون الى حركات بعضهم بعضا ثم لبس اللعين ءالة حربه وركب جواده وخرج للبراز ونادى باعلى صوته اخرج يا عبد الله فبــادر عبد الله اليه وحمل في الحين عليه فتجاولا واعتركا عراكا شديدا اشــد مما كان بالامس حتى كل منهما الساعدان وفرق بينهما الظلام فرجع كل منهما الى جيشه ٠

(قال الراوي) ومن الغــد رجعا الى البراز ولا يزالان كذلك مــدة خمسة عشر يوما بدون ان يظفر احدهما بالاخر وكلاهما قد كل من البراز فلمــا كان اليوم السادس عشر اقسم الامير عقبة على عبد الله بان يستريح ولا يخرج للبراز فعند ذلك دفع رافع بن الحارث رايته الى معاذ بن كندة وقال لعبد الله انا اخرج اليوم مكانك للبراز وسار الى ما بين الصفوف وهو ينشـد :

اسير باسم الواحـد المنان	جهرا لاهل الكفر والطغيان
اذيقهم ضربـا على الابدان	بكل هندى مبيد الجان
انصر دين المصطفى العدناني	صـلى عليه المـلك الديان
وآله والصحب والاخوان	ما ناح قمري على الاغصان

ثم نـادى هل من مبارز انا رافع بن الحارث

(قال الراوى) فاراد الملك الخروج اليه فسبقه سيال الـدم احد بطارقته وحلف لايخرج اليه غيره وتقدم الى رافـع وقال له انت الذي قتــل ابوك عمي في وقعة تبوك بالشام قال نعم قال اليوم آخذ بثـاره منك وحمل عليه وضربه فراغ عنــه رافع وضربه فاصاب جواده فقتله فنزل وضرب جواد رافع فقتله ثم تصارعا ولم يلبث رافع غير ساعة حتى صرعه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فاخذ رافع سلبه وكانت قيمته خمسمائة دينار وعـاد للبراز فخرج اليه بطريق اسمه سيسار وهو ابن خالة الملك وكان ذا شجاعة واقدام لايطاق في الحرب ولا يكل من الطعن والضرب فلما قرب من رافع حمل عليه فتجاولا وتقاربا وتباعدا وتعاركا فما كان اكثر من ساعة حتى طعنه رافع طعنة صادقــة في صدره

خرقت الدروع وخرجت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك كبر المسلمون وشكروا الله عز وجل (قال) فاخذ رافع سلبه وجواده وعاد للبراز فخرج اليه بطريق آخر فقتله ولا زالوا يخرجون اليه فارسا بعد فارس حتى قتل منهم اكثر من ثلاثين بطريقا فعند ذلك سار اليه الامير عقبة وشكره واقسم عليه ان يرجع فرجع وخرج مكانه سليمان وهو يقول :

انا الفارس المشهور يوم الوقائع	بحد حسام في الجماجم قاطع
ورمحي على الاعداء مازال طائلا	اذا التحم الاعداء للضد قامع
وعزمي في الهيجاء ما زال ماضيا	براي سديد للمحاسن جامع
اصول على الاعداء صولة قادر	واشبعهم ضربا ببيض لوامع

ثم نادى هل من مبارز فخرج اليه بطريق اسمه طلياس كان من اقرب المقربين عند الملك فجال بين الصفين ودفع الجواد ذات اليسار وذات اليمين ثم حمل على سليمان وضربه فاصاب الجواد فقتله فالوى عليه سليمان وعقر جواده من تحته فاتيا بجوادين آخرين فقتلا ايضا ولا يزالان كذلك الى ان مات لكل منهما اربعة وعشرون جوادا (قال) فغضب سليمان وحمل على عدو الله حملة منكرة وضربه ضربة صادقة فقسمه وجواده نصفين فكبر المسلمون تكبيرة عظيمة (قال) فلما راى النصارى ما حل بصاحبهم حملوا باجمعهم على سليمان فتبادرت اليهم اصحاب رسول الله ﷺ والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد القتال وعظم النزال وازدحمت الالوف وتلفت النفوس وقطعت الرؤوس وعظم البلاء واسودت السماء وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار (قال) ولم تزل الابطال تبطح وتطرح وصدور المسلمين تشرح ولنحور الكفرة تذبح والصوارم تقطع والانوف تجدع وقلب الذليل يفزع والجبان يجزع والعيون تدمع والصايح لايسمع ولا شافع يشفع ولا مانع يمنع ولا دافع يدفع ولا قلب يخشع حتى انهزم اعداء الله وولوا هاربين والى المدينة طالبين ومات يومئذ من بطارقتهم الفان وخمسمائة فارس ومن العسكر خلق كثير وجرت من دمائهم انهار وتخضبت بها الارض واعشابها ومات من المسلمين خمسون من بني امية وعشرون من اخلاط العرب وعشرون من بني هاشم ومائتان من حمير وطي ولخم وجذام ختم الله لهم بالشهادة اما جرحى الجانبين فلا يحصى لهم عدد (قال الواقدي رحمه الله تعلى) حدثني مالك بن بشر قال حدثني عبد الله بن حضرمة وكان ممن حضر

فتوح افريقية قال كنت حاضرا في ذلك اليوم فظننت ان القيامة قد قامت ولله در بني هاشم وبني مخزوم فلقد جاهدوا في الله حق جهاده وابلوا بالكفار بلاء حسنا وكان عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه يختطف الفارس ويرمي به الاخر فيقتلهما معا وهو كالجمل الهايج تارة يحمل على الميمنة واخرى على الميسرة ومرة على القلب وطورا على الجناحين (قال) فلما دخل الملك المدينة امر بغلق الابواب ووضع حراسة من الرماة على الاسوار وسار الى قصره وهو حزين القلب فجلس على كرسيه ومكث حيرانا لا يدري ما يصنع فاتى اليه ارباب دولته وسجدوا له من دون الله ثم قالوا ايها الملك بماذا تامرنا في امر العرب قال كنت الساعة اتفكر في هذا الشان ولم ار طريقا للنجاة غير استنجاد الملك الابلق صاحب وجدة فاذا انجدنا واتى لاعانتنا امكننا قتل العرب جميعهم فماذا ترون في هذا الراي قالوا انه لراى سديد فاكتب اليه وصالحه وتلطف معه لعله يجيب نداءنا ويقع اصلاح ذات البين بيننا .

(قال الراوي) وكان الملك الابلق جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان بينه وبين صاحب الجدار عداوة من اجل مصاهرة لانه كان خطب ابنته شعاع الشمس فابى تزويجها اياه فاتى اليه في جيش عظيم ووقعت بينهما حرب شديدة مات فيها من الفريقين خلق كثير وعاد الى بلاده بدون ان ينال مقصوده (قال) فدعا الملك بدواة وقرطاس وكتب يقول الى الملك صاحب وجدة اما بعد فان صعاليك العرب قدموا الى بلادنا ونزلوا علينا ونحن من مدة كذا في حرب شديدة معهم واني وان كنت اذنبت ذنبا سابقا فقد ندمت على ما فرط مني واعترفت بذنبي ويمكنك ان تعتبرني من اليوم عبد رق وابنتي شعاع الشمس خادمة لك والان اطلب منك الاعانة فان تكرمت ايها الملك بانجادي فعجل قبل ان يفضحنا العرب والسلام ثم طوى الكتاب وختمه وبعثه مع اربعة فرسان من حاشيته وقال لهم اسرعوا بتبليغه (قال) فساروا يوما كاملا فوصلوا الى وجدة وقت الغروب فوجدوا ابوابها مقفلة فباتوا خارجها ولما كان الصباح وفتحت الابواب دخلوا فلما رآهم الحراس تسابقوا اليهم وانكروا حالهم وقالوا لهم من اي الناس انتم ومن اين اتيتم قالوا نحن من اهل الجدار اتينا بكتاب الى ملككم فاسرع الحراس الى الملك واعلموه بخبرهم فامرهم بادخالهم (قال) فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا على سرير من ذهب وحوله رجال دولته وامامه مباخر الطيب فسجدوا له من دون الله وقالوا قد اتيناك بكتاب من ملك الجدار فلم يطلبه منهم

وامر غلمانه بان يفرجوهم على القصر وان يخصصوا لهم بيتا فيه للاقامة به وهو قصر مشيد لم ير الراؤون احسن منه (قال) وكان الملك اقرع الراس واسع الصدر طويل الانف ابخر الفم مولعا باللذائذ والخمر والطيب والنساء حتى انه اذا اراد ان ينام تاتى الجواري اليه فياخذن بانامل رجليه ويحركنها قليلا الى ان ينام فاذا نام لا يستيقظ الا بعد ثلاثة ايام وله جارية بديعة الحسن والجمال تدعى بهجة الكمال كان يحبها حبا شديدا لفرط بهائها وجمالها ولا يفارقها ليلا ولا نهارا وقد بنى لها خارج المدينة قصرا شاهقا متعلقا باكناف السحاب وفيه الوحوش والاطيار والانهار وجميع انواع الاشجار وكان كل عام يتمهرج فيه مع بهجة الكمال فخرج اليه يومئذ ومكث به خمسة عشر يوما قضاها في لهو ولعب وزهو وطرب

(قال الراوي) فلما رجع الملك الى قصره بالمدينة قال له وزراؤه ان الرسل الذين اتوا اليك بكتاب من ملك الجدار لا يزالون ههنا فامرهم بادخالهم فلما دخلوا عليه قال لهم ما خبركم فاخبروه بما فعل بهم العرب وناولوه كتاب الملك فلما قراه غضب غضبا شديدا وقال اين شجاعة ملككم وصلابة بطارقته وكيف يحاصره العرب وهو ممن تضرب بهم الامثال في بلاد المغرب ولكن وحق اللات والعزى والصنم الادنى لابد ان ناخذ اميرهم وعبدالله ابن جعفر اسيرين ثم نهض ورمى بتاجه الى الارض وصاح بغلمانه وقال لهم ائتوني بجوادي ولبس آلة حربه وامر ان ينادى في المدينة بالاستعداد للسفر معه للقتال وان من تخلف يقتل فنودي لذلك في الازقة واطراف البلد (قال) فلم يكن غير ساعة حتى اجتمع عنده جند عظيم واتى اليه بجواده وكان في مربطه من مدة سبعة اعوام لم يركبه في اثنائها احد فلما خرج فزع من الناس وضرب من كان حوله بحافريه فقتل خمسة عشر رجلا فلما راى الملك ذلك قال لقومه ويحكم اذا كان جوادي فعل بكم هذا فماذا تفعلون اذا لقيتم العرب قالوا هذا الجواد لا يقدر عليه احد فقال انا له وتقدم اليه ووضع يده على راسه فسكن ولم يتحرك من مكانه ثم استوى على ظهره وركضه ساعة حتى يسكن وامر ان ينادي مرة ثانية بان من يتخلف عنه يضرب عنقه وامر باخراج الخيام فاخرجت وضربت الطبول وكانت الف طبل كلها من النحاس وخرج عدو الله في ستين الف فارس وسار الناس يتلاحقون به من المدينة .

(قال الراوي) اما المسلمون فانهم لما بلغهم خبر كتاب ملك الجدار الى صاحب وجدة عظم عليهم الامر وبينما كان عبد الله بن جعفر يتفكر في امر ذلك

في فسطاطه اذ دخل رافع بن الحارث وسلم عليه وقال له ما لي اراك متفكرا اذكر الله قال قد خطر ببالي ان اركب الى هذا اللعين القادم الينا لعلي اجد فيه فرصة فقال وانا معك فاذا عزمت فتوكل على الله (قال) واتفق ان ابن الملك صهر عبد الله بن جعفر وسليمان ومسروق وخرام وعكرمة كانوا تحدثوا في هذا الشان في ذلك الوقت واتفقوا على غزو وجدة وان يسيروا اليها في صباح الغد ثم تفرقوا الى فساطيطهم وفي الصباح لبسوا آلة حربهم واجتمعوا عند عبد الله فوجدوه متاهبا للسير فساروا معه

(قال الراوي) ولا يزال عبد الله واصحابه سائرين فلما بلغوا وادي المزايات التقوا بخمسة رجال فقال لهم رافع من اي الناس انتم ومن اين اتيتم واين تريدون قالوا نحن من اهل وجدة وقد خرجنا نريد مدينة الجدار قال لهم وماذا يصنع ملككم الان قالوا قد خرج لاعانة ملك الجدار وفي هذا اليوم يصل اليكم وينزل بقربكم ثم تقدم واحد منهم الى عبد الله بن جعفر واخذ بعنان فرسه وقال له اني اريد ان اقول لك كلاما فهل تجيبني بالصدق قال نعم قل قال انت عبد الله بن جعفر وهذا رافع وهذا فلان وهذا فلان الى ان اتى على اسماء جميع اصحابه فقال له عبد الله ومن اعلمك بهذا قال تواريخنا وكتب حكمائنا وعلمت ايضا انكم تجدون فرصة في صاحب وجدة ونحن ما اتينا الا لنسلم على يديك ونطق بالشهادتين واسلم من كان معه وحسن اسلامهم

(قال الراوي) ثم نزل عبد الله واصحابه للاستراحة فما كان غير قليل حتى اشرف عليهم عيون صاحب وجدة وكانوا فرقة كثيرة من الخيل فلما راوهم اخذوا على انفسهم ولبسوا سلاحهم وركبوا في الحين ووعظهم عبد الله وحرضهم وقال لهم ان الله وعدكم النصر وايدكم بالملائكة وقال الله تعالى في كتابه العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال ﷺ الجنة تحت ظلال السيوف فاثبتوا واياكم ان تطمعوا الاعداء فيكم وانصروا الله ينصركم ثم حمل وحملوا معه كالاسود رضي الله عنهم اجمعين ولحقوا بالعيون ووضعوا السيف فيهم فولوا هاربين فاقتفوا اثرهم ولا زالوا يفتكون بهم الى ان وصلوا خيام الملك وهجموا على عسكره وقتلوا منهم عددا وافرا ثم رجعوا من حيث اتوا

(قال الراوي) فلما راى الملك ما حل بقومه وعيونه غضب غضبا شديدا وحلف انه لا يرجع الى بلاده الا اذا قتل عبد الله بن جعفر او اخذه اسيرا ثم امر بالرحيل فارتحلوا ولا يزالون سائرين والطبول تضرب الى ان اقتربوا من

المسلمين ونزلوا مما يلي المدينة وضربوا خيامهم (قال) وكان صاحب الجدار يعلم وقت وصول صاحب وجدة فتهيا للقائه وامر باحضار ما يناسب من الطعام والشراب ولما اشرف على المدينة امر صاحب الجدار قومه بالخروج للقتال وان ينادي بذلك في المدينة فلم يكن غير ساعة حتى خرج اللعين في جيش عظيم وخرج النسوة متزينات راكبات على المطايا وشعاع الشمس امامهن وحولها الجواري ذات اليمين وذات الشمال وسار الملك على جوادادهم من عتاق الخيل ونزل بجيشه بالقرب من جيش وجدة وصار المسلمون بينهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الاسود ولما راوا ذلك قال بعضهم لبعض هلكنا لامحالة كيف نقدر على قتال هذه الجنود العظيمة ونحن قد عجزنا عن اهل الجدار فكيف الان وقد تضاعفت القوات فقال عبد الله بن جعفر رضي الله عنه تقدر عليهم بحول الله وقوته وفضل رسول الله ﷺ

(قال الراوي) ورتب صاحب الجدار صفوفه ثم سار الى الملك الابلق وسلم عليه وقبله بين عينيه وشكره واثنى عليه ثم امر باحضار الطعام والمدام فاحضرت موائدالاطعمة الفاخرة فامتنع الملك الابلق من الاكل وحلف بالصليب انه لا ياكل طعاما ولا يشرب شرابا حتى يشفي غليله من عبد الله بن جعفر واصحابه الذين هجموا على مقدمة جيشه

(قال الراوي) ولما راى نساء العرب كثرة الاعداء جزعن وبكين فسار عبد الله الى فسطاط اسماء بنت ياسر وقال لها لا تجزعي وابشري بنصر الله ولا بد ان شاء الله ان نشتت شمل الاعداء ونمزقهم كل ممزق فقالت جزيت خيرا يا ابن جعفر هكذا كان اسلافك يهونون على المسلمين اذا ضاق بهم الامر فهون عليهم وعظهم بالكتاب والسنة هون الله عليك امر الدنيا والاخرة ثم خرج عبد الله بعد ان سكن روع النسوة اللائي كن عند اسماء ومضى الى عقبة وقال له ما نصنع مع هذا اللعين الذي قدم لاعانة ملك الجدار قال الراي عندي ان نسير اليه بالف فارس وتغافله هاته الليلة وتهجم عليه بغتة عسى ان تجد فيه فرصة فقال اصبت الراي ايها الامير

(قال الراوي) فانطلق عبد الله فانتخب الف فارس من ابطال المسلمين واوصاهم بالتأهب للقتال والزحف على اعداء الله ورسوله في جنح الظلام (قال) فلما كان نصف الليل ساروا الى اعداء الله وحملوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فاستيقظوا من نومهم بعد ان هلك منهم خلق كثير وركبوا خيلهم ولبسوا سلاحهم وحملوا على المسلمين والتقت الابطال بالابطال والرجال بالرجال وصاح المسلمون قائلين لا الـه الا الله محمد رسول الله

وشددوا الحملة على الكفار حتى لم يستطيعوا معهم صبرا وولوا هاربين الى ان وصلوا الى ملكهم وكان بعيدا عنهم فلما اعلموه بما وقع لهم غضب غضبا شديدا ولبس ءالة حربه وركب جواده وجعل يحرضهم ويقول الرجعة الرجعة فتراجعوا وحملوا على المسلمين ولكنهم لم يلبثوا غير ساعة حتى قتل منهم خلق كثير وولوا منهزمين

(قال الراوي) فرجع المسلمون رضي الله عنهم الى فساطيطهم وقد اخذ عبد الله في تلك الليلة خمسة عشر اسيرا ورافع عشرة وسليمان ثمانية منهم ابن اخ الملك ولما اصبح الصباح صلى الناس خلف الامير عقبة الصبح وجلسوا يتحدثون واذا بجيش الملك الابلق قد ضربوا الطبول واخذوا يتأهبون للقتال فلما راى صاحب الجدار ذلك امر بضرب الطبول وترتيب الجيش وهجم الجيشان على المسلمين فتلقوهم بصبر وثبات وبعد حرب عتيد وقتال شديد انكشف بنو امية عن مواضعهم فتصايح بنو هاشم وبنو مخزوم بعضهم بعضا وحملوا على اعداء الله وكان في مقدمتهم عبد الله ابن جعفر ورافع وابن الملك الاكبر صاحب سطيف (قال) ولما راى النصارى هؤلاء السادات قد زحفوا اليهم وابلوا بهم بلاء عظيما خشوا على انفسهم الهلاك فرجعوا على اعقابهم خاسرين ومات يومئذ من بني امية اربعمائة فارس

(قال الراوي) ثم بدل عقبة ترتيب الجيش فجعل في الميمنة بني مخزوم وفي الميسرة بني امية وفي القلب بني هاشم وفي الجناحين اخلاط العرب فلما رآهم اعداء الله هموا بالحملة فقال لهم الملك الابلق لا تفعلوا فاني اريد مبارزتهم لعلي آخذ عبد الله بن جعفر اسيرا او اقتله فقالوا لا تفعل ايها الملك فانت اعظم واجل من ان تبارز رعاة الابل وكيف تبارز عبدالله بن جعفر وهو دونك منزلة وقدرا قال لابد من برازه (قال) فلبس اللعين عند ذلك درعين مزردين وركب جواده ودخل بين الصفين كانه برج من ذهب والناس ينظرون اليه وشعاع الشمس واقفة تتفرج وحولها جواريها فجال بين الصفين ونادى باعلى صوته هل من مبارز انا ميتم الاطفال ومردي الابطال انا الملك الابلق صاحب وجدة (قال) فخرج اليه رافع فلما دنا منه قال له من انت قال رافع بن الحارث فقال له ارجع لايبارزني الا عبد الله بن جعفر الذي تجاسر علينا وهجم على جيشنا فلما سمعه عبد الله قال له مهلا عليك يالعين فلبس ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلي جسده ولبس سلاحه وخرج رضي الله عنه كالاسد الغضبان ولما دنا منه قال له اللعين انت عبد الله قال نعم فقال وحق الصليب

لافعلن بك اليوم مالم يفعله احد قبلي قال له لعنك الله ولعن صليبك الذي اقسمت به فلما سمع من عبد الله هذا الكلام غضب غضبا شديدا وحمل عليه وضربه ضربة قوية فحاد عنها وضربه عبد الله فاخذها في درقته فانقسمت نصفين والوى عليه عدو الله وقتل جواده فوقع عبد الله في الارض

(قال الراوي) وعند ذلك قال له الملك امض لتاتي بجواد آخر فاذا مسروق قد اقبل واتى نالجواد فركب عبد الله وحمل على الملك وتقاربا وتباعدا ساعة زمانية والتقيا بضربتين فاصابتا الجوادين فوقعا ميتين فعند ذلك تصارعا على ارجلهما واقتتلا قتالا شديدا وما زالا يعتركان حتى ولى النهار واقبل الليل فعاد كل منهما الى قومه (قال) فلما رجع الملك الابلق سار اليه صاحب الجدار وقبله بين عينيه وشكره واثنى على شجاعته وامر بضرب الطبول والمزامير والالات المطربة (قال) فساء ذلك شعاع الشمس وتمكن منها الخوف على عبد الله فتضرعت الى الله سبحانه وتعالى ودعت وقالت اللهم اني اسالك بحرمة نبيك محمد ﷺ ان لا تفضح عماد المسلمين يا سامع الاصوات يا مجيب دعوة المضطر اذا دعاك (قال) ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم جلسوا يتحدثون في امر الحرب فاذا بطبول الاعداء قد ضربت وخرج عدو الله وعلى راسه لامة في وسطها ياقوتة تضيء كانها القمر المنير وعليه من الذهب والجواهر شيء كثير ونادى باعلى صوته اين انت يا هجران وهو احد بطارقته فقال نعم قال له اليوم نرى شجاعتك فاخرج لهذا العربي واكفنا امره هو ومن معه من هؤلاء العرب الذين اعتدوا علينا قال سمعا وطاعة ولبس آلة حربه وركب جواده ودخل بين الصفين ونادى هل من مبارز

(قال الراوي) وكان الامير عقبة رتب جيشه وجعل في الميمنة بني مخزوم وفي الميسرة بني امية وفي القلب بني هاشم وفي الجناحين اخلاط العرب مثل حمير وغسان وجذام ولخم وطي ولما تم ترتيبهم اقبل عبد الله على اسماء بنت ياسر رضي الله عنها وكان معها نساء المسلمين فقال لها ان رسول الله ﷺ قال ان النساء ناقصات عقل ودين فكن ممن احتفظن على اديانهن وقدمن في ذلك النية وحرضن ازواجكن على القتال ومن رجع منهزما فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد واظهرن اولادكن لازواجكن حتى يرجعوا (قال) فوقف النساء خلف الصفوف وهن مستعدات وكان عددهن نحو الالفين (قال الراوى) فرجع عبد الله بعد ان اوصى اسماء ومن

معها من النسوة بتحريض ازواجهن فلما صـار بين الصفوف راى البطريق خارجا للبراز وسمع نداءه فعجل اليه وحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فالقاه في الارض صريعا يخـور في دمائه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ سلبه وجواده

(قال الراوي) فلما راى الملك الابلق ذلك غضب غضبا شديدا وتفكر قليلا ثم قال لصاحب الجدار اني اريد ان ابارز بنفسي وانتقم من هذا العربي ولكن ينبغي قبـل ذلك ان نتحقق هل ابنتك شعاع الشمس راضية بزواجي ام لا لانهـا كانت امتنعت فيمـا مضى وحصلت من اجل ذلك حرب عظيمة مات فيها خلق كثير من الجانبين وانت قد وعدتني في كتابك بزواجها غير ان ذلك لا يمكن معه القطع برضاها وعليه فاني ارى ان الاجدر بي ان لا ابدى ادنى حركة حتى اسمع من ابنتك نفسها فان هي اجابت اريك اليوم من ضروب الحرب ما يذهل العقول وها انا ذاهب اليها في هذه الساعة (قال) فركب عدو الله جواده وسار نحو شعاع الشمس حتى اذا وصل اليها قال لها ما قولك فيما وعدني به ابوك فان انت رضيت بـي لـك بعـلا فاني اخرج لبراز عبد الله بن جعفر واريح منه بنـي الصليب وان ابيت فلا ابارز اصلا وانت تعلمين اني ما قدمت لاعانة ابيك الا لاجلك فـان تعديني بكلمة منك صادقة اخذت هذا العربي اسيرا واتيتك به وفوضت امره اليك تحكمين عليه بما شئت ففي ذلك فخر لك ورفعة على زوجته بنت الملك الاكبر صاحب المعلقـة وبنات العرب جميعا

(قال الراوي) فلم تجبه شعاع الشمس بشيء وكانت صامتة فكـرر عليها السؤال فاطرقت براسها وابت الجواب فعند ذلك رجع الى ابيها واعلمه بانها اعرضت عنه وامتنعت من جوابه فاعتذر له وقـال انها صغيرة السن وغلب عليها الحياء فلم تستطع جوابا وانت تعلم ان الابكار لا يظهرن ما يضمرن ولو كن يرغبن فيه ويملن اليه قال له لابد ان اسمع منها والا فلن اقاتل ابدا فقال ابوها الساعة ارسل اليها ٠

(قال الراوي) فارسل ابوها يقول لها بئسما صنعت كيف ياتي اليك الملك الابلـق بنفسه ويخاطبك ولم تردي عليه جوابا والحال اني وعدته بزواجك به وله علي حجة بخط يدي وهو لم يات من بـلاده الا على هذا الشرط فقالت هذا لا ارضى به ولا افعلـه ابدا ولو قطعت اربا اربا (قـال) ومازال ابوها يرسل اليها المرة بعد المـرة وهي مصرة على الامتناع ٠

(قال الراوي) فلما بلغ الملك الابلق مقـالها وامتناعها غضب غضبا شديـدا وامر جيشه بالرحيل فقال له رجال دولته ايها الملك كيف نرحل قبل ان ناخذ الثار من العرب وقد اعتدوا علينا واسروا ابن اخيك والصواب ان لا نرحل حتى تنتقم منهم وناخذ عبد الله اسيرا كما فعل بابن اخيك فقال لهم اعلموا اني ما اتيت الى هنا الا لاجـل شعاع الشمس ورغبة في زواجها لاني مشغوف بحبها ولمـا اتاني كتاب ابيها فرحت فرحا شديدا وايقنت ببلوغ المراد واتيت اليه بجيشي غير اني حين حللت ببلاده لم ار من ابنته ما يحقق املي ويطمن خاطرى فاحببت ان اتحقق منها هل هي راضية بوعد ابيها ولما سالتها امتنعت من الجواب ولكن وحق اللات والعزى والصنم الادنى ان لم تجبني وتصـرح لي برضاها فان العداوة بيني وبين ابيها تبقى الى الابد ويكون ذلك سببا في زوال ملكه وفتح الجدار (قال الراوي) فسكت ارباب دولته ولم يعارضوه بشيء ولما بلـغ هذا الكلام مسامع صاحب الجدار سار اليه وقبله بين عينيه وجعل يلاطفه ويعتذر له فقال الملك الابلق لا اقبل منك عذرا لانـك استخففت بي حيث كتبت لي حـين استنجدتني بانك فوضت لي جميع امرك ووعدتني بزواج ابنتك بدون ان تشير الى كون امرها بيدها فلما اجبت نداءك واتيتك برجالي وابطالي تبين خلاف ذلك وصار الامر موكولا لارادة ابنتك ورضاها فقال له طب نفسا وقر عينا فلا يقع الا ما تريد واذا امتنعت هذه المرة فاني احرقها بالنـار لانها لا تملك عصمتها وليس لها معي راي ولا اختيار (قال) ثم سار صاحب الجدار الى ابنته وقال لها وحق الـلات والعزى ان امتنعت ولم ترتضي بزواجه قتلتك شر قتلة فقـالت وحق الذي خلقني وخلقك وخلق ءاباءنا الاولين وانشاني في هذه الصورة ما فعلت هـذا ابدا ولا نطقت ببنت شفة قال لها لعلك مسحورة والظاهر ان العرب سحروك كما سحروا بنت الملك الاكبر فسكتت عنه .

(قال الراوي) ولما يئس منها ابوها عمد الى جارية مثل ابنتـه فزينهـا والبسها مثلهـا واركبها على مطية بيضاء حتى خيل للناظرين انها شعاع الشمس وسار معهـا الى ان اوقفها بين النساء وابعد ابنته الى مكان لا ترى فيه واوصى الجارية وقال لها اذا اتاك الملك الابلق وكلمك فكلميه وقولي له رضيت بك بعـلا ثم سار اليه وقـال له امض الى شعـاع الشمس وخاطبها فان لم تجبك فاني احرقها بالنـار في هذه الساعـة لاجلك (قـال) فسار حتى وصـل اليهـا وقـال لها ارضيت بي ام لا فسكتت قليـلا ثـم اجـابت نعم رضيت فلمـا سمـع منها ذلك فـرح فرحا عظيمـا ورجـع في الحيـن وجـال بين الصفوف وامر بضرب الطبـول فضربت دفعـة واحدة حتى ارتجت منهـا الارض ثم

تاهب للبراز فقال له صاحب الجدار الان قد مضى من النهار اكثره والصواب ان تترك ذلك الى غد حتى يكون لك الوقت الكافي للفتك بعبد الله وقومه فرجع مع صاحب الجدار وتفرق الناس الى فساطيطهم ولم يقع بين الفريقين قتال

(قال الراوي) ولما كان وقت العشاء صلى عقبة بالناس صلاة العشاء ولما فرغ دعا بعبد الله فحضر بين يديه فقال له ما رايك يا ابن عم رسول الله ﷺ في حرب غد قال الحملة على الاعداء خير لنا من البراز ما لم يطلبني الملك الابلق اما اذا طلب برازي فاني ابرز اليه حتى لايراني الله عز وعلا قاصرا عنه فقالت له اسماء بنت ياسر جزاك الله خيرا يا ابن جعفر وبينما هم كذلك واذا برجل ورد بكتاب ودفعه الى عبد الله ففتحه وقراه فاذا فيه من شعاع الشمس الى الامير عقبة وعبد الله بن جعفر اما بعد فاني انصح الى عبد الله ان لايبارز في صبيحة غد عدو الله الملك الابلق وان طلبه اذ اخشى عليه منه الهلاك لانه جبار عنيد لايطاق ولتصبرا حتى ابعث اليكما لتأتيا مع طائفة من ابطالكم لنمكنكم من فتح المدينة ان شاء الله تعلى وما قصدت بهذا الكتاب الامحض النصيحة لعبد الله والله شاهد علي وكفى بالله شهيدا

(قال الراوي) فلما سمعت اسماء كلام شعاع الشمس قالت لعبد الله ما قالت الا الصواب فسكت عبد الله ودعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر الى شعاع الشمس اما بعد فاني احمد الله الذي لااله الا هو واصلي على نبيه محمد ﷺ فقد بلغنا كتابك وفهمنا خطابك فنشكرك على نصحك وحسن مقصدك غير ان مبارزتي للملك الابلق حتمية لابد منها حتى لايراني الله والناس قاصرا عنه ولا يكون ان شاء الله الا ما تريدين لنا من الخير والظفر ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لرسولها الذي اتى بكتابها فاخذه وسار مسرعا حتى دخل عليها وسلمه اليها

(قال الراوي) وبات المسلمون ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ودعا الله تعلى وامن الناس على دعائه وما زالوا كذلك حتى طلعت الشمس فاذا عدو الله ضرب طبوله ورتب جيشه فرتب المسلمون جيشهم مثله ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولبس عبد الله ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقلد حسامه وءالة حربه وركب جواده واذ كان سائرا الى ما بين الصفوف سبقه اللعين ونادى اين عبد الله فاسرع اليه وقال له الان اشفي غليلي بقتلك ان شاء الله تعلى (قال) وحمل

كل منهما على الآخر وتقاتلا قتـالا شديدا وضيق عبد الله على اللعـين حتى اشرف على الهلاك وفر هاربـا الى معسكره فتبعـه عبد الله وخرق صفوفهم فلما رواه متوغلا بينهم ارادوا الاحاطة به فاسرع اليهـم خيل المسلمين وحملوا عليهم بعنان واحد حملة منكرة وارتفع الغبار واظلم النهار ونادى عقبة ايها النـاس اعلموا انـ الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا لقضائه امدهم بنصره وايدهم بصبرهم فسارعوا الى معانقة الحور العين في جوار رب العالمـين (قال) وكان الملك الابلق يستغيث وينادي ادركوني فاني هلكت لامحالة

(قال الراوي) وما زال المسلمون يقاتلون والنبـال تتساقط عليهم كالمطر وهـم لا يبالون بها حتى غربت الشمس وقد نكوا بالاعداء يومئذ نكاية عظيمة ولما جن الظلام نادى رافع بن الحارث يا اهـل الاسلام والايمان ويا حملـة القرآن شددوا عليهم الحملة رحمكم الله فوالذي نفسي بيده اني لارجو ان يمنحكم الله اكتافهم (قال) فحملوا حملـة منكرة لايريدون غير رضا الله ورسوله فلم يلبث النصارى ان انكشفوا بين ايديهم انكشافا قبيحا وولوا كما تولى الغنم بين يدي الاسد وتبعهم المسلمون حتى ادخلوهم البلد فلما راى صاحب الجدار القوم هاربين صاح بهم ونادى يا بني النصرانية لعنكم الصليب ماهذا الفعل القبيح كيف تركتم الملك الابلق يتحارب مع عبد الله ورجعتم منهزمين فلبئس الصنيع هذا

(قال الراوي) فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عندماسمعوا توبيخ الملك وحملوا على المسلمين حملـة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتـالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا وزاد الاعداء في حملتهم وتكاثروا عليهم ورموهم بنبال كالمطر فكشفوهم عن مواضعهم وعادت الخيل تنكص باذنابها راجعة الى اعقابها وتبعهم النصارى الى انـ اوصلوهم الى معسكرهم ثم رجعوا الى مواضعهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وقد تعب المسلمون يومئذ تعبا شديدا وفشا فيهم القتل واستشهد منهم خمسمائة فارس ختم الله لهم بالسعادة وجرح الامير عقبة ستة جروح ومات من الكفار الفان وخمسمائة وجرح من الفريقين خلق كثير وبات المسلمون تلك الليلة في غم عظيم وكانـ عبد الله بن جعفر يعظهم ويسليهم ويهون عليهم الامر وبات يتنقل من فسطاط الى ءاخر وهو يعالج الجرحى ويشد لهم الجراح (قال) ولما اصبح الله بخير الصباح سار عبد الله الى الامير عقبـة فقال له عقبة صل اليوم انت بالناس فانـا لا استطيع بسبب ما بي من الجراح فتقدم

عبد الله وصلى بالناس ولما فرغوا من صلاتهم جلسوا يتحدثون في امر الحرب وابدى كل منهم رايه وتاهبوا للقتال ومكثوا ينتظرون اعداء الله ولما لم يروا منهم حركة علموا انهم يريدون الاستراحة في ذلك اليوم فقالوا ونحن ايضا في حاجة الى الراحة فلا تقاتلهم الا اذا راينا منهم استعدادا لذلك

(قال الراوي) ولم يقع قتال في ذلك اليوم ولما خيم الظلام جمع الملك الابلق ارباب دولته وقال لهم انى اريد ان امضي الى صاحب الجدار واتحدث معه في شان هؤلاء العرب قالوا الامر اليك فافعل ما تريد (قال) فلبس ثيابا رفيعة وتاجا مرصعا باليواقيت والجواهر وامر باسراج الشموع وسار بين الشموع ومباخر الطيب الى ان وصل الى صاحب الجدار فلما رآه مقبلا قام اليه ورحب به واكرم لقياه وقبله بين عينيه وفرح فرحا عظيما واجلسه عن يمينه وامر باحضار موائد الطعام والمدا والجواري وءالات الطرب فاكلوا وشربوا (قال) وبينما كانوا يتنادمون وقد اخذ السكر من الملك الابلق كل ماخذ فاذا هو استوى قائما على قدميه ورمى التاج على راسه وقال هكذا يفعل بنا صعاليك العرب ورعاة الابل ياتون الى بلادنا ويهتكون حرمتنا وحق اللات والعزى لاياتي الصباح حتى اخرج اليهم بنفسي واسقيهم كاس الردى ثم قال لصاحب الجدار اريد ان ادخل هاته الليلة بشعاع الشمس فامر بزفافها فقال الساعة ارسل اليها (قال) فارسل الى الجارية الشبيهة بابنته واوصاها بان لا تعلمه بحقيقة امرها بل تقول انها شعاع الشمس وامرها ان تتزين احسن زينة ثم سار الى قصره ينتظرها (قال) فتزينت ولبست ملابس رفيعة وتطيبت وحضرت بين يديه فقال لها اذهبي الى شعاع الشمس وقولي لها لا بد ان تاتي الى الزفاف فسارت اليها فوجدتها تنظر الى السماء والنجوم وتتفكر في صنع المالك الواحد القهار فلما راتها شعاع الشمس قالت لها ما الذي اتى بك في هذه الساعة قالت سيدتي ان الملك اباك يامرك بان تحضري مهرجان زفافي على الملك الابلق في هاته الليلة فلما سمعت منها ذلك شتمتها وامرت بضربها وقالت لها ارجعي اليه وقولي كيف احضر مهرجان الملك الابلق وهل مثلي يؤم مجلسه ولعنته

(قال الراوي) فخرجت الجارية كئيبة حزينة وسارت الى سيدها وعيناها تذرفان فلما دخلت عليه قال لها ما ابكاك فقالت اني لم ار ابنتك قط على حالة مثل الان فقد وجدتها هائمة وابصارها شاخصة نحو النجوم وحين ذكرت لها ما امرتني شتمتني وامرت بضربي ضربا وجيعا وشتمت الملك الابلق ولعنته (قال) فلما سمع

عدو الله من الجارية هذا الكلام غضب غضبا شديدا وسار اليها فقال لها وحق المسيح ان لم تذهبي قتلتك شر قتلة فقالت اجلي بيد الله لا بيدك وانت لاتدري اقريب هو ام بعيد فقال لها سحرك العرب وحق الصليب فقالت يا ابت انهم لا يعرفون سحرا ولا غيره من المحرمات (قال) فتركها ابوها وولى مغضبا وسار حتى وصل الى الملك الابلق ولما دخل عليه قال له ابشر ففي هذه الساعة تاتيك شعاع الشمس ففرح اللعين فرحا عظيما ولبس لباسا فائقا ووضع التاج على راسه وامر بضرب الطبول والمزامير والقرون والبخور ولم يكن غير قليل حتى اقبلت العروس بين الف من الابكار وعليها من الديباج واليواقيت ما يخطف الابصار وبايدى الجواري الشموع مسرجة وصار الليل كالنهار ولما وصلن مجلس الملك وقفن ذات اليمين وذات الشمال ووقفت العروس في وسطهن وهي كالقمر بين النجوم فتقدم اليها عدو الله واستبشر بها وفرح فرحا عظيما واجلسها بجانبه وامر بضرب ءالات الطرب وان تدار الكؤوس وطاب له الخمر وعظم السرور

(قال الراوي) ثم امر بصنمه فلما اتى به قام اليه وسجد له من دون الله هو ومن معه ولم يزالوا ساجدين حتى كلمه الشيطان من جوف الصنم وقال ايها الملك قد تم فرحك وسرورك فافعل ما تريد وانا انصرك على العرب (قال) فلما سمع من معبوده هذا الكلام رفع راسه واثنى عليه ثم امر الحاضرين بالانصراف واخذ بيد الجارية ودخل بها الخلوة وقضى ليلته في فرح وسرور ولما اصبح الصباح خرج الى جيشه ورتبهم وخرج صاحب الجدار وفعل مثله فلما راى ذلك المسلمون رتبوا جيشهم ايضا واوصاهم عبد الله بن جعفر رضي الله عنه بالصبر والثبات ووعظهم بالايات البينات وبعد ان اتم الاعداء ترتيبهم خرج الملك الابلق الى ما بين الصفوف ونادى هل من مبارز فبرز اليه صاحب سطيف فلما دنا منه قال له من انت قال صاحب سطيف قال له انت مسحور قد سحرك العرب حتى تركت دين ءابائك واجدادك القديم الذي هو خير الاديان فقال خير الاديان هو دين محمد ﷺ (قال) ثم حمل كل منهما على الاخر وتقاتلا قتالا شديدا ودام القتال بينهما الى الظهر غير ان صاحب سطيف لم يستطع مع عدو الله صبرا وولى هاربا فتبعه اللعين الى ان وصل صفوف المسلمين ثم رجع فصاح عبد الله بصاحب سطيف اذ رءاه مدبرا وقال له كيف تولى الادبار وتهرب من عدو الله فلما سمع ذلك صاحب سطيف خجل من عبد الله وسار اليه وقال له لاتواخذني فاني لما

دنوت من عدو الله رهبت واعترتني دهشة فوليت وها انا الان عائـد اليه فقال له عبد الله فاذا عزمت فتوكل على الله فرجع صاحب سطيف وهو ينشد ويقول :

لك الحمـد مولانـا على كل نعمـة وشكـرا لما اوليت من سابغ النعـم
مننت علينا بعـد كفر وظلمـة وانقـذتنا من حندس الظلم والظلـم
واكرمتنـا بالهـاشمـي محمـد وكشفت عنـا ما نـلاقي من الغمم
فتمم الـه العرش مـا قـد نرومـه وعجل لاهل الشرك بالبـؤس والنقم
والقهـم ربـي سريعـا بغيـهم بحـق نبـي سيـد العـرب والعجم

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) ثم حمل صاحب سطيف وحمل الملك الابلق عليه وطمع كل منهما على صاحبه وتقاتلا قتالا شديدا ولا يزالان كذلك الى ان اقبل الليل وولى النهار فرجعا الى معسكرهما وقد قتل كل منهما للاخر في ذلك اليوم خمسة وعشرين جوادا وقضى اللعين ليلته في خمر ولهو وطرب ولما اصبح الصباح امـر بترتيب الجيش وخرج للبراز وخرج صاحب سطيف اليه واقتتلا حتى تهشمت دروقهما وايقن عدو الله بالهلاك فولى هاربا فتبعه صاحب سطيف حتى ادركه وضربه بسيفه فراغ عن الضربة وعطف اللعين عليه واخذه اسيرا ورجع للبراز فخرج اليه رافـع بن الحارث وحملا على بعضهمـا بعضا وتقاربا وتباعدا وتصادما ثم خدعه عدو الله واخذه اسيرا وعاد للبراز فخرج اليـه فارس ثالث فاسره وما زال عدو الله ياخـذ فارسا بعد فارس حتى اسر عشرين من ابطـال المسلمين (قال) فعند ذلك خرج اليه ابن الملك صاحب المهدية وحمل عليه وتقاتلا قتـالا شديدا ولم يلبث غير ساعة حتى وقع في يد اللعين اسيرا فلما رات اخته ذلك بكت فقـال لها زوجها عبد الله بن جعفر اصبري ولا تحزني فوحق رسول الله ﷺ لابد ان نملك بلادهم ونقهرهم جميعا ونفعل بالملك الابلق وصاحب الجدار ما نريد بفضـل الله وبركة رسوله ﷺ فسكتت وزال ما بها من الجزع وندمت على ما صدر منها .

(قال الراوي) وبعد ان رجع اللعين من البراز ضرب الاعداء الطبول ودخلـوا المدينة فرحين مسرورين بما نالوه من الفوز على المسلمين وسجنوا الاسارى في قصر الملك ولما دخل الابلق هذا القصر تعجب من حسنه وغرائب صنعه وكان فيه اصنـام كثيرة منها صنم كبير فلما دخل مكانه سجد له من دون الله وقال ايها الملك الاعظم قد جئناك لتنصرنا على العرب ولم يزل ساجدا حتى كلمه الشيطان من جوف الصنم بعد ساعة وقال اني ناصرك

عليهم فعند ذلك رفع راسه وفرح فرحا شديدا وقال لصاحب الجدار انك لمتهاون بالاصنام وكان من حقك ان تجعل لها خدمة خاصة بهـا لتنظيفها وتبخيرها بالعود وانـواع الطيب فقال اني غير مقصر في خدمتها ولكنني لم اجعل لها خدمة خاصة بها وامر في الحين بتخصيص خدام لها وتبخير اماكنها بالليل والنهار (قال) ثم مضى الملك الابلق الى منزله وما استقر به الجلوس حتى اتت اليه عجوز وقالت سيدي اني اريد ان اكلمك سرا بيني وبينك فامر ارباب دولته ومن في مجلسه بالانصراف وقـال لها تكلمي فقالت ان صاحب الجدار غالطك واحتال عليك فقد زوجك بجارية من قصره شبيهة بابنته شعاع الشمس وقال انها ابنته ذاتها والحال انها امتنعت من زواجك فقال وهل صحيح ما تقولين قالت نعم كل ذلك وقع امامي وقد كنت حاضرة حين خاطب ابنته في شانك واجابته بقولها لا افعل ذلك ابدا ولو قطعت اربا اربا ولقد ساءني امر هاته الفعلة الذميمة التي فعلها معك ملكنا لانك اتيت لنصرتنا وللاخذ بثارنا وثار دين عيسى من صعاليك العرب ولولا ذلك ما اتيت اليك في هذا الوقت وفعلت امرا فيه خطر على حياتي فارجوك ايها الملك ان تكتم خبري

(قال الراوي) فلما سمع عـدو الله منها هذا الكـلام غضب غضبا شديـدا وقـال لغلمانه ائتوني بجوادي فلما اتوه به ركب وامر جيشه بالحملة على جيش صاحب الجدار فلم يسعهم الا الامتثال وهجمـوا عليهم في الحين واشتبكوا مع بعضهم بعضا واستعرت نـار الحرب وقوى الطعن والضرب وكثر الصيـاح (قال) وكان عبد الله بن جعفـر في ذلك الوقت قرب المدينـة وقد خرج بعد صـلاة العشاء في جماعة من ابطـال المسلمين لاستطلاع اخبارها والتـدبر لفتحها فلمـا سمعوا الصيـاح دنـوا من البـاب فاذا هـم قد صادفوا الاعـداء خارجين فسلوا سيوفهم وحملـوا عليهم وصاحـوا بهـم ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وصاح عبد الله قـائلا انـا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعـوا السيف في اعداء الله ورسوله فلم يكن غير قليل حتى انهزموا بين ايديهم فلما ولوا هـاربين قال لهم ملكهم ما وراءكم قالوا الموت القاتل فقال لا يكون هـذا الا عبد الله بن جعفر ولكن في هذه الساعة امسكه بيدي وسار اليه ولما دنا منه حمل عليه وضربه ضربة قوية فحاد عنها وعطف عليه عبد الله وضربه فاصابه وجرحه جرحا خفيفـا ثم زاده ضربتين صائبتين فجرحه جرحين بليغين فولى عدو الله هاربـا ودماؤه تسيل وهـو يستغيث

ويقول ادركوني فقد قتلني عبد الله بن جعفر فاخذوا يرمون المسلمين بالنبل حتى ابعدوهم ثم رجعوا الى ملكهم فوجدوه على اسوا حال فجمع حوله رجال دولته وقال لهم قد اضعنا خطواتنا في اغاثة هذا الخبيث الخائن صاحب الجدار ولم يبق لنا الان الا الرحيل حيث صرنا بين عدوين خصوصا واني مثقل بالجراح واخشى ان يظفر بي عبد الله بن جعفر ويقتلني فقالوا كلهم ارحل بنا الى بلادنا ودع صاحب الجدار يهلك (قال) فامر بالرحيل في ذلك الوقت فارتحلوا ولا يزالون سائرين حتى بلغوا وادي المزايات وهو وادي الزيتون فنزلوا به وحطوا رحالهم وضربوا خيامهم وقد اشتد بالملك الالم من الجراح التي في جسده فقال لهم نقيم بهذا المكان الى ان تلتئم جروحي واشفى من مرضي لاني لا استطيع المسير (قال الواقدي رحمه الله تعلى) ولما اصبح الصباح امر صاحب الجدار بغلق الابواب واقامة الرماة على الاسوار ثم جمع ارباب دولته وقال لهم اني اريد حرق الاسارى العرب في صبيحة غد قالوا اصبت الراي ايها الملك فعند ذلك امر العبيد الموكلين بالسجن الذي فيه الاسارى باحضار الحطب فمضوا واتوا بكثير منه وجعلوه اكواما امام القصر (قال) فلما رات ذلك شعاع الشمس قالت للعجوز التي كانت بعثتها الى الملك الابلق لافساده على ابيها والقاء العداوة والبغضاء بينهما اذهبي واسالي عن هذا الحطب الذي جمعوه امام قصرنا فغابت قليلا ورجعت وقالت لها ان اباك يريد حرق العرب الاسارى في صبيحة غد فلما سمعت منها ذلك قامت مسرعة الى الدهليز الذي فيه الاسارى فحلت وثاقهم وقدمت لهم الطعام والشراب فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى ولما فرغوا من الاكل قالت لهم يا سادات العرب اشهدوا اني مسلمة ومومنة بالله واليوم الاخر واني اقول بين ايديكم اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ﷺ واعلموا ان ابي يريد حرقكم في صبيحة غد فاطلبوا النجاة والحقوا باصحابكم في هاته الليلة قبل ان ياتي النهار (قال) ففرحوا باسلامها وشكروها وقالوا الصواب ان نبقى ههنا ونكتب الى اصحابنا ياتوننا في هاته الليلة فقالت لهم افعلوا ما شئتم ودعت بدواة وقرطاس فكتب رافع يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم من رافع بن الحارث ومن معه من الاسرى المسلمين الى الامير عقبة بن عامر وعبد الله بن جعفر وكافة المسلمين اما بعد فانا نحمد الله الذي لا اله الا هو ونصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد من الله علينا باسلام شعاع

الشمس بنت الملك وقد اطلقتنا من السجن وحلت وثاقنا واشارت علينا باللحوق بكم لان اباها عزم على ان يحرقنا بالنار في صبيحة غد فساعة وقوفكم على كتابنا هذا اقدموا علينا في ظلام هذه الليلة والسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لشعاع الشمس فاخذته منه وناولته للعجوز وقالت لها بلغيه الى عبد الله ابن جعفر فمضت من حينها وسارت حتى وصلت الى معسكر المسلمين ونادت يا عبد الله بن جعفر فاتى اليها رجل وقال لها ما شانك وما تريدين قالت اتيت بكتاب الى عبد الله فسار بها الى فسطاط عبد الله فلم يجده ثم الى فسطاط عقبة فوجده هناك مع جماعة من اصحاب رسول الله ﷺ فاخبره الرجل بامر العجوز فاذن لها في الدخول فدخلت عليهم وحيتهم باحسن تحية وسلمت الكتاب الى عبد الله ففكه وقراه سرا ثم تلاه على الحاضرين فلما سمعوا ما فيه رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحمدوا الله سبحانه وتعلى على نجاة اصحابهم وعند ذلك نهض عبد الله وسار الى فسطاطه فلبس ءالة حربه وسار مع العجوز الى ان دخل القصر فوجد اصحابه منتظرين وصوله وكانوا قد تأهبوا للقتال لان شعاع الشمس بعد ان اطلقتهم ادخلتهم خزينة السلاح فاختاروا منها ما شاءوا .

(قال الراوي) فلما راوه قاموا له اجلالا وتعظيما وسلموا عليه وقبلوه بين عينيه وتلقته بنت الملك وسلمت عليه وقالت له مرحبا بك يا ابن عم رسول الله ﷺ فشكرها عبد الله واثنى عليها وبينما هم كذلك واذا بالعبيد قد قرعوا باب القصر فقالت شعاع الشمس من بالباب قالوا اصحاب السجن قلت لهم ما تريدون قالوا نريد اخذ الاسارى لان الملك امر بحرقهم فلما سمع ذلك عبد الله قال لها افتحي لهم الباب ففتحته لهم فلما دخلوا هجم عليهم هو واصحابه وقتلوهم عن ءاخرهم ورموهم في السجن الذي كانوا فيه ثم خرجوا الى الازقة وكل من ظفروا به قتلوه .

(قال الراوى) ثم رجعوا الى قصر شعاع الشمس وتشاوروا فيما بينهم في امر المدينة فاتفق رايهم على الرجوع الى معسكرهم فقالت لهم شعاع الشمس وانا ايضا امضي معكم لئلا يقتلني ابي فقالوا لها على الرحب والسعة فساروا وسارت معهم حتى وصلوا الى فساطيط المسلمين فلما راوهم فرحوا فرحا شديدا وصنعوا لبنت الملك ضيافة فاخرة واكرم الامير عقبة وزوجته اسماء لقياها وسربها نساء المسلمين وضربت الطبول (قال) ولما كان الصباح وجلس الملك على كرسيه اتى اليه خدام القصر وقالوا له ان ابنتك

سحرها العرب وقد اطلقت الاسارى وسارت معهم بعد ان قتلوا العبيد الموكلين بهم عند ما ذهبوا لجلبهم والقوهم في السجن وخرجوا بعد ذلك الى الازقة وقتلوا كل من صادفوا في طريقهم

(قال الراوي) فلما سمع منهم هذا الكلام غضب غضبا شديدا ودعا بارباب دولته ووجهاء قومه فقص عليهم ما وقع من ابنته وقال لهم ما عندكم من الراي الرشيد فقالوا ايها الملك لا ينفع مع هؤلاء العرب الا السيف والرمح والنبل قال صدقتم ثم امر بالخروج للقتال وضرب الطبول واخراج الخيام (قال) فلم يكن غير ساعة حتى اجتمع لديه جيش عرمرم فخرج بهم عدو الله ولما اقترب من معسكر العرب وجدهم على قدم الحرب فنادى باعلى صوته من يقتل عبد الله بن جعفر اشركه في ملكي فما استتم كلامه حتى خرج بطريق عظيم كل ما عليه من الذهب الوهاج وسار الى ان دنا من صفوف المسلمين ونادى هل من مبارز فخرج اليه الزبير بن العوام ولما دنا منه قال له اللعين ما اسمك ايها الفارس فقال الزبير قال له ارجع اني لا ابارز الا عبد الله بن جعفر فقال له لا يبارزك الا انا فاحمل علي او احمل عليك فقال بصوت عال لا ابارز الا عبد الله بن جعفر فلما سمعه عبد الله خرج اليه وحلف لا يبارزه احد غيره فعند ذلك رجع الزبير وحمل كل منهما على الاخر وتقاربا وتباعدا وتقاتلا قتالا شديدا والملك ينادي يا دهليج اغلظ عليه واقتله او ائتني به اسيرا والزبير ينادي لا تخيب ظن المسلمين فيك يا عبد الله

(قال الواقدي رحمه الله) فلما سمع عبد الله كلام الزبير حمل على عدو الله حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فشطره وجواده شطرين واخذ سلبه وكانت قيمته الف دينار وعاد للبراز ونادى هل من مبارز فخرج اليه بطريق اخر اسمه طيلاق وكان من صناديد الابطال ولما دنا منه قال له انت الذي تزوجت بنت الملك الاكبر صاحب المعلقة قال نعم قال له وهل بلغ من قدرك ان تتزوج بنات الملوك وانت عربي صعلوك الان وقعت في يدي فلا اتركك تعود اليها ابدا قال له عبد الله الساعة ترى من لا يعود وحمل عليه وضربه فاصابت الضربة الجواد فسقط ميتا فوثب عدو الله على جواد عبد الله فعقره فعند ذلك هجم عبد الله عليه وضربه ضربة صادقة فارداه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما راى المسلمون ذلك كبروا تكبيرة عظيمة (قال) فاخذ عبد الله سلبه وعاد البراز فخرج اليه ثالث فقتله ورابع فجندله وما زال يقتل بطريقا بعد بطريق حتى قتل اربعين فارسا من مشاهير ابطالهم فعند ذلك ذهب اليه الزبير وقبله بين

عينيه وقال له ارجع فاسترح وانا ابارز مكانك فرجع ودخل مكانه الزبير فجال بين الصفين ونادى هل من مبارز فلم يجبه احد من النصارى وقد تمكن منهم الفشل مما راوا من عبد الله ولما رآهم الملك على هذه الحالة صاح بهم وقال لهم لعنكم الصليب وغضب عنكم المسيح ما هذا الجبن ثم انه لبس آلة حربه وخرج للزبير وحمل كل منهما على الاخر واقتتلا قتالا شديدا ثم ضربه الزبير ضربة شديدة فاصابت جواده فمات وسقط الملك معه الى الارض واذ راى جيشه ذلك ظنوا انه اصيب بجرح او هلك فحملوا بعنان واحد على الزبير فتداركه المسلمون وحملوا عليهم بالتهليل والتكبير واشتبكوا معهم في القتال وجندلوا الرجال واردوا الابطال وقد صبر لهم اعداء الله يومئذ بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشفت النصارى منهزمين بين ايديهم وتبعهم المسلمون ياسرون ويقتلون الى ان دخلوا المدينة فقال لهم عبد الله اتركوهم الى الصباح فتراجعت المسلمون وعادوا الى اماكنهم بعد ان قتلوا منهم مالا يعد ولا يحصى

(قال الراوي) ثم اجتمع المسلمون عند الامير عقبة فقال بعضهم للزبير ما قولك في صاحب الجدار قال انه بطل شجاع لم ار في افريقية اخدع منه ولا اقوى باسا فقال له عبد الله ان الملك الابلق صاحب وجدة اخدع منه واشد باسا نسال الله ان ينصرنا عليهما (قال) وبينما هم يتحدثون اذ اقبلت شعاع الشمس وقالت لهم قد خطر ببالي امر اذا عملتم بمقتضاه ملكتم المدينة قال لها الامير عقبة وما هو قالت حيث تعذر عليكم قتل ابي الذي هو اقرب وسيلة للفتح فارسلوا معي عبد الله بن جعفر في ثلاثين من ابطالكم كرافع والزبير ومسروق وخرام ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين وانا ادخلهم القصر ليلا وامكنهم منه ان شاء الله تعالى حتى اكون سببا في فتح المدينة وانال الثواب والدرجة الرفيعة في الجنة قال لها الزبير لا يكون ذلك الا اذا بارزته ثلاثة ايام اخرى ولم اقتله فاذا عجزت عنه عملنا بمقتضى اشارتك ورايك

(قال الراوي) وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى اصبحوا فاذا صاحب الجدار ضرب طبوله وخرج ورتب جيشه كعادته فرتب المسلمون جيشهم وخرج الزبير يريد ميدان البراز فاسرع اليه اللعين وقال له اتظن اننا كمن رايت في الشام ومصر وبعض البلاد الافريقية وحق المسيح عيسى بن مريم انا لنقاومكم ولو اقمتم الدهر كله ونحاربكم حروبا تشيب منها الولدان فقال له الزبير الافعال تنقض الاقوال ثم حمل عليه وحمل على الزبير واتى كل منهما من ضروب القتال ما حير العقول

وادهش الحاضرين ثم ان الزبير صاح به صيحة عظيمة وضربه ضربة شديدة فاصابت الجواد فسقط ميتا ووقع اللعين من على ظهره فاسرع اليه الزبير ولما اراد ان ياسره قل له ليس هذا من شيم الابطال انظرني الى ان ناتي بجواد اخر وخذني وانا راكب مثلك ان كنت فارسا شجاعا فقال له الزبير عجل بذلك فانت هالك لا محالة (قال) فمضى واتى بجواد وحمل كل منهما على الاخر وتقاتلا قتالا شديدا وضربه الزبير فاصاب جواده فمات فمضى واتى باخر فقتل ايضا

(قال الراوي) وما زال الزبير يقتل جوادا بعد جواد فلما قتل له ثلاثين سارعدو الله لياتي بجواد فخشى على نفسه الهلاك فمكث ولم يرجع والزبير ينتظره وينادي البراز فقال الملك لبطارقته مالي اراكم ساكنين اخرجوا للبراز فسكتوا عنه ولما طال الزبير الانتظار حمل على الاعداء وتبعه المسلمون وحمل الاعداء عليهم وقامت الحرب على ساق والتقت الابطال بالابطال والرجال بالرجال وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وقطعت المعاصم وطارت الجماجم فما كان غير بعيد حتى فر الاعلاج منهزمين نحو الباب وتبعهم المسلمون ياسرون ويقتلون والحجارة والسهام تاخذهم من اعلى السور وهم لايبالون والى ذلك لا يلتفتون فلما اغلقوا ابواب المدينة وتحصنوا فيها رجع المسلمون الى فساطيطهم ولقد غنموا يومئذ مغانم عظيمة واخذوا كرسي الملك وهو من الذهب الوهاج وسرادقات جيشه والات حربهم وقتلوا منهم عددا كثيرا وفرحوا ونساؤهم بنصر الله فرحا شديدا وذبحوا الاغنام والبقر وصنعوا الاطعمة واكلوا وشربوا وحمدوا الله سبحانه وتعلى وباتوا يرتلون القرآن ويذكرون الله ويصلون على نبيه محمد ﷺ ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم اقتسموا الغنائم واستراحوا ذلك اليوم وبعد صلاة العشاء اجتمع الامراء عند عقبة فاستشارهم بماذا يصنعون وقدصعب عليه فتح المدينة فقال عبد الله بن جعفر انا لا استطيع دخولها لانها حصينة جدا فقال عقبة ننتظر خروج اهلها فاذا خرجوا الينا هاته المرة حملنا عليهم باجمعنا حتى اذا فروا الى المدينة دخلنا في اثرهم وملكناها فقالوا نفعل ذلك ان شاء الله تعالى

(قال الراوي) فلما اصبحوا تاهبوا للقتال وظلوا ينتظرون فلم يخرج الاعداء اليهم وكانت ابوابهم مغلقة والرماة على الاسوار وداموا على ذلك خمسة عشر يوما وفي كل يوم يناوشونهم بالقتال ويرمونهم بالنبال والاسوار رفيعة والابواب منيعة (قال) وقد اعيى المسلمين فتح المدينة فقال الزبير نسال شعاع الشمس عن

المدينة هل فيها مسالك او ابواب سرية من السور (قال) فمضوا اليها وسالوها عن ذلك فقالت انا امكنكم من المدينة وادخلكم اياها من طريق عجيب امـا دخولها من ابوابهـا المعلومة فلا سبيل اليه لانها حصينة منيعة وبها رجال لا تحصى كلهم ابطال يحسنون الرمي بالسهام ولها سبعة ابواب في كل باب الف حارس من الصناديد فقـال لهـا عبد الله ومن اي طريق تريدين ايصالنا الى القصر قالت له انتخب ثلاثـين فارسا ممن يقدمون الموت على الحياة ويجودون بانفسهم في مرضاة الله ورسوله محمد ﷺ فاذا جن الظلام يسيرون معي وانا ادخلهم البلد من مكان سري لا يعلمه احد غير ان في دخوله مشقة عظيمة لانه مسكن الجن قال لها عبد الله لا يعظم عليك شيء فاني بقدرة الله وبركة رسوله ﷺ اقاتل الانس مع الجن

(قال الراوي) ثم انتخب عبد الله ثلاثين فارسا من اصحابه وامرت شعاع الشمس ان يؤتي اليها بحبال ثم سارت وساروا معهـا الى ان وقفت بمكان خلف السور وقالت لهم احفروا ههنا فحفروا حتى كشفوا عن بئر من الرخام الابيض فقال رافع انا ابدا بالنزول (قال) فربطوه بحبل وانزلوه فلما وصل الى قعر البئر انبعثت عليه روايـح كريهة وشرر نار ودخان فصاح باصحابه وقال ارفعوني وما رفعـوه حتى غشي عليه فلمـا افاق قالوا له ماذا رايت فحكى لهم قصته وقال هيهات ان يقدر احد على السلوك منها فلمـا سمع عبد الله بن جعفر منه ذلك لبس آلة حربه ونزل ولمـا وصل الى قعر البئر اطلق عليـه الشرر والدخان والروايح الكريهة فسل سيفه وزجر الجن باسماء الله وقال يا معشر الجن الساكنة بهذا المكان انا ابن عم رسول الله ﷺ فلما سمعت الجن كلامه انهزمت بين يديه

(قال الراوي) وعند ذلك نزلت بنت الملك واصحاب عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم اجمعين وخرجوا من طريق بالبئر الى داخل البلـد وساروا مع شعاع الشمس حتى انتهوا الى القصر فوجدوا حوله الجواري فلما راينهم قمن اجـلالا لهم وتعظيمـا وقبلن الارض بين ايديهم وقلن مرحبا بعبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله ﷺ الذي قهـر الانس والجن فقال لهن عبد الله ومن اين علمتن ذلك قلن كل ذلك مكتوب في تواريخنا ومنها عرفنا صفتك وعلمنا ان المدينة تفتح على يـدك ونحن ما مكثنا ههنـا الا لانتظارك حتى نسلم على يديك ونطقن كلهن بالشهادتين واسلمن وحسن اسلامهن ثم فرحن باصحاب عبد الله وسلمن عليهم وقلن لهم مرحبا بسكان الجنة فاثنـوا ان

عليهن وشكروهن وفرحوا باسلامهن (قال الراوي) وبعد ذلك فتح الجواري باب القصر وادخلن عبد الله على الملك وهو نائم فتقدم اليه وايقظه واوثقه كتافا ثم خرج وقال لشعاع الشمس اذهبي اليه وانصحيه لعله يهتدي فدخلت عليه فلما رآها بكى فقالت له يا ابت اذا اردت ان تسعد في الدارين وتنجو من عقاب رب العالمين فاتبع دين المسلمين لانه هو الدين القويم فقال لا افعل ذلك الا اذا بارزني عبد الله وغلبني في ميدان القتال قالت له انك لاتقدر عليه واخذت تستميله الى الاسلام وبينما كانت تحاوله في ذلك اذ دخل عليهما عبد الله ومعه فرسان المسلمين فنظر اليهم وقال لهم ليس هذا من شيم الابطال لقد اخذتموني غدرا فقال له عبد الله لسنا من اهل الغدر وها نحن نطلقك فقم للبراز وتقدم اليه فحل وثاقه وقال له خذ على نفسك ولا عذر لك بعد الان (قال) فعمد الملك الى بيت السلاح فلبس درعين مزردين وتقلد بسيف وتقدم للبراز في ساحةقصره فعند ذلك قالت شعاع الشمس لعبد الله لاتعجلن بقتله عسى الله ان يهدي قلبه للاسلام فقال حبا وكرامة (قال الواقدي رحمه الله) وحمل الملك على عبد الله وضربه ضربة شديدة فاخذها في درقته فانقطعت في نصفين وحمل عبد الله عليه وضربه ضربة قوية فحاد عنها ولا زالا يتحاربان حتى كل منهما الساعدان وقد طال بينهما الحرب فصاح الزبير بعبد الله وقال له ايقظ نفسك يا ابن عم رسول الله ﷺ ما هذا من شانك فتحمس عبد الله وحمل على الملك حملة منكرة واختطفه كالعصفور ورمى به الى الارض وضغط عليه وقال له كيف حالك الان فقال كحال من وقع عليه جبل ولكن يا عبد الله الحمد لله الذي جعل هذا سببا في نجاتي من الكفر ولولاه ما كنت اهتدي واخرج من الظلمات الى النور فاشهد انت واصحابك اني اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله واسلم وحسن اسلامه فلما سمعت ابنته شعاع الشمس منه ذلك فرحت فرحا عظيما وقبلت يديه وقالت يا ابت الحمد لله الذي هداك الى الايمان والاسلام ومن علي باسلامك وبقائك وفرح المسلمون باسلامه (قال) ثم سلم الملك على الزبير والفضل ورافع وبقية الصحابة وقبل عبد الله بن جعفر بين عينيه وشكره واثنى عليه وقال له هكذا والله تلد النساء بارك الله فيك من شاب ما اشد باسك وما احسن وجهك فلله درك ودر ابيك ثم ادخله واصحابه بيت ملكه واجلسهم في مجلسه واهداهم الملابس الرفيعة والاثواب الفائقة وامر بالطعام فقدمت امامهم الموائد عليها طعام

مختلف الالوان وفيها من كل فاكهة زوجان فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى ولما فرغوا من الاكل امر الملك بكسر الصلبان التي في قصره ثم التفت اليهم وقال لهم ايها السادات اني راغب في مصاهرة عبد الله بن جعفر وعقد زواجه بابنتي شعاع الشمس فقال له عبد الله قبلت ذلك (قال) ثم قال لهم الملك وما رايكم في فتح المدينة قالوا الامر اليك فما تراه صوابا فعلناه فقال لهم بل الامر اليكم وما انا الا طوع اوامركم وخادم لابن عم رسول الله ﷺ عبد الله بن جعفر فشكره عبد الله وقال له انت واحد منا ولا نفعل امرا الا بمشورتك فقال جزاكم الله خيرا وزادكم عزا ورفعة فالذي ارى انكم تكمنون في هذه القبة بحيث لايعلم بكم احد فاذا ناديتكم فاخرجوا قالوا افعل ما بدا لك فنحن طوع رايك وارادتك (قال الواقدي رحمه الله تعلى) فامر الملك بارباب دولته واعيان قومه وجميع القسيسين والرهبان وكانوا الف قسيس وراهب فحضروا كلهم ولم يتخلف منهم احد ولما اجتمع الناس صعد الملك على منبر من ذهب وقال ايها القسيسون والرهبان والوزراء والاعيان كلكم يعلم اني بذلت مالي ورجالي كل ذلك لاذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم وقد اجتمع لكم من العساكر والبطارقة ما لم يقدر عليه ملك من ملوك المغرب واني اريد الان ان اسالكم واريد منكم الجواب عما اسالكم عنه فقالوا اسال ايها الملك عما شئت قال انكم اكثر عددا واعز مددا من العرب واكثر جمعا وخياما واعظم قوة فمن اين لكم هذا الخذلان وكانت الملوك الافريقية تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم وما من ملك قصدكم الا ورجع منكسرا والان قد علا عليكم العرب وهم اضعف الخلق وقد غلبوكم وفي كل مقاتلة قهروكم قالوا ايها الملك ما غلبونا ولا ملكوا البلاد الا بالسحر فقال لهم حاشا لله ما هم بسحرة وما غلبوكم الا بإيمانهم بالله ورسوله وصحة دينهم وبركة نبيهم فهؤلاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم رهبان بالليل صوام بالنهار لايفترون عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم ظلم ولا عدوان ولا يتكبر بعضهم على بعض شعارهم الصدق ودثارهم العبادة وان حملوا علينا لا يرجعون وان حملنا عليهم فلا يولون وقد علموا ان الدنيا دار الفناء وان الاخرة هي دار البقاء ولذلك نصرهم الله علينا ولابد ان يملكوا البلاد وما تحت سريري هذا والراي عندي ان تتركوا الصلبان وعبادة مادون الرحمن وتدخلوا في دينهم فانه خير الاديان فاذا فعلتم ذلك نجوتم من الهلاك وحصلتم على سعادتي الدنيا والاخرة

(قال الراوي) فلما سمعوا منه هذا الكلام غضبوا غضبا شديدا وهجموا عليه يريدون قتله فولى هاربا وصاح ادركني يا عبد الله فتداركه عبد الله واصحابه وانتضوا سيوفهم من اغمادها وحملوا عليهم ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ووضعوا السيف فيهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ولم يكن غير ساعة حتى ردوهم على الاعقاب خاسرين واخرجوهم من القصر منهزمين وتبعوهم وهم يقتلون ولا يزالون في اثرهم الى ان دفعوهم الى الباب والجاوهم الى فتحه والخروج من المدينة

(قال الراوي) وكان الامير عقبة تقدم بجيشه نحو المدينة ووقف ينتظر ما سيكون من امر عبد الله واصحابه فلما راى اهلها خارجين امر بالحملة فحمل الجيش عليهم وعمل السيف بينهم الى ان دخلوا تحت الطاعة وطلبوا الامان وقد اسر المسلمون وقتلوا عددا لا يحصى من النصارى واسلم منهم يومئذ خلق كثير (قال الواقدي رحمه الله) ودخل المسلمون المدينة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وامتلكوها واستبشروا باسلام الملك واقتسموا الغنائم وبنى الامير عقبة فيها مسجدا وجعل لها قاضيا ودخل عبد الله بن جعفر بشعاع الشمس وفرح ابوها بمصاهرته واقام المسلمون بالجدار ثلاثة عشر يوما وتركوا فيها رجالا يعلمون الناس الشرائع ثم رحلوا يريدون وجدة والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين والحمد لله رب العالمين .

ذكر غزوة مدينة تافس

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) واما ما كان من امر الملك الابلق فانه اقام بوادي المزايات وعالجه الاطباء الى ان برىء ثم امر بالرحيل ولما وصل الى بلده امر ان تضرب الخيام خارجها وان يقيم الجيش باطرافها ودخل قصره وهو كئيب حزين القلب مما اجراه معه صاحب الجدار من الازدراء فتلقاه الجواري بالات الطرب والغناء فلم يلتفت اليهن وكان حيرانا متفكرا وبات منعزلا عن نسائه ولما اصبح الصباح دخل عليه وزراؤه ورجال دولته وقالوا له لاتحزن ايها الملك نحن معك وبين يديك فمهما اردت شيئا وامرت به فعلناه فقال لهم قد ساءني جدا استهزاء صاحب الجدار بي واستخفافه بمقامي ولكن وحق الصليب وعيسى بن مريم لابد ان ناخذ شعاع الشمس رغما عن انفها وانفه ولا اتزوجها ابدا بل اتركها واجعلها خادمة لبهجة الكمال فقالوا ايها الملك طب نفسا وقر عينا فلا يكون الا ما

اردت ونحن كبيرا وصغيرا نجود بانفسنا لبلوغ مرادك والاخذ بثارك (قال) فلما سمع منهم هذا الكلام انشرح صدره وزال غمه فمضى الى بيت الاصنام فاخرج منها صنما وسجد له من دون الله ولازال ساجدا حتى كلمه وقال له لا تخف ايها الملك انا اكفيك امر العرب فلما سمع ذلك فرح فرحا شديدا وامر ان تبخر بيت الاصنام ودعا ببهجة الكمال فجاءت اليه وذبحت الاغنام والطيور وقدمت بين ايديهم موائد الطعام والمدام ووقفت الجواري ذات اليمين وذات الشمال وغنت الغواني ولازال في خمر وغناء ولهو ولعب وزهو وطرب مده ستة عشر يوما

(قال الواقدي رحمه الله) اما المسلمون فانهم لما ارتحلوا من الجدار ساروا حتى نزلوا بوادي المزايات فباتوا به ولما اصبحوا امر الامير عقبة عبد الله بن جعفر بان يتقدم في عشرين الف فسار عبد الله ومعه الزبير بن العوام والفضل ابن العباس ورافع وسليمان ومسروق وعبد الله ابن الملك صاحب المهدية وصاحب سطيف ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم اجمعين وبقى عقبة مع بقية الجيش والنساء والذراري وبينما كانوا مقيمين اذ لاحت لهم غبرة من ناحية القبلة فتامل منها المسلمون فظهرت لهم من ورائها رايات كثيرة تبلغ الالف فقال عقبة لمن هذه الرايات التي اشرفت علينا قال صاحب الجدار هي لشروان صاحب تافس ولعله اتى لنجدة الملك الابلق صاحب وجدة .

(قال الراوي) فعند ذلك نهض الامير عقبة فركب جواده ورتب الجيش ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ونزل شروان امام المسلمين ورتب جيشه وخرج الى عرض الميدان ودعا بالبراز وقال لا يبرز لي الا عبد الله بن جعفر الذي حدثته نفسه بزواج بنات الملوك فقال عقبة لصاحب الجدار ما نصنع مع هذا اللعين فهو لا يطلب الا عبد الله قال له صاحب الجدار انا اخرج اليه واكفيك امره فشكره عقبة رضي الله عنه وقال له سر على بركة الله وبركة رسوله ﷺ ثم دعا عقبة بدواة وقرطاس وكتب الى عبد الله يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عقبة بن عامر الى عبد الله بن جعفر اما بعد فانا نحمد الله الذي لا اله الا هو ونصلي على نبيه محمد ﷺ فحين وقوفك على كتابي هذا اقدم عاجلا مع جميع من معك من الفرسان لان الملك شروان صاحب تافس نزل علينا بجيش لا قبل لنا به ونحن الان معه في القتال فان لم تدركنا هلكنا لا محالة وسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله ﷺ ودفعه الى خمسة فرسان وقال لهم

بادروا بتبليغه الى عبد الله وعجلوا في السير فساروا مجدين حتى لحقوا بعبد الله وكان على مسافة غير بعيدة عن وادي المزايات فلما رءاهم قال لهم مـا وراءكم فاعلموه بخبر شروان وسلموا له الكتاب فقراه واعلم به اصحابه ومن معه من الفرسان وامرهم بالرجوع في الحين فرجعوا مسرعين

(قال الراوي) وخرج صاحب الجدار لبراز شروان ولما دنا منه وعاينه قـال متجاهلا انت عبد الله بن جعفر فقال انا صاحب الجدار فقال له كـيف رجعت عن دين ءابائك واجدادك واتبعت دين العرب وانت تضرب بك الامثال في بلاد المغـرب فما انت حينئذ الا مسحور وقد سحرك صعاليك العرب فقال يا شروان ان هؤلاء قوم لايعرفون السحر وانما هي هداية من الله سبحانه وتعالى انعم بها علي وكانوا هم السبب فيها ولهم علي منة عظمى حيث انقذوني من الكفر والضلالة واخرجوني من الظلمـات الى النور وادخلوني في دين محمد ﷺ وهو افضل الاديان بلا ريب فقال له شروان بماذا تبين لك انه افضل الاديان والحال انه دين محدث وديننا دين قديم قال ما بعث الله نبيا من الانبيـاء المتقدمين الا وامر امته باتباع دين الاسلام وعندنا في كتبنا ان المسيح بشر بمحمد ﷺ ولولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا سموات ولا ارضين ولا جبال ولا بحار ولا جنة ولا نار من تبعه نجا وسعد ومن خالفه شقي وبعد وما خلق الله خلقا اعظـم ولا اكـرم ولا ارحم من محمد ﷺ فقد جاء بالحق ونطق بالصدق واتى بالمعجزات الباهرات ومن معجزات هذا النبي الكريم عليه افضل الصلاة وازكى التسليم انه اقبل اليه اعرابـي فدنا منه فقال له ﷺ اتشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله قال الاعـرابي ومن يشهد بما تقول فقال ﷺ هذه الشجرة ثم انه دعا الشجرة وهي بشاطيء الوادي فاقبلت اليه وهي تخط الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاث مرات فقالت انت محمـد رسول الله ثم امرها فرجعت الى منبتها ومعجزاته ﷺ كثيرة يطول شرحها وانما ذكرت لك منها هذه لابين لك افضلية دين العرب على سائر الاديان وانهم على الحق ومن سواهم على الباطل وبها يتحقق لديك صحة قولي فان الحق لا يخفى على ذي بصيرة فقـال له شروان لا يبعد ان اقتدي بك وادخل في هذا الدين وا امن بمحمد ﷺ فقـد جذبت قلبي اليه ولكني لا افعل ذلك الا بعد ان ابارز ابن عم النبي عبـد الله بن جعفـر قال له انك لا تقدر عليه قال ولماذا قال كيف تقاتل من قهر الانس والجان قال لا بد من

ذلك قال له ان انت لم تعدل عن هذا الراي فانت والله هالك لا محالة

(قال الراوي) وبينما كان صاحب الجدار يحاول شروان في العدول عن طلب البراز ويبين له محاسن الاسلام اذ اشرفت فرسان المسلمين وفي مقدمتهم عبد الله بن جعفر والفضل بن العباس والزبير ورافع ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين ولما رءاهم المسلمون كبروا تكبيرة عظيمة فقال شروان لصاحب الجدار لمن هذه السرية قال له هذا عبد الله بن جعفر واصحابه فقال يلزم الان ان ابارزه

(قال الراوي) ولما كمل جيش المسلمين اعاد عقبة ترتيبه ولما فرغ من تعبية الصفوف اقبل الامراء يحرضون الناس على القتال وبعد ذلك صار الامير عقبة يتخلل الصفوف ويقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف يا اهل الاسلام اعلموا ان الصبر مقرون بالفرج وان الله مع الصابرين والصابرون هم الغالبون وان الفشل سبب من اسباب الخذلان فمن صبر على حد السيف فاذا قدم على الله اكرم منزلته وشكر سعيه والله يحب الصابرين

(قال الراوي) واصر شروان على القتال ونادى بصوت عال من يقتل عبد الله بن جعفر وما استتم كلامه حتى برز من قومه فارس شديد وشيطان مريد وهو راكب على جواد احمر من عتاق الخيل وقال انا ءاتيك به اسيرا او اقتله في الميدان قال له الملك انت لم يكن عندنا مثلك في بلادنا فارنا شجاعتك وافضح اليوم العرب ولا تطلب للبراز الا عبد الله بن جعفر فعند ذلك تقدم اللعين نحو الصفوف ونادى البراز لا يبارزني اليوم الا عبد الله بن جعفر

(قال) فما استتم نداءه حتى خرج اليه رضي الله عنه كالاسد الغضبان راكبا جوادا من جياد الخيل وسيفه مسلول ولما قرب منه قال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال انت الذي تزوجت بنت الملك الاكبر واخذت البلاد الافريقية قال له نعم قال ما اخذتموها الا بالسحر فقال عبد الله ما غلبناكم الا بالسيف وبقول لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ وببركة ديننا القويم لان ديننا افضل الاديان ولكن يا عدو الله ليس هذا وقت الكلام ثم حمل عليه وضربه ضربة قوية فاخذها اللعين في درقته وعطف على عبد الله وضربه فاخذها في درقته ايضا ولا يزالان يتعاركان ويتجاولان ولما طال بينهما البراز نادى الزبير يا عبد الله ايقظ نفسك فغضب عبد الله وحمل على اللعين حمله منكرة وضربه ضربة شديدة فانقلب من على جواده فوثب عليه واوثقه كتافا وسار به الى عقبة وطرحه امامه ورجع للبراز فخرج اليه فارس اخر وقد غضب لاسر صاحبه ولما دنا من عبد الله حمل عليه وضربه فاصابت الضربة

الجواد فوقع ميتا فالوى عليه عبد الله وقتل جواده وتعاركا راجلين وتصارعا ساعة فصرعه عبد الله واوثقه كتافا والحقه بصاحبه (قال) ولم يزالوا يخرجون اليه فارسا بعد فارس حتى اسر منهم ثلاثين فلما راى شروان ما حل ببطارقته من عبد الله غضب غضبا شديدا ولبس درعين مزردين وجعل في وسطه منطقة من الجوهر وعلى راسه تاج تلمع جواهره كالكواكب وركب جوادا من عتاق الخيل وخرج اليه ولما دنا منه قال له عبد الله متهكما الى اين ايها الاسد الضرغام قال اليك قال له الان تلحق باصحابك وحمل عليه حملة منكرة واختطفه من سرجه كالعصفور واوثقه كتافا وسار به الى ان وضعه مع اصحابه .

(قال الراوي) فلما رات النصارى ذلك حملوا على المسلمين حملة واحدة واشتد القتال وعظم النزال وثار الغبار واظلم النهار وسالت الدماء كالانهار وكثر العرق وازورت الحدق ولم يستطع اعداء الله مع المسلمين صبرا ولم يلبثوا غير ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعهم المسلمون ياسرون ويقتلون الى ان ادخلوهم المدينة واغلقوا الابواب ووضعوا الرماة على الاسوار فرجع عند ذلك المسلمون الى معسكرهم

(قال الراوي) وبعد ان وقع شروان اسيرا ذهب اليه صاحب الجدار وقال له الم اقل لك انك لا تستطيع مبارزة عبد الله فسكت ولم يرد جوابا وبينما كان ينصح اليه ويحبب له الاسلام اذ دخل عليهما عبد الله والزبير والفضل ورافع وسليمان وخرام ومسروق فلما رآهم شروان فزع منهم وجعل يستغيث بصاحب الجدار فقال له عبد الله لا تخف نحن لا نقتل الاسارى ولا نغدر باحد من خلق الله تعلى وشيمتنا الصدق والوفاء وحفظ العهود فلما سمع شروان ذلك من عبد الله شكره واثنى عليه وعلى اصحابه وقام اليهم وقبلهم جميعا ثم قال اشهدوا اني اقول اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلم وحسن اسلامه ففرح الحاضرون باسلامه ثم التفت عبد الله الى بطارقة شروان الاسارى وقال لهم لا تجزعوا فان كنتم راغبين في الاسلام عن طيب نفس وخلوص نية فاسلموا فذلك خير لكم وان كنتم تريدون البقاء على دينكم فانتم في امان فاذا فتحنا المدينة نطلق سبيلكم جميعا فقالوا كلهم نحن مسلمون وبالله ورسوله مؤمنون ونطقوا بالشهادتين واسلموا وحسن اسلامهم .

(قال الراوي) ثم قال صاحب الجدار لشروان ما عندك من الراي في فتح المدينة قال نرحل اليها في هذه الساعة ولا يكون الا ما تريدون ان شاء الله تعلى ثم ساروا كلهم الى الامير عقبة واستشاروه فاتفق رايهم على ان

يبيتوا في مكانهم وان يكون رحيلهم اليها من الغد (قال) فباتوا تلك الليلة ولما اصبحوا صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم امر بالرحيل فساروا والاعلام منشورة وعقبة امامهم وحوله عبد الله بن جعفر والفضل والزبير بن العوام ورافع بن الحارث ومسروق بن زيد وصاحب سطيف وابن الملك صاحب المهدية وصاحب الجدار وصاحب تافس وكثير من الامراء رضي الله تعلى عنهم اجمعين ولا يزالون سائرين حتى وصلوا الى المدينة فنزلوا حولها وضربوا فساطيطهم باطرافها

(قال الراوي) ثم بعث شروان الى ارباب دولته وقال لهم كيف تغلقون الابواب ولاتخرجون للعرب وهم محاصرون لكم فقالوا انت لست منا وليس لك علينا امر لانك خرجت من دين ءابائك واجدادك واتبعت دين العرب وقد سحروك كما فعلوا بصاحب الجدار حتى صيروك كواحد منهم تودهم وتمشي لجانبهم فقال لهم لا تواخذوني فاني فعلت ذلك كرها واضطرارا لاني اسير عندهم وخشيت ان يقتلوني ولم افعل ما فعلت الا لانجو من الموت خصوصا واني قد رايتهم عولوا على قتل الثلاثين فارسا الذين اسروهم قبلي لانهم ابوا ان يسلموا وفي صبيحة غد يقتلون

(قال الراوي) فأقنعهم كلام شروان وقبلوا عذره فبعثوا اليه وقالوا له اذا كان نصف الليل نفتح لك الباب فاقدم علينا بالاسارى الثلاثين ولا تترك منهم احدا ولابد ان تدبر لخلاصهم وتبذل غاية جهدك وما في وسعك لا تقاذهم وانا لنترقب قدومهم الليلة معك بحيث لو اتيتنا وحدك لما قبلناك وان امكنك ان تتحيل على عبد الله وبعض اصحابه وتقتلهم قبل مجيئك فان ذلك يوهن قوة العرب ويسهل لنا قهرهم والتغلب عليهم وذلك لايعسر عليك لما نعلمه من اقدامك ودهائك واصالة رايك فبعث اليهم وتعهد لهم بجميع ما اقترحوا عليه وقال لهم انتظروني عند منتصف الليل وافتحوا الباب

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) ثم سار شروان الى فسطاط عقبة فوجد عنده عبد الله بن جعفر وجماعة من الامراء فذكر لهم ما وقع بينه وبين اهل المدينة من الكلام وما اتفق معهم عليه وقال لهم انتخبوا لى ثلاثين فارسا من صناديد الابطال لندخلهم المدينة عوض الاسارى فاذا راوهم اهلها اطمأنوا انهم الاسارى واذا دخلناها نملكها ان شاء الله تعلى وكونوا انتم على اهبة القتال (قال) فاتفق رايهم على ذلك ولما اقرب الوقت سار شروان ومعه ثلاثون فارسا من عظماء فرسان المسلمين منهم عبد الله بن جعفر والزبير

والفضل ومسروق ورافع وسليمان وصاحب الجدار ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين ولما اقتربوا من الباب انفتح الباب وخرجت منه خيل فقالوا للمسلمين من انتم فاجابهم ملكهم وقال انا شروان فلما سمعوا صوته فرحوا فرحا شديدا وظنوا انه اتاهم بالاسارى وقالوا له وما فعلت بعبد الله واصحابه قال قتلتهم جميعا فادخلوا واغلقوا دوننا الباب (قال) فدخل شروان ومن معه ودخلوا بعدهم واغلقوا الباب وانصرفوا وسار شروان ومعه عبد الله واصحابه الى قصره حيث قضوا بقية الليل ولما اصبح الله بخير الصباح قال لهم شروان اختفوا في هذا المكان ودخل شروان بيت ملكه وجلس على كرسيه وهو من ذهب مرصع بالجواهر فاتى اليه وزراؤه ورجال دولته واخذ كل واحد مجلسه ولما كمل عددهم وانتظمت هيئتهم قال لهم كيف السبيل الى التخلص من هؤلاء العرب قالوا الم تقل بالامس انك قتلت عبد الله واصحابه قال نعم مكنني المسيح منهم وغدرت بهم وذبحت بمساعدة الاسارى عبد الله وعشرين بطلا من اصحابه وهم نيام فلما سمعوا منه ذلك فرحوا فرحا شديدا وشكروه وقالوا جزاك المسيح عنا خيرا ثم قال لهم الملك ولكنني قد ندمت على فعلتي هاته لاني خدعت قوما كراما اهل عهد وصدق ووفاء ودين صحيح واما نحن فانا على ضلال مبين ولا دين الا دين محمد ﷺ

(قال الراوي) فغضبوا من كلامه وقالوا له لا شك ان سحر العرب اثر فيك فاتبعت دينهم واتيت لتخدعنا وتغدر بنا فقال برح الخفاء فلا دين الا دين العرب فمن اسلم فهو مني ومن لم يسلم فهو بعيد عني فلما سمعوا منه ذلك نظر بعضهم الى بعض ومنهم من تبعه ومنهم من خالفه واسلم في ذلك الوقت اخوته وابناء عمه وعشيرته وانقسم الناس الى طائفتين وحمل بعضهم على بعض (قال) فعند ذلك خرج المسلمون وانضموا الى حزب الملك وانتضوا سيوفهم من اغمادها ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهجموا على الاعداء ولم يزالوا يقاتلون مع الطائفة المسلمة حتى افنوهم عن اخرهم ولم ينج منهم الا من اسلم وعند ذلك فتحت الابواب ودخل جيش المسلمين المدينة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وامتلكوها وبنى عقبة فيها مسجدا وجعل لها قاضيا واقام بها ثلاثة ايام ثم امر بالرحيل فارتحلوا يريدون مدينة وجدة وانشد بعضهم يقول

اقمنا منار الدين في كل جانب ❀ وصلنا على اعدائنا بالقواضب

وانا لقوم لا تكل سيوفنا — من الضرب في اعناق سوق الكتائب
سيوف ذخرناها لقتل عدونا — واعزاز دين الله من كل خائب
قتلنا بها كل البطارق عنوة — جلاء لاهل الكفر من كل جانب
ومازال نصر الله يكنف جمعنا — ويحفظنا من طارقات النوائب
فلله حمد في المساء وبكرة — وما لاح نجم في سدول الغياهب

ذكر غزوة مدينة وجدة

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) واتصلت الاخبار الى الملك الابلق ان عبد الله بن جعفر كان خرج في عشرين الف فارس يريد وجدة ثم ارسل اليه عقبة واسترجعه فلما بلغه ذلك جمع ارباب دولته وقال لهم ان العرب كانوا قادمين علينا ثم خافوا بطشنا فولوا هاربين من حيث اتوا ولكن وحق المسيح لابد ان نقتفى اثرهم ولا نبقى منهم احدا وامر بجمع الرجال والاستعداد للسفر (قال) فنادى المنادي النفير النفير وضربت الطبول ولبس الملك ءالة حربه وامر باخراج السرادقات الى خارج المدينة ولم يكن غير قليل حتى اجتمعت لديه جنود لاتحصى فقسمها الى ثلاثة جيوش فجعل جيشا على باب المدينة وارسل جيشا الى وادي المزايات وسار بالجيش الثالث الى مدينة الجدار ونزل عليها (قال) فلما راى اهلها الاعداء قادمين اليهم اغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار فاخذ الملك الابلق يدور بالاسوار فلم يجد فيها مسلكا فامر عند ذلك بكسر الابواب فكسرت ودخل بجيشه العرمرم المدينة ووضعوا السيف في رقاب المسلمين وكانوا قليلين فقاوموهم اشد مقاومة الى ان ماتوا عن ءاخرهم وختم الله لهم بالشهادة ولم يبق منهم الا من اسر وامتلك الاعداء المدينة وهدموا المسجد الذي بناه عقبة ،

(قال الراوي) هذا ما كان من امر الملك الابلق واما ما كان من امر الامير عقبة فانه لما ارتحل من تافس تقدمه عبد الله بن جعفر وسبقه الى وجدة في ثلاثين الف فارس وساروا حتى اشرفوا عليها وكان ذلك بعد غروب الشمس فراى عبد الله في انحائها نيرانا فقال لاصحابه ان القوم نازلون خارج المدينة وهذه النيران من الخيام فالاليق بنا حينئذ ان نحمل عليهم باجمعنا وناخذهم بغتة فقالوا اصبت الراي يا ابن عم رسول الله ﷺ فاسرع بنا اليهم (قال) فلبسوا ءالة حربهم وسلوا سيوفهم وحملوا بعنان واحد وكبروا فلم يشعر اعداء الله الا وقد احاط بهم المسلمون من كل جانب ووضعوا السيوف وعلت الاصوات وارتفعت

الزعقات وما كان غير بعيد حتى مزقوهم كل ممزق وشتتوا جمعهم وفروا هاربين نحو المدينة فتبعهم المسلمون ودخلوا في اثرهم وهم ياسرون ويقتلون الى ان نادوا الامان الأمان فامنوهم فاسلم من بقى منهم في الحين ثم دخل المسلمون قصر الملك وغنموا ما فيه وكسروا الاصنام وباتوا في فرح وسرور ولما اصبح الله بخير الصباح اشرفت عليهم رايات الامير عقبة فلما راوها رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخرجوا للقاء المسلمين ودخلوا معهم المدينة وامتلكوها وبنوا فيها مسجدا وجعلوا عليها قيما وقاضيا (قال الواقدي رحمه الله تعلى) هذا ما كان من امر المسلمين واما ما كان من امر الملك الابلق فانه بينما كان مقيما بالجدار اذ قدم اليه عشرة فرسان ودخلوا عليه فقال لهم ما وراءكم قالوا الموت القاتل والبلاء النازل قال ومن اين اتيتم قالوا من وجدة وقد جئناك هاربين لان العرب هجموا على جيشنا بالليل على حين غفلة وقتلوا من عسكرنا ما لايعد ولا يحصى ولم يسلم من القتل الا من اسلم ودخل في دينهم ولم ينفلت الا نحن العشرة وقد ملكوا المدينة (قال) فلما سمع الملك الابلق ذلك غضب غضبا شديدا وامر بالرحيل وضرب الطبول ونادى المنادى النفير النفير وخرج عدو الله وقد كاد يتميز من الغيظ وترك الجدار وسار بجيشه حتى بلغ وادي المزايات فلام عساكره التي هناك ووبخهم وقال لهم كيف يسير العرب الى المدينة ويمتلكونها وانتم قائمون هنا قالوا نحن ضعفاء لاطاقة لنا بهم فلو سرنا اليهم لكنا قتلنا عن ءاخرنا فقال لهم لعنكم الصليب وغضب عنكم المسيح ما انتم ممن يعول عليكم عند الشدائد (قال) ثم امر بالرحيل فساروا مجدين ولما اشرفوا على المدينة راوا رايات المسلمين خافقة في انحائها فنزلوا وحطوا رحالهم وضربوا خيامهم ثم رتب الملك جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين

(قال الراوي) ولما راى المسلمون ان الاعداء قدموا اليهم ساروا حتى اقتربوا منهم ورتب الامير عقبة الجيش فجعل في الميمنة بني مخزوم وفي الميسرة بني امية وفي القلب بني هاشم وفي الجناحين اخلاط العرب ثم نادى الملك الابلق من يخرج لبراز عبد الله بن جعفر ويكفينا امره فقال له قومه ما قدرت على حربه انت فكيف تريد منا ان نحاربه ونحن دونك قوة وشجاعة وفروسية فلما سمع منهم هذا الكلام غضب غضبا شديدا وحمل على الميمنة فقتل ثلاثة وعلى الميسرة فقتل اثنين واراد ان يحمل على القلب فادركه وزراؤه ورجال دولته وانكروا عليه ذلك وقالوا له بئس الفعل هذا فهلا حملت

على العــرب او خرجت لبراز عبد الله بن جعفر اما قتلك لعساكرك فليس من الشجاعة بشيء (قال) فلما سمع منهم ذلك لبس ءالة حربه وسار الى الميدان فلحق به فارس شديد وبطل صنديد اسمه بهماق وهو ابن عمه وقال له ارجع ايها الملك وانا اكفيك المؤنة فرجع وتقدم بهماق ونادى بصوت عال يا عبد الله اخرج للبراز فاجابه عبد الله وقال له مهلا عليك الساعة يعجل الله بروحك الى النار (قال) فلبس عبد الله ثوب رسول الله ﷺ وجعله مما يلي جسده وتقلد ءالة حربه وسار حتى دنا منه فقال له بهماق انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال بلغني انك شجاع فقال له الساعة تراني قال اتحمل علي ام احمل عليك قال له عبد الله احمل انت (قال) فحمل بهماق عليه وضربه ضربة قوية فراغ لها عبد الله وعطف عليه وضربه ضربة هاشمية فشطر جواده نصفين ووقع اللعين في الارض فوثب عبد الله عليه واوثقه كتافا واخذه اسيرا وعاد للبراز فخرج اليه فارس اخر اسمه قراق وكان ذا شجاعة وباس شديد اذا تكلم يخرج من فيه زبدا احمر كالدم وسار حتى اقترب منه وحمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فاخذها عبد الله في درقته والوى عليه فتضاربا بالسيوف وتعاركا ساعة فنادى الزبير ايقظ نفسك يا عبد الله فلما سمع ذلك حمل على قراق حملـة منكرة وضربه ضربة صادقـة فشطره وجواده نصفين وعجل الله بروحه الى النار واخذ سلبه وكان ما عليه يساوي الف دينـار فعند ذلك قالت له شعاع الشمس استرح ودع غيرك يبارز فلم يلتفت لقولها ورجع للميدان ونادى هل من مبارز فصاح الملك الابلق برجاله وقال ليخرج واحـد منكم لبرازه فلم يجبه احد ووقع الرعب في قلوبهم مما راوا من عبد الله فنهض الملك وقال لهم هـا انا اخرج اليه بنفسي فتعرض له خواصه وحلفوا عليه ومنعوه من الخروج وخرج مكانه فارس عظيم لايكل من الحرب اسمه ساشر وقال له انا اكفيك امـر هذا الشاب وكان عدو الله عبوسـا ما ضحك قط في عمره ولما دنا من عبد الله قال لـه لاتظن اني كغيري وحق عيسى ابن مريم ان لم ترجع اسرتك او قتلتك شر قتلة فقال عبد الله الميدان بيننا وفيه يظهر قولك وفعلي (قال) فحمل عـدو الله عليه وضربه فاصابت الضربة كفل الجواد فقطعته وغاص السيف في الارض ووقع عبـد الله فاراد اللعين ان يضربه ضربة ثانية فحاد عنها وكانت زوجته شعاع الشمس راكبة بالقرب منه فاسرعت اليه لتعطيه جوادها فما كان من قراق الا ان حمل عليها واختطفها كالعصفور وولى بها نحو

قومه فتبعه عبد الله فلم يلحق به فرجع الى المسلمين وهو كئيب حزين فاقبل اصحابه عليه يسلونه وقال له ابوها صاحب الجدار والزبير والفضل وشروان لا يجزعنك ذلك فان الله ناصرك عليهم ببركة ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشفى نفسك منهم

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وعظم الامر على عبد الله ولم يستطع صبرا فركب جواد الملك شروان وخرج وهو يرتعد من شدة الغيظ ودعا ساشرا للبراز فخرج اليه وحمل كل منهما على الاخر وتصادما واقتتلا قتالا شديدا ثم ان عبد الله اراد ان يخدعه فاظهر له الفزع وولى هاربا فتبعه ساشر وطمع فيه وضربه من خلفه فحاد عبد الله عن الضربة والوى عليه وضربه ضربة قوية فاصابت جواده فسقط ميتا وزاده ثانية فراغ لها وضرب جواد عبد الله فقتله فتقابضا على الارض وتصارعا ولا يزالان كذلك حتى كل منهما الساعدان وفرق بينهما الظلام فرجع كل منهما الى قومه

(قال الراوى) ولما رجع ساشر سار اليه الملك الابلق وهو يخترق الصفوف الى ان تلقاه فصافحه وقبله بين عينيه وشكره واثنى عليه ودعاه الى خيمته فسار معه فاجلسه لجانبه وامر بشعاع الشمس فلما حضرت بين يديه اوثقها كتافا وقال لها وحق المسيح لاقتلنك شر قتلة واشفى نفسي منك ثم التفت الى ساشر وخلع عليه وقال له ان انت قتلت عبد الله بن جعفر شاطرتك مملكتي فقال انا كفيك امره ففرح الملك ورجاله بكلامه وضربوا الطبول والمزامير والقرون واكلوا الطعام وشربوا المدام وباتوا في فرح وسرور وبات المسلمون في غم عظيم من اجل وقوع شعاع الشمس بيد الاعداء وحلف عبد الله لا يا كل طعاما حتى يقتل ساشرا او ياخذه اسيرا (قال) واجتمع الصحابة عند الامير عقبة فقال لهم اذا كانت صبيحة غد فلا تتركوا عبد الله يخرج للبراز لاني اخشى عليه من هذا اللعين الذي لم ار في بلاد المغرب اقوى منه خصوصا وان عبد الله لم ياكل اليوم ويبيت هاته الليلة على الطوى ولا ينام وهذا لاشك يؤثر في قواه فقال مسروق اصبت الراي ايها الامير واستحسنه الحاضرون ،

(قال الراوي) ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح وبعد فراغهم من الصلاة جلسوا يذكرون الله ويسبحون فاذا الملك الابلق ضرب طبوله ورتب جيشه وامر ان يؤتى بشعاع الشمس وان تركب على مطية وهي موثوقة وتقدم امام النسوة ففعلوا وعند ذلك قال لها الملك قفى مكانك حتى ياتي ساشر بزوجك عبد الله اسيرا ونحرقكما معا فقالت له انتم عاجزون عن

الاتيان بالرجال ولا تقدرون في بعض الاحيان الا على غدر النساء وسيحل بكم من عبد الله بلاء عظيم فغضب ساشر من كلامها ولبس ءالة حربه وركب جواده والنساء يناديته ويقلن بيض اليوم وجوهنا لكي نفتخر بك على نساء العرب فلما سمعهن ازداد حماسة ونشاطا وخرج الى الميدان وجال بين الصفين ونادى انا العبوس انا مروع الجيوش انا ساشر مفلق الجماجم وميتم الاطفال ومهلك الابطال ثم رجع الى شعاع الشمس واخذ بزمام مطيتها وقادها الى الميدان وقال قفي ههنا حتى اريك ما تنذهل منه العقول وتحير فيه الاذهان .

(قال الراوي) ثم وقف في ركابه ونادى يا عبد الله بن جعفر اخرج للبراز فلما اراد عبد الله المسير اليه تعرض له صاحب الجدار وبكت زوجته بنت الملك الاكبر صاحب المعلقة وتعلقت باذياله فلما راى ذلك الزبير حلف لا يخرج اليه غيره ولبس ءالة حربه وركب جواده واخترق الصفوف حتى انتهى الى الميدان فقال له من انت قال الزبير قال له لاحاجة لي بك انا لا ابارز اليوم الا عبد الله بن جعفر فلم يمهله الزبير وحمل عليه حملة منكرة وحمل ساشر عليه وتصادما وتعاركا وتقاربا وتباعدا وتقاتلا قتالا شديدا (قال) فلم يستطع عبد الله صبرا وخرج حتى دنا منهما وهما يتحاربان فلما رآه ساشر قال له ما هذا من شيم الابطال لماذا تاخرت عن البراز هل اجزعك ما رايت مني بالامس قال له يا عدو الله لوملئت الارض بامثالك ما ماجزعت وكيف يجزع منك من قهر الانس والجن وحلف على الزبير ان يرجع وحمل عبد الله على ساشر حملة منكرة وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد الله فاخذها في درقته فانقسمت نصفين وحمل ساشر عليه وضربه فاخذها في سيفه فانقطع سيف اللعين وعطف عليه عبد الله فولى هاربا بين يديه فعند ذلك نادته شعاع الشمس وقالت خذه ياعبد الله ولا تتركه في هذا اليوم فلما سمع نداءها لحق به واختطفه من سرجه ورماه الى الارض ونزل اليه واوثقه كتافا ففرحت شعاع الشمس وولولت وقالت هكذا والله تلد النساء والا فلا

(قال الراوى) فلما راى النصارى ما حل بصاحبهم من عبد الله حملوا على المسلمين بعنان واحد كانهم السيل وحمل المسلمون عليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وازدحمت الامم وقامت الحرب على قدم واظلم الجو من الغبرة في تلك الافاق واعتمدوا على الضرب بالاسياف الرقاق وطعنت العرب بالرماح الدقاق ودنت الاعمار الى المحاق وبلغت الارواح التراق وعظم الانين والزعاق وصبرت الاعداء

علي ما لا يطاق وسقاهم العرب من سيوفهم كاس الفراق وصدموهم صدمة عظيمة وردوهم على الاعقاب وحاق بهم يومئذ العذاب وتمكن عبد الله من استرداد شعاع الشمس من بين ايديهم وقد حل وثاقها ومضى بها الى فساطيط المسلمين فاستبشروا لرؤيتها وفرحوا بسلامتها وحمدوا الله على خلاصها من ايدي الاعداء وفرحت بها اسماء بنت ياسر ونساء العرب واوقفها عبد الله على البطريق ساشر وقال لها افعلي به ما شئت فشتمته ولعنته وقالت له اين شجاعتك التي تدعيها واقاويلك التي تفشيها وهو صامت لا يفوه بكلمة ومسكت لحيته وكانت طويلة جدا وجعلت تبصق عليها وتقول لعن الله هاته اللحية الخسيسة ثم ضربته ضربا وجيعا وشفت منه غليلها

وبعد ان رجع المسلمون الى فساطيطهم تراجع النصارى واعادوا الحملة وحملوا على المسلمين حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى وتكاثرت جموعهم على جهة بني امية وغسان وحمير وطي واخلاط العرب فعادت الخيل تنكص باذنابها راجعة على اعقابها منكشفة كانكشاف الغنم بين يدي الاسد ونظرت اسماء بنت ياسر خيل المسلمين راجعة على اعقابها فنادت رضي الله عنها يا نساء العرب دونكن والرجال واحملن اولادكن على ايديكن واستقبلنهم بالتحريض فاقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة وجعلت اسماء تنادي قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته وجعل النساء يقلن لازواجهن لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج وانشدت اسماء تقول هذه الابيات

يا هاربا عن نسوة ثقات	لها جمال ولها ثبات
لا تسلمنهن الى الهنات	تملك نواصيهامع البنات
اعلاج سوء فسق عتات	ينلن منا اعظم الشتات

(قال الراوي) فرجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال وادركهم عبد الله ابن جعفر عندما سمع تحريض اسماء بنت ياسر فرجع المسلمون رجعة عظيمة ونادى الزبير يا اهل النصر والباس احملوا وحمل الزبير ومعه الفضل ورافع وسليمان ومسروق وكثير من امثال هؤلاء السادات رضي الله عنهم اجمعين ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وصبر لهم النصارى يومئذ صبرا جميلا حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشفت الاعلاج منهزمين بين ايديهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون كيف شاؤا وقتلوا واسروا منهم خلقا لا يحصى ثم

تراجع المسلمون وعادوا الى فساطيطهم وتفقدوا بعضهم فلم يجدوا عبد الله بن جعفر فتحيروا من اجله وخافوا عليه من الاعداء لانه كان توغل بينهم وقد عظم عليهم الامر وكثر ضجيجهم وبكت النسوة وبينما هم كذلك واذا بعبد الله قد اقبل عليهم من ناحية القبلة وهو مخضب بدماء الاعداء فلما راوه فرحوا فرحا شديدا ثم اجتمع الناس عند الامير عقبة وبعد ان صلى بهم صلاة العشاء قال لهم كيف السبيل الى اهلاك هذا اللعين الابلق فقال الزبير انا ابارزه غدا ان شاء الله وعسى الله ان ينصرني عليه ثم تفرق الناس الى فساطيطهم

(قال الراوي) ولما كان ءاخر الليل دعا الملك الابلق بفرسانه ولما حضروا قال لهم ايكم ياتيني بجواد عبد الله بن جعفر وله عندي مائة الف دينار فقال احدهم واسمه جلباب انا آتيك به في هذه الساعة وخرج من عند الملك ولبس ءالة حربه وسار متنكرا حتى وصل فساطيط المسلمين فاخترقها بدون ان يشعر به احد وحل الجواد من مربطه وركبه ورجع من حيث اتى ومضى الى قصر الملك فوجده نائما فسلم الجواد الى حاشيته (قال) ولما اصبح الصباح افتقد عبد الله جواده فلم يجده وارسل يفتش عنه فلم يقفوا له على اثر ولا خبر وعادوا اليه واعلموه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعندما استيقظ الملك اعلمه ارباب دولته بامر الجواد ففرح فرحا شديدا وامر بان يسرج وان تضرب الطبول ويخرج الجيش للقتال ثم اتوه بالجواد مسرجا فركب وخرج في جيش عظيم ولما اقترب من المسلمين رتبه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولما راى الامير عقبة ان القوم اخذوا اهبتهم للقتال رتب جيشه ثم ان الملك الابلق دخل الميدان ونادى بالبراز وما استتم النداء حتى خرج اليه الزبير ولما قرب منه قال له الملك الابلق من انت قال الزبير قال له قد قرب اجلك ففز بنفسك قبل ان تهلك قال له الزبير يا عدو الله الساعة ترى العذاب والميدان اصدق شاهد (قال) وحمل اللعين على الزبير حملة منكرة وحمل الزبير عليه وتقاتلا قتالا عنيفا ثم ضرب الابلق الزبير ضربة قوية فاخذها في درقته والوى عليه الزبير وضربه ضربة شديدة فاتت غير صائبة فزاده ثانية فجرحه فلما ايقن بالهلاك اراد الفرار فهمز الجواد مرارا فانحبس في مكانه ووقف ولم يتحرك فانظر فضل رسول الله ﷺ (قال) فلما راى الملك الابلق ذلك وثب من على ظهره في الحين وولى هاربا على قدميه وسار الى عساكره وقال لهم ان العرب سحروا الجواد ولو لم اهرب لكنت قتلت

اليوم (قال) فعند ذلك اخذ الزبير بعنان الجواد ورجع به الى المعسكر وسلمه الى عبد الله بن جعفر ففرح به فرحاشديدا وركبه ولما استوى على ظهره جعل يطير بين السماء والارض ببركة وفضل سيد الكائنات واشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم ثم رجع الزبير للبراز فركب الملك الابلق جواده وخرج اليه وحمل كل منهما على الاخر واقتتلا قتالا شديدا وحمى بينهما وطيس الحرب فصاح به الزبير صيحة عظيمة وضربه بسيفه فقطع درقته وزاده ثانية شديدة فقطعت الدروع وجرحته ولايزال الزبير يضربه حتى ولى هاربا نحو جيشه ودماؤه تفور من الجراح فقال له قومه ما بالك هاربا اين شجاعتك فقال الامر اشد من ذلك ووقف الزبير ينادى بالبراز فلم يبرز اليه احد فعند ذلك اتى اليه الامير عقبة وعبد الله بن جعفر والفضل بن العباس رضى الله تعلى عنهم اجمعين وشكروه وحلفوا ان يرجع فرجع معهم وعاد الاعداء الى مواضعهم وهم في كرب عظيم مما حل بملكهم ولما كان اخر الليل امرهم الملك بالمسير الى المدينة فرحلوا وساروا حتى وصلوا اليها فوجدوا ابوابها مغلقة ولما سمع الحراس دمدمة الخيل وظنوا انها خيل المسلمين وان عقبة قد اقبل ففتحوا الباب فاذا الملك الابلق قد دخل مع جيشه ووضعوا السيف فيهم ودخلوا على اهلها وهم نيام آمنون ولم يكن غير ساعة حتى قتلوا واسروا جميع من فيها وسبوا النساء والاولاد ثم دخل الملك الابلق قصره فوجد الصلبان مكسرة فلما راى ذلك تغير وجهه ولم ينطق بكلمة وشغله عن قصره وما فيه جراحاته ودعا بالاطباء فحضروا وشرعوا في معالجته وامر بغلق ابواب المدينة ووضع الرماة على الاسوار وقد تجلد عدو الله واراد ان يظهر الصحة وعدم المبالاة بما اصابه فامر بنصب موائد الطعام والمدام وحضرت لديه بهجة الكمال والغوانى ووقفت بين يديه الجوارى وبات عدو الله في زهو ومدام وقد نسى ما عنده من الالام

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) فلما اصبح الصباح نظر المسلمون الى مواضع الاعداء فوجدوها قفراء فظنوا انهم هربوا او التجأوا الى بعض الجهات واذ كانوا يتفكرون في امر ذلك اتت شعاع الشمس وقالت لزوجها عبد الله بن جعفر انى اريد ان اعذب ساشرا جزاء تعذيبه لى واخذا بثارى منه قال لها دونك واياه فاخذت تعذبه بانواع العذاب ووضعت في عنقه غلا وجعلت تجره وتضرب راسه بقضيب ضربا وجيعا والنساء يسخرن منه ويضحكن فضجر من ذلك وصاح صيحة عظيمة وقال يا عبد الله ليس من شان الابطال ان تترك

شعــاع الشمس تعذبني بمثل هذا العذاب وتجعلني اضحوكة للنسوة فقال له عبد الله ان اردت السلامة والسعادة فعليك بكلمة الشهادة فقال في الحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلم وحسن اسلامه

(قال الراوى) فلمــا نطق بالشهادتين حلت شعاع الشمس وثاقه وازالت الغل من عنقه وامر له عبد الله باثواب حسنة وجواد وسلاح وهنــاه بالاسلام وسار به الى الامير عقبة ففرح به واجلسه لجانبه وتكلم المسلمون في شان الملك الابلق فقـال لهم ساشر لا يبعد انه سار الى مدينة وجدة لافتكاكها والتحصن بهــا لانه يعلم ان من فيهــا قليلون لا يقدرون على رده ومقــاومته ولا يهمكم امره فانــا اريحكم منه ولكن ينبغي قبل ذلك ايها الســادات ان نرحل الى الجدار ونرى مــا فعل بهــا الملك الابلق ونترك فيهــا قوة عسكرية ثم نرجع اليه ونــاخذه حيث هــو فوافقه على ذلــك الامير عقبة واصحابه الحاضرون (قال) وامر عقبة بالرحيل في الحين فارتحلوا وساروا الى ان وصلوا اليهــا فوجدوا ابــوابها مقفلة وهي خاوية لا يسمع فيهــا لغو ولا حركة لان الملك الابلق عند خروجه منهــا اصلح ابوابهــا وتركها مغلقة

(قــال الراوى) ولما وجدها المسلمون على هــاته الحالة كسروا الابواب ودخلوا فوجدوا الشوارع ملاى من القتلى والجثث مكومة ومنتشرة في الارض وساروا الى القصر فوجدوا الاسارى مقيدين وقد نحفت اجسامهم وكادوا يهلكون من الجوع (قال) فعظم امر ذلك على المسلمين وقالوا انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بــالله العلي العظيم وحلوا وثــاقهم واطعموهم ثم دفنوا الاموات وجددوا بنــاء المسجد وجعلوا في المدينة قاضيــا واولــو عليهــا ملكهــا وتركوا معه ثلاثين الفــا من الذين اسلموا ومن اخلاط العرب وودعوهم وارتحلوا الى وجدة وضربوا فساطيطهم بــاطرافهــا وايقنوا يومئذ بــان الملــك الابلق غدر بــاهلها وتحصن فيهــا وكان وصولهم اليها عند غروب الشمس وبعد ان نزلوا صلى بهم الامير عقبة المغرب والعشاء ثم تفرق الناس الى فساطيطهم للاستراحة وسار عبد الله والزبير والفضل وابن الملك وصــاحب سطيف وساشر نحو المدينة وجعلوا يدورون حولها ويختبرون حالة سورهــا ويتدبرون لدخولها وبينماهم كذلك اذ فتح باب المدينة وخرج منه ثلاثة رجال فتقدم اليهم عبد الله وقال من انتم فقالوا نحن من قصر الملك وقد كنــا اسلمنا على ايديكم حين فتحتم المدينة في المرة الاولى ولمــا اتاها الملك ليلا وغدر بــاهلها دخلنــا القصر ضمن رجاله بدون ان يعلم هو ولا احد

من اتباعه اننا مسلمون وقد عظم علينا ما فعله بالمسلمين وتوغرت صدورنا غيظا عليه فاتفقنا على الاخذ بثارهم وفتح الباب لكم عند قدومكم وقد تمكنا باعانة الله وبركة رسوله ابن عمك ﷺ من ادخال جاريته بهجة الكمال في دين الاسلام وقد اعانتنا على نيل مرادنا وبلوغ مقصودنا وادخلتنا عليه وهو في محل نومه فاوثقناه كتافا وحبسناه في بيت بقصره وما تممنا هذا العمل حتى اتى الحراس الى القصر ليعلموه بخبر قدومكم فسررنا بهذا النبا سرورا عظيما واسرعنا اليكم لندخلكم قبل ان توضع الرماة على الاسوار ويأخذ القوم اهبتهم لقتالكم وما ذلك الا ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما سمع عبد الله واصحابه منهم ذلك فرحوا فرحا شديدا وساروا الى الامير عقبة واعلموه بالخبر ففرح وامر في الحين بدخول المدينة فزحف المسلمون اليها ودخلوها وكبروا وهللوا (قال) وكان خبر قدوم العرب لم ينتشر بين الناس فلما سمعوا الضجة من المدينة علموا انهم دخلوها فتلقوهم وحمل بعضهم على بعض واشتغلت الابطال بالابطال وقوى القتال ولحق بالمشركين الدمار واتاهم حرب مثل النار ولا زالت سيوف المسلمين تعمل فيهم حتى امتلات الشوارع قتلى وجرت من دمائهم انهار وماكان غير ساعة حتى قتل المسلمون واسروا منهم خلقا كثيرا واسلم الباقون

(قال الراوي) ثم سار عبد الله والامراء الى قصر الملك فلما راتهم بهجة الكمال تقدمت الى لقائهم وسلمت عليهم واسلمت على ايديهم وادخلتهم مجلس الملك واجلستهم واتاهم الرجال الثلاثة الذين فتحوا لهم باب المدينة بالملك الابلق موثوقا واوقفوه بين ايديهم فقال له عبد الله هل لك ان تسلم وتتبع ديننا فان انت اهتديت الى ذلك ونطقت بالشهادتين كنت آمنا في الدارين فقال الموت عندي ايسر من تبديل ديني فلما سمعت بهجة الكمال منه ذلك طعنته بخنجر في صدره فوقع ميتا

(قال الراوي) وامتلك المسلمون المدينة وغنموا ما لا يوصف من المتاع والحلى والحلل والجواهر واواني الذهب والفضة وغير ذلك وضربوا الجزية على من لم يسلم وعقد الزبير على بهجة الكمال وذبحت الاغنام واعدت الولائم (قال) وبنى المسلمون في المدينة مسجدا وجعلوا فيها قاضيا وامروا عليها الملك شروان وتركوا معه طائفة من اخلاط العرب واقاموا بها ثلاثة ايام ثم ودعوهم وارتحلوا يريدون القيروان وكل بلد او قرية يمرون بها مما لم يتقدم لهم فتحها يعرضون عليها الاسلام فان ابوا اعطوا الجزية او يقاتلونهم

الى ان يحرزوا على قبول احدى هاتين الخصلتين ولما وصلوا الى القيروان اقاموا بها سبعة
ايام ثم تفرقوا وسارت كل قبيلة الى جهتها التي قسمها عليهم علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وسار عقبة الى الزاب ومات به ذلك تقدير العزيز
العليم ورجع بنو هاشم وبنو مخزوم الى الحجاز ولم يبق احد
منهم في افريقية وامتلك المسلمون البلاد الخضراء
بنصر الله تعالى ينصر من يشاء وهو العزيز
الحكيم وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الكريم وعلى ءاله
واصحابه اجمعين
والحمد لله رب
العالمين

●

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
(اما بعد) فقد تم طبع كتاب فتوح افريقية تاليف الامام محمد الواقدي طيب الله
ثراه وجعل الجنة متقلبه ومثواه ـ وذلك بمطبعة المنـار ـ بتونس .
وكان تمام الطبع في شهر محرم الحرام ١٣٨٦ من هجرة النبي صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم

فهرست

الجزء الثاني من فتوح افريقية للعلامة الواقدي

صحيفة

صفحة

صحيفة




مطبعة المنار
تونس